

لقاء اللاسلكي

الكرد واللات في بلاد
البساب وشروان

جمال رشيد أحمد



Bibliotheca Alexandrina
0017253

لِقَاءِ الْأَوَّلِ

مكتبة العامة مكتبة التأسيسية	
رقم التصنيف	٩٠٩
رقم التسجيل	٣٥٦٩

٩٠٩
٣٥٦٩
ل

لقاء الأسلاف

الكرد واللات في بلاد
الباب وشروان
جمال رشيد أحمد



RIAD EL-RAYES
BOOKS

مكتبة الرياض للكتاب والنشر

ASIA MINOR AND ITS PEOPLE
AS SEEN BY ARAB
HISTORIANS AND GEOGRAPHERS

BY

JAMAL RASHID AHMAD

First Published in the United Kingdom in 1994
Copyright © Riad El-Rayyes Books Ltd
56 Knightsbridge
London SW1X 7NJ
UNITED KINGDOM

British Library Cataloguing in Publication Data available

ISBN 1-85513-292-3

All rights reserved. No part of this publication
may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any
means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise,
without prior permission in writing of the publishers

لوحة الغلاف للفنان محمود حمّاد
الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير ١٩٩٤

المحتويات

تصدير	٩
مقدمة	١٣
الفصل الأول: لمحة عن بلاد الرّان والباب وشروان	٣١
الفصل الثاني: اللان (الآلان Alan)	٨٩
الفصل الثالث: أسلاف اللان في التاريخ	
السكيث والكميريون والسرقات	١٠٧
الفصل الرابع: مظاهر لقاء الأسلاف	١٣٩
الفصل الخامس: تقابل الأحفاد والولدان	
أو لقاء الكرد والآلان	١٨٩
فهرس الأعلام	٢٧١
فهرس الأماكن	٢٧٧

والغاية الرئيسة من تأليف هذا الكتاب هي التعرف على جوانب معتمدة من تاريخ المناطق الشمالية لوادي الرافدين ودور الكرد في سد المنافذ أمام البدو الشماليين أثناء تغلغلهم نحو هذه البلاد مع توضيح أخبار اللان كإحدى المجموعات البدوية التي اتخذت الممرات القفقاسية (الباب وشروان) التي اشتهرت بالشغور في العصر الاسلامي مسلكاً لهجراتهم وقد اضطلغوا كشعب متميز ليس هنا فحسب وإنما لشهرتهم كقوة بربرية توجهت كذلك الى قارة أوروبا وأثروا تأثيراً كبيراً على سياسة الامبراطورية الرومانية، وخاصة عندما نرح هؤلاء الى شمال قارة أفريقيا وأسسوا مع القبائل الوندالية الجرمانية هناك دولة أسقطها بليسايريوس القائد العام للامبراطور البيزنطي جستنيان فيما بعد وذلك في أواسط القرن السادس الميلادي.

ومن جهة أخرى يغني هذا الكتاب الدراسات النادرة التي تتعلق بالأقوام والشعوب القديمة التي لعبت أدوارها في توفير المقومات القومية لبعض الأمم المعاصرة كالأرمن والكرد والأذربيجانيين والجيورجيين. وكان من المناسب أن نتطرق الى هذا الموضوع بعد أن قدمنا جانباً من هذه الدراسات كانت تتعلق بالسكان القدماء لجبال زاكروس باللغة البلغارية في أعوام ١٩٦٨ - ١٩٧٢ كما شمل كتابنا المنهجي تاريخ الكرد القديم^(١) دراسات وفيرة عن الكوتيين واللؤلويين والكاسيين والخلديين والمنا وغيرهم. وقبل هذا كنا قد جمعنا الوثائق الخاصة بأقوام قديمة أخرى اتخذت شمال وادي الرافدين موطناً لها لكن أخبارهم دونت في وقت متأخر نسبياً ومنهم الكردوخيون والكيرتيون الذين خصصنا

(١) تاريخ الكرد القديم (أربيل: جامعة صلاح الدين، ١٩٩١).

لهم فصلين من مؤلفنا (دراسات كردية في بلاد سوبارتو) الذي طبع في بغداد عام ١٩٨٤م حول توضيح نقاط لم تكن معروفة سابقاً. ومن بعد ذلك قدّمنا شرحاً وافياً عن الحوريين والميتانيين والخلديين (الأورارتيين) في مؤلفنا الآخر الذي نشر باللغة الكردية^(٢).

أما موضوعات هذا الكتاب فتتعلق بأقوام رعوية مهاجرة الى آسيا الصغرى وشمال وادي النهرين خلال أزمنة متفاوتة أثرت في مجرى الأحداث التاريخية لشعوبها وتركز بوجه الخصوص حول دور اللان (الآلان) وأسلافهم من السكيث والكيمايريين والسرمان الذين ظهروا هنا خلال الألف الأول قبل الميلاد وأقاموا دويلة في بلاد الكرد دامت مدة وجيزة حسب قول المؤرخ اليوناني هيرودوت، ثم بدأوا يظهرين في قفقاسيا مع مطلع العصر الاسلامي. وقد حاولنا أن نوضح ضمن هذه الدراسة بعض العلاقات العنصرية واللغوية لهؤلاء وموقف الدول المحلية منهم وخاصة دولتي أورارتو والمالنا في كل من أرمينيا وكردستان. وقد اشتهروا قديماً في الشرق تحت اسم ياجوج وماجوج وهم من كل حذب ينسلون كما ذكر في القرآن الكريم^(٣). لكن أحفادهم اللان أصبحوا يعرفون عند العرب بالعلان أحياناً.

ففي غرب إيران وفي شرق آسيا الصغرى، وبالأخص في كل من أذربيجان وكردستان، وإذا كان للقبائل المادية (الميدية) دور بارز في التغيرات اللغوية والدينية كما هو الشائع، فإن للمدونات الآشورية والبابلية من القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد الفضل في كشف ذلك الدور بالاضافة الى دور السكيث والكيمايريين الذين غدوا خطراً على الدول التي نشأت في المناطق المذكورة. وإذا كانت الآثار الميدية من الندرة في كردستان لم تمنع من انتشار فكرة انتماء الكرد الحاليين الى الميديين القدماء، تلك الفكرة التي تسود في عقول الأوساط المثقفة الكردية لحد الآن، فإن السكيث ومن بعدهم الآلان لم ييخلوا في إغناء آثار وفنون بلادهم التاريخية ومنها ما اكتشف في مناطق سقز وزيبويه وحسانلو بكردستان وهي أكثر بكثير مما خلفه لنا الميديون من أعمال. وبالإضافة الى ما ذكر فإن هناك مظاهر عدة تتعلق بالجانب الأثنوغرافي للكرد ترجع أصولها الى السكيث بالدرجة الأولى وخاصة

(٢) دراسة لغوية حول تأريخ المناطق الكردية (بغداد، ١٩٨٨).

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ٩٦، وكذلك سورة الكهف، الآية ٩٤.

الأزياء الشعبية والأسماء القبلية والجغرافية كعشيرة الآلان وإمارة أردلان التي ظهرت في القرن السابق أو مناطق آلان وسيويل في كل من سردشت والسليمانية، وهذه الظاهرة تماثل اسم بلاد شكّي (سكاسيني) في غرب بحر قزوين ومدينة سقز (سكس) الكردية بكردستان إيران وكذلك تشابه بقاء اسم الكيميريين في شبه جزيرة القرم (كيمير/كرم) جنوب الاتحاد السوفيتي سابقاً أو ما يسمى الآن بدولة أوكرانيا.

لقد ظلت ظاهرة الهجرة للآلان نحو جنوب قفقاسيا مستمرة عبر التاريخ، محاولين في فترات عدة عبور الممرات الجبلية للوصول الى أبعد من تلك المناطق. وحين تحقيقهم لتلك الغاية فإنهم كانوا يتصادمون مباشرة مع الأقوام المحلية لبلاد أذربيجان وأزان وأرمينيا ومنهم الكرد الذين أخذ نجمهم السياسي يتألق منذ بداية القرن العاشر الميلادي هناك؛ حيث كانوا يشكلون نسبة كبيرة من سكانها قبل ذلك التاريخ جنباً الى جنب مع الديلم والتات والطاليش. وإذا كان الكرد واللان يلتقون في الانتماء اللغوي الى عالم واحد، فإن انتماءهم الديني، الاسلامي والنصراني، كان السبب الرئيسي في الصراع الطويل بينهم في الجهات القفقاسية. كما أن الحروب التي جرت بينهم لم تمنع الكرد من سد طريق تلك الجهات أمام اللان في الدخول الى البلاد الأرمينية ثم الكردية والاستقرار فيها. ومن المحتم أن هذا الاجتياز جرى في مطلع العصر الاسلامي أو حتى في أواخر العصر الساساني - البيزنطي. لذلك فلا شك في وجود اللان في المناطق الكردية منذ ذلك الوقت مما كان دافعاً لأن يطلق السلطان السلجوقي (سنجر) على الولاية الأولى لإقليم كردستان اسم (آلاني) وذلك في بداية القرن الثالث عشر الميلادي. ومن هذا الواقع عرفت المنطقة الكردية الحالية (أردلان) بأرض اللان قديماً، كما استطاعت بعض العشائر الكردية فيها أن تحتفظ باسمها القديم (الآلاني) وسكنت كذلك في كل من سردشت وقلعة دزه ثم لم تلق الكرد بطل قصتهم الدرامية (م الآلاني) بغتة وعن طريق الصدفة..! علماً أن طائفتي بيزناغالي وبيك زاده في به يتوش قرب سردشت تدعيان أنهما من عشيرة الآلان. وعموماً لم تتوضح العلاقة الكردية الآلانية عند الكثيرين لحد الآن، وخاصة عند الأدباء الكرد الذين صدّروا مقدمات كتبهم المتعلقة بتلك القصة الدرامية ببعض الآراء القصيرة المتعلقة بخلفية قصصهم الأدبية وانتماء أبطالهم الى أصول غير معروفة بجانب ذكر أحداث غير تاريخية.

ومع اطلاعي على كافة الطباعات الكردية والعربية لهذه القصة فإن كل

تلك الآراء المتشابهة الواردة فيها لم تبرر عندنا سبب تسمية القصة بـ(مم
الآلاني). هذا بالإضافة إلى أن هذه الطبقات ومحتوياتها مشتقة من
بعضها البعض ولم يوضح مؤلفوها الغموض الذي يكتنف الخلفية
التاريخية للقصة المذكورة لأن جميعهم استندوا على أقوال المستشرق
الفرنسي روجر ليسكو Roger Lescot.

رأينا من الأفضل تقسيم الكتاب الى فصول خمسة لتبسيط موضوعاته مع الدقة في توضيح مضامينه. وبما أن أحداث هذه الموضوعات تتعلق بقوقاسيا وما يحيطها من بلدان، فكان لابد لنا أن نوضح كل ما له علاقة بتلك البلدان من الأنهار والمدن وواقعها الجغرافي والديموغرافي ضمن الفصل الأول. أما في الفصل الثاني فقد أوضحنا بعض الجوانب التاريخية للأن (الآلان) باختصار، لأن الفصول التي تلي هذا الفصل تشمل الأدوار التاريخية المتعلقة بهؤلاء والتي تتوضح تدريجيا مع الأحداث. وبناء على ذلك، كان لابد لنا أن نتطرق في الفصل الثالث الى التاريخ المبكر لهذا الشعب. وقد خصصنا هذا الفصل بالتحدث عن أسلافهم من الكيميريين والسكيث والسرقات بتيان مواطنهم الأصلية في المناطق الشمالية للبحر الأسود وذلك من خلال الكتابات اليونانية القديمة.

وفي الفصل الرابع بيتا اتجاهات رحلات القبائل البدوية للسكيث والكيميريين وظهورهم في آسيا الصغرى وغرب إيران وتأثيراتهم السياسية على دول المنطقة، ثم إصطدامهم بالميديين في كردستان. بناء على ذلك عنوانا هذا الفصل بـ«مظاهر لقاء الأسلاف» وجعلنا من هذا الموضوع مدخلا لقضية لقاء الكرد والالان في العصر الاسلامي التي أصبحت عنواناً وموضوعاً للفصل الخامس والآخر.

لم تكن مفردات هذه الدراسة في الواقع متوفرة في كتاب مستقل، فكان علينا جمع شتات موضوعاتها من مصادر متباينة كل التباين، فكنا ننهي جانباً من أحد فصولها ونضيفه ضمن دراسة منهجية تاريخية لكي نصل في النهاية الى استنتاجات منطقية مقنعة ثم نتوقف عن العمل لعدة أشهر أو حتى سنة كاملة، وذلك لأسباب خارجة عن إرادتنا، ثم نعود بعد ذلك

كي نستذكر كل ما دوناه سابقاً لتربط الحوادث بالتسلسل الزمني، وأخذ هذا العمل من وقتنا الكثير وبشكل متقطع. وإذا كان عنوان الكتاب يتعلق بموضوع الكرد واللان، إلا أنه يتطرق في الفصلين الثاني والثالث على الأغلب إلى اللان وأسلافهم، وذلك لتحقيق الغاية المتوخاة من تأليف الكتاب. أما تأريخ الشعب الكردي، وإن تكن مراحل القديمة غير واضحة، فإنه يتوضح بصعوبة للمهتمين به، لذلك فإننا لم نجد كتاباً خاصاً بشأن اللان بالعربية ولا بالكردية، وهكذا فتشنا عن المصادر والمراجع، فبدأنا باليونانية والرومانية وكان أغناها هي ما عند هيرودوت في تأريخه وأقل من ذلك عند هيرودوتيس. ومن الممكن القول أن أغلب ما كتب من معلومات عن أسلاف اللان من السكيث والكميريين مشتق مباشرة من أقوال هيرودوت سواء ما يتعلق بوطنهم القديم (سكيثيا) أو عن هجراتهم إلى آسيا، ولكن هوميروس كان قد أشار إلى هؤلاء قبل هيرودوت دون ذكر اسمهم، ثم تحدث عنهم كل من يوسف الفلاوي وسترابو. أما المؤرخون الرومان كـ(بلينيوس وأميانوس مركلينوس وكاسيوس ديون) فقد تطرقوا إلى اللان في وقت متأخر وأشاروا كذلك إليهم في قفقاسيا، لكن ثيوفيلاكس سيموكاتيس (القرن السابع الميلادي) وميناندر Minandir فقد تطرقا إلى الآثار أيضاً، إلا أن (يلوتارخوس) دون أخبار هؤلاء بالتفصيل عند هجرتهم إلى أوروبا وما ترتب على تلك الهجرة من مأس التي لاقوها من قبائل الهون، لكن الذين اشتهروا من اللان باسم (مساكيت) حوالى مدينة (مسقط) فقد تحدث عنهم المؤرخ الأرمني فاوستوس البيزنطي وكذلك موسى الخوريني.

يرجع الفضل في السنين الأخيرة إلى دائرة المعارف البريطانية في إعادة طبع الترجمة الانكليزية لكتب مؤرخي اليونان والرومان ضمن أعداد مرتبة حسب الأسماء. ومن هذه الكتب كتاب يوسف الفلاوي (الحرب اليهودية) الذي يشير فيه إلى أخبار اللان، كما أن الجغرافي اليوناني سترابو وضع لنا أوضاع بلاد قفقاسيا، وخاصة ألبانيا، متحدثاً بإسهاب عن سكانها، وقد حالفني الحظ أن أزور مناطق متعددة من جنوب ووسط وغربي بحر قزوين بشمال إيران وأجري بحوثاً ميدانية في كل من أذربيجان وموقان مع أقوام كالترك والتات والطاليش والجيليين وغيرهم وذلك في مرحلتين بين أعوام ١٩٧٤م و١٩٩١م مما أتاح لي فرصة الاطلاع المباشر على مناطق أحداث هذا الكتاب ومهد لدراسات سأنشرها في المستقبل.

لا يخفى على المطلع على الأمور التاريخية أن المصادر الإسلامية، العربية

منها والفارسية ثم التركية، وأغلبها لبلدانيين ظهوروا منذ المائة الرابعة للهجرة (العاشر للميلاد) تحتوي أخباراً ودراسات قيمة عن البلاد التي اشتهرت فيها بالقبق (القبح) ويقف في طليعتهم كل من الاصطخري وابن حوقل والمقدسي إلا أن هؤلاء أهملوا المعلومات التي تتعلق بالجوانب الثقافية والحضارية لأقوامها، ومع ذلك فتصانيفهم زاخرة بالفوائد. وما كتاب ابن حوقل إلا نسخة محدثة موسعة لكتاب الاصطخري، لكن للثالث أسلوباً خاصاً متميزاً. ولعل الأسماء الجغرافية الواردة على كتبهم تساعدنا أحياناً على معرفة الأصول اللغوية لشعوب تلك المناطق رغم بعض التغيرات التي أجروها على صيغها المحلية وذلك بترجمة معانيها إلى العربية بدون زيادة أو نقصان، كما أن أسماء الملوك المحليين تدعم دراستنا في هذا المضمار. ولا يخفى على القارئ الكريم جغرافية كتاب المقدسي الذي كتبه بأسلوب خاص يختلف عن سبقه، ذلك أنه بناه على ما شاهده بنفسه من مختلف الأقاليم. والمتبع لهذه المصادر يرى بوضوح النهج الاسلامي الخاص الذي التزم به البلدانيون ومؤرخو العصر الاسلامي في سردهم لأخبار أقوام المناطق المذكورة، لذلك فاللأن الذين كانوا وقتئذ من المسيحيين يعتبرون بالنسبة لهؤلاء قوماً من عالم الكفر، وحتى وصل الحد بشخص مثل منجم باشي (رئيس المنجمين) الكاتب التركي من العصر العثماني إلى درجة من التعصب حيث وصفهم بـ(الملاعين...١).

ومهما يكن من أمر فإن أصحاب النهج الاسلامي في كتابة التاريخ ألقوا نظرة شمولية على الأحداث والوقائع وميّزوا انتماء الأمم والأقوام على أساس ديني وليس على الانتماءات اللغوية أو الحضارية أو العرقية وذلك انطلاقاً من إيمانهم بمفاهيم القرآن في تفسير ظواهر العالم. ومع كل التحفظ في هذا الجانب من الموضوع فإن كتبهم لا تخلو من حقائق وأمر دقيقة تتعلق بقضايا عديدة في السلم المعرفي لعلم الجغرافيا الذي أصبح علماً مساعداً للدراسات التاريخية في العصر الاسلامي. وهناك كثيرون انشغلوا في هذا الجانب سواء كان في مشرق أو في مغرب العالم الاسلامي، إلا أن أشهر من كتب عن أخبار بلاد أذربيجان وأرمينيا ومقاطعات الجرجان (جيورجيا الحالية) وكذلك مناطق لقاء الكرد باللان في بلاد القبق (قفقاسيا الحالية) كانوا من المشرق سواء زار أحد منهم المناطق ذاتها أو نقل الأخبار عن غيره.

وأهم المصادر التي استقينا المعلومات منها هي:

١ - كتاب فتوح البلدان للبلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر ابن داود البغدادي البلاذري) ولد في أواخر القرن الثاني من الهجرة وتوفي في (٢٧٠هـ/٨٩٢م) وأصله على الأغلب من إيران وكان مؤرخ البلاط العباسي، وقد تانت نفسه الى الرحلة في الشرق فدخل الى بلاد كثيرة ومنها الثغور (قفقاسيا). ويقول المحقق الفرنسي (دي غويه) إنه اشغل بتأليف كتاب جامع لتأريخ الدول الاسلامية أتى فيه على الحقائق التاريخية دون أن يفضب خليفة وقته ونجح في هذا الموقف الحرج نجاحاً عظيماً، وكان هو من أخصاء المتوكل على الله وقد حظي عند المعتز بالله حظوة كبرى ونال لديه ثقة وفضلاً، ولذا عهد اليه بتربية ولده، وقد تقرب من المستعين بالله، (حول هذا الموضوع راجع طبعة القاهرة ١٩٥٩م لكتاب فتوح البلدان). وصف فتوح المسلمين في الشرق والغرب بحسب وقوعها. وهذا الكتاب جليل القدر لأنه يرينا حال البلاد حين أصبح الاسلام الدين السائد فيها.

كان البلاذري يعتمد الدقة في إسناد الرواية. ففي هذا الكتاب لم يسر وفق تسلسل الحوادث وإنما قسمه حسب البلدان والمقاطعات، وهو حافل بتأريخ الفتوحات الاسلامية وصيغ الأمان ومقادير الضرائب ويتطرق الى الخراج ويعدد الاقطاعات التي أقطعت في عهود مختلفة، ويتكلم عن نزوح القبائل العربية واستيطانها في الأماكن الجديدة. وبناء على ما رواه البلاذري فقد استفدنا من أخبار وصول المسلمين الى مرج دibil وفتوح أرمينيا وأذربيجان.

٢ - ابن خرداذبه (أبو القاسم عبدالله بن عبدالله المتوفي في حدود سنة ٣٠٠هـ). دؤن المسودة الأولى من مخطوطته (المسالك والممالك) عام ٢٣٢هـ/٨٤٦م وأتم مسودته الثانية عام ٢٧٢هـ/٨٨٥م، ووضح في كتابه هذا مسالك أقطار عديدة احتلها المسلمون وأعطى صورة تقريبية لأبعادها والمسافات التي تفصل بين مدنها ويظهر انه كان لأرمينيا مفهوم أوسع إذ شملت مناطق كردستان والسيستان وأران وتقليس وبرذعه والبيلقان وقبله وشروان وجرزان وغيرها وقد قسم تلك البلاد ضمن أرمينيا الأولى والثانية والثالثة والرابعة، ويحتمل جداً أن كثيراً من البلدانين المسلمين اعتمدوا على أقواله.

٣ - أما ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني) فقد كتب عام ٢٩٠هـ/٩٠٣م مؤلفه - مختصر كتاب البلدان، وحققه دي غويه

عام ١٨٨٥م - ووضح فيه مواقع مهمة من بلاد أرمينيا وآذربيجان والجبال والديلم وغيرها وقد أفدنا من بعض نصوصه.

٤ - يحتوي كتاب الأعلام النفيسة لابن رسته (أبي علي أحمد بن عمر) الذي أكمله عام ٣٠٠هـ/٩١٢م أخباراً قيمة وشواهد مهمة تتعلق بمختلف سكان بلاد القيق منهم السريية واللانية، إضافة الى أخبار الخزر وغيرهم، كما أنه أشار الى البلغار والمجر والصقالبة والروس الذين وردت أخبارهم ضمن فصول هذا الكتاب.

٥ - وفي كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي (انتهى منه حوالي ٣٣٢هـ/٩٤٤م) معلومات كافية وثمينة عن بلاد شروان والباب وعن كل ما يتعلق بالمناطق الواقعة في شمال وجنوب قفقاسيا. والمسعودي هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي البغدادي متوفى عام ٣٤٦هـ. وكتابه هذا ذو أهمية تاريخية، ومصادره تستند على معلوماته الشخصية أحياناً لكن بعض المعلومات في هذا المؤلف غير واضحة، ويذهب في الكلام الى التحدث عن مناطق بعيدة لم يزرها على أغلب الاحتمال. وقد صنف إضافة الى هذا الكتاب التاريخي كتاب (التبیه والاشراف) الزاخر بالتصانيف الجامعة وأخبار وفوائد غريبة.

٦ - تاريخ ياقوت الحموي (الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت ابن عبد الله الحموي الرومي البغدادي توفي في ٢٨٤هـ/٨٩٧م). يتخلل هذا الكتاب معلومات لا نجدها عند البلاذري، ونعني بها ما يتعلق بأرمينيا وما وراء القفقاس، وهو سفر كبير كثير الأجزاء ومع أنه استقي مصنفه ممن تقدمه من المؤلفين إلا أنه زاد عليهم مشاهداته ثم أنه أورد أخباراً مهمة عن أصل العائلة الدريندية الهاشمية العربية عندما تكلم عن الباب وشروان وقد صنف المواد على الترتيب الهجائي واقتبس دون تعقيد من كل ما وصفه أسلافه. ومقال - الباب - هو قاموس جغرافي من جمعه وتصنيفه، ويظهر انه في عام ١٢٢٥م أضيف اليه أخبار من الاصطخري، وتحوي معلومات طريفة جمعت من مصادر غير معروفة. ولياقوت الحموي شروح جيدة لمدن ومقاطعات بلاد الران وشروان وأرمينيا وجيورجيا وغيرها في معجمه للبلدان. وقد أعيدت كتابة أخبار هذه المناطق مثل مدينة بردعه ونهر الكر وإتل وبحر الخزر عند التويري في كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» ولكن بعد مضي ثلاثة أرباع القرن على تأليف معجم البلدان

ظهر مختصر له بعنوان (مراسد الاطلاع) لصفي الدين عبدالمؤمن عبدالحق المتوفى عام ١٣٣٨م.

٧ - لا يمكن الاستغناء عن مؤلفات الاصطخري (وهو أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الملقب بالاصطخري المعروف بالكرخي) وبالأخص كتابه (المسالك والممالك) الذي ألفه في ٣١٨ - ٣٢١هـ/٩٣٠ - ٩٣٣م وأعيدت كتابته في ٣٤٠هـ/٩٥١م ويتحدث فيه عن أزان وشروان والباب وما يتعلق بها من حوادث وهو زاخر بالفوائد التي استقى منها ابن حوقل معلوماته، وهو من أهل اصطخر (برسيبوليس القديمة) في بلاد فارس.

٨ - أضاف ابن حوقل أخباراً جديدة ومهمة على المعلومات التي نقلها من كتاب (المسالك والممالك) للإصطخري. فالمعلومات التي تصلنا من كتابه المسمى بنفس الاسم (المسالك والممالك) حول أسرة (المسافرية) الديلمية التي حكمت فيما وراء القفقاس، على سبيل المثال، هي إعادة لما دونه من سبقه، ويتحدث كذلك عن نتائج حملات الروس على الخزر عندما أقام هو شخصياً في بلاد جرجان (كركان) عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م. وفي كتاب (صورة الأرض) يوضح ابن حوقل مواقع جغرافية مهمة في أرمينيا وأذربيجان والران وما جرى فيها من حوادث تهم هذه الدراسة.

٩ - يحتوي كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير على حقائق هامة عن مدن مختلفة في بلاد الثغور وقد أشار الى الفتوحات الاسلامية هناك أيام الخليفة عثمان بن عفان، ثم يبين حقيقة تواجد الكرد في تلك المناطق، لكنه لم يفضل أخبار الدولة الشدادية الكردية إلا ببعض المقاطع ثم دون شيئاً مختصراً عن الأمير فضلون الكردي، وأشار بغزارة الى أخبار الأيوبيين وذلك لبعده موطنه في كردستان عن أحداث قفقاسيا.

١٠ - أما ابن خلكان (أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس الأربلي الشافعي ٦٠٨هـ - ٦٨١هـ) فقد أشار أحياناً في كتابه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) الى أخبار بلاد أرمينيا وأذربيجان، لكنه تحدث بأسهاب عن الرواديين الذين حكموا في أذربيجان وتنتمي اليهم أسرة صلاح الدين الأيوبي. وفي أجزاء مختلفة من الكتاب شرح ابن خلكان أخبار الأسرة الأيوبية

بشكل وافي وهو كرجل كردي كان له المساس المباشر لدور هذه الأسرة في الأحداث السياسية.

١١ - لقد أخبرنا اليعقوبي (أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ) بحوادث الفتوحات الأولى للمسلمين في بلاد الثغور. ويقول ليسترنج بأن اليعقوبي أنهى كتابه: التاريخ، في سنة ٢٦٠هـ/٨٧٤م، وتنتهي حوادثه بسنوات ٨٧٢م - ٨٧٣م على ما يظهر (Le Strange, Guy., Baghdad. (London, 1900), P. 269). وكتاب التاريخ، اهتم بالفتوح والضرائب وتفاصيل عن ولاية وعمال البريد والخراج في أرمينيا وأذربيجان، هذا في الوقت الذي كان حمزة الأصفهاني قد تبعه عام ٣٥٠هـ بتأليف كتاب (تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء) يشير في فصله العاشر الى تواريخ ولاية طبرستان وأتمه جوتوالد في لايرغ في سنة ١٨٤٤م.

١٢ - وما يجلب الانتباه في هذا المجال مجموعة المدونات والوثائق التي جمعها الكاتب الكردي مسعود بن نامدار (حوالي ١١٠٠م أي بداية القرن السادس الهجري) وهي حصيلة تعدد وتنوع أعماله في المدن الواقعة فيما وراء القفقاس. وقد أتم كتابه بتدوين المعلومات التي تتعلق بتاريخ مدينة الباب (در بند) عندما استقر فيها عند شروانشاه فريرز. واستطاع المستشرق فلاديمير مينورسكي التعرف على المعلومات التي دونها هذا الكاتب من خلال المخطوطة النادرة الوحيدة التابعة للمكتبة الوطنية في باريس (القسم العربي، رقم الايداع ٤٤٣٣) وكتب مقالاً حول هذه المخطوطة مشيراً الى ما تحتويه من وثائق مهمة. انظر:

V. Minorsky., et Claude Cahen, le Recueil Transcaucasien de Masud B. Namdar, Journal Asiatique, (1949), T. CCXXXVII, pp. 93 - 142.

وراجع أيضاً مخطوطة مسعود بن نامدار في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم الايداع ٤٤٣٣:

Paris, Bibliothèque. Nationale, Fonds Arabes, No 4433.

١٣ - أبقى المؤرخ الكردي الفارقي الأزرق معلومات طريفة عن رحلته الى اللان في كتابه عن تاريخ مدينة ميفارقين والدولة الدوستكية الكردية التي قامت فيها. وكان مؤرخنا هذا هو أحمد بن يوسف بن علي بن أزرق المتولد في ميفارقين عام ٥١٠هـ/١١١٧م ينحدر من عائلة كردية معروفة في هذه المدينة. لقد بحث هذا المؤرخ الى الملك

الجيورجي ديميتري في القرن الثاني عشر الميلادي، وكان هذا الملك هو ابن الملك داود، وذكر الفارقي نفسه أنه زار تفليس (عاصمة جيورجيا الحالية) عام ١١٥٤/هـ ١١٥٤م وتجول في مدن أخرى ببلاد الجرجان، ثم صاحب هذا الملك الى بعض المناطق في قفقاسيا. وحفظت مخطوطات الفارقي في المتحف البريطاني للدراسات الشرقية تحت رقم ٥٨٠٣ (BR. Mus. OR. 5803) وأعانت هذه المعلومات عند الفارقي جانباً من الدراسات في كتابنا. هذا بالاضافة الى جولاته بفقاسيا فقد قام هذا المؤرخ بزيارة الى العراق والشام وآميد (ديار بكر) وسجل ملاحظاته الفريدة عن هذه البلدان في مخطوطاته.

١٤ - يحوي تاريخ الطبري (وصاحبه هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، توفي في سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م) أخباراً عن مجموعة من الحوادث التي رافقت مدينة الباب (الدرند) ثم يشير الى تواجد الكرد في أرمينيا أثناء الفتوحات الاسلامية. ويعتبر هذا التاريخ من أكمل التواريخ الاسلامية وأجمعها المنتهية الينا من أوائل المائة الرابعة للهجرة (العاشرة الميلادية).

١٥ - أنهى القزويني (حمدالله المستوفي القزويني) كتابه نزهة القلوب عام ١٣٤٠هـ/١٣٤٠م. وفي مقالته الثالثة (القسم الجغرافي) موضوعات عن ولايات أذربيجان وكردستان وخوزستان وفارس وغيرها من البلدان. وقد أوضح القزويني لأول مرة التكوين الإداري لإقليم كردستان أيام السلطان السلجوقي سنجر، وهذا من الأمور النادرة في التاريخ الكردي واستقينا منه معلومات تتعلق بوصول الترك الى البلدان المذكورة.

١٦ - إذا كان ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان) رسول الخليفة العباسي المقتدر بالله الى ملك الصقالبة لا يتطرق الى أخبار اللان في بعثته الى مدينة البلغار لأنه اتخذ في رحلته نحو نهر إتل (فولغا الحالية) طريقاً لا يؤدي اليها من قفقاسيا وإنما عن طريق إيران وشرق بحر قزوين ماراً ببلاد الترك (تركستان) في أواسط آسيا، لكنه حاول أن يوضح لنا أوضاع الروس والبلغار والخزر من النواحي الاجتماعية والدينية والبناء الاقتصادي لمجتمعاتهم خلال مروره ببلادهم في بداية القرن العاشر الميلادي. وقد استطاع أن يميز جوانب دقيقة من حياة هذه المجتمعات ليقارن بها مجتمعه المتطور آنذاك في بغداد. ومن الواضح فأن البلغار

توجهوا في القرن السابع الميلادي نحو البلقان وما تبقى منهم على نهر إتل أخذوا طريقاً آخر في التطور لم يلعبوا دوراً متميزاً مشهوداً كالخزر والروس في الأحداث التاريخية لبلاد قفقاسيا. وأفادنا كتاب رحلة ابن فضلان في توضيح أحداث شمال قفقاسيا خلال القرون الأولى للإسلام. وقد حقق الاستاذ التركي زكي وليدي طوغان هذا المصدر المهم ونشره بالعنوان التالي: Ibn Fadlan's Reisibericht, (Leipzig, 1939) (AKM, BD. XXIV. HF. 3) ED. Togan A.Z.V. لكن الجويني تطرق بوضوح في كتاب جهان كوشا الى كل من الكيبيجاك والآلان والآس والروس فيما بعد.

١٧ - تطرق أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر شاهنشاه بن أيوب صاحب حماه المتوفى سنة ٧٣٢هـ) في كتابه الجغرافي تقويم البلدان الى مواقع الأقاليم القفقاسية، وقد أورد اسم اللان بصيغة (العلان). وبالرغم من بعض الأخطاء التي وقع فيها في تحديد الأماكن إلا أنه لا يمكن الاستغناء عن هذا الكتاب في مثل هذه الدراسة التي هي تحت أيدينا. وهذا من أشهر البلدانين الكرد كان أميراً ينحدر من الأسرة الأيوبية الكردية التي ترجع الى قبيلة الهذباتية وقد أضاف الى معلومات سابقه مشاهداته.

١٨ - ومن الكتاب المسيحيين الذين تطرقوا الى اللان وأفادت أقوالهم هذه الدراسة هو بار هيرايوس الذي اشتهر عند العرب بـ(أبي الفرج الملطي أو ممفريان كريكوريوس ابن العبري السرياني وعاش فيما بين ١٢٢٦م - ١٢٨٦م). وقد ذكر أن أبناء يافث بن نوح سكنوا في آلايا، الترك، ميديا، أرمينيا، كبدوكيا... والسرمات وغيرها (راجع ص ٧) وأضاف أن في زمن حكم المستكفي بن المكتفي توغل الآلان والصقالبة واللاظ الى أذربيجان واستولوا على مدينة برذعة وقتلوا ما يقارب عشرين ألف رجل (راجع ص ١٦٣). حتى انه أشار الى السكيث الذين استولوا على بلاد فلسطين أيام الملك الآشوري سنحاريب، ثم ذكرهم في القرن الثالث عشر زمن المغول جنبا الى جنب البلغار والروس (راجع ص ٢٥، ٤٥٧، ٤٥٨ وما بعدها) وقد حقق أرنست واليس بوج هذا الكتاب تحت عنوان:

The Chronography of Gregory Abu'l Faraj Bin Hebraeus.
Being the First Part of His Political History of the
World. ED. By Ernest A. Wallis Budge, Vol. I. (Ox-
ford University Press, 1932).

ومع ذلك فقد وردت أخبار أسلاف اللان في العهد القديم، الاصحاح ٥١ وقد ساعدتنا هذه المعلومات بشكل أو بآخر.

١٩ - أما كتاب جامع الدول لمؤلفه (أحمد بن لطف الله أو درويش أحمد أفندي الملقب بمنجم باشي أي رئيس المنجمين) فهو فريد في مجال التعرف على تاريخ بلاد الباب أكثر مما دون أوليا جلبي، الرحالة العثماني في سياحته عن أقوام هذه البلاد وخاصة القيتاخ. لقد بذل البروفيسور فلاديمير مينورسكي جهداً عندما وجد النسخة الوحيدة لهذا الكتاب في استنبول، وبعد تحقيقه بدقة، اكتشف من خلاله حقائق دامغة لقضايا تاريخية لم يطرحها غيره من قبل، وبالأخص ما يتعلق بالسلالات الكردية الحاكمة فيما وراء القفقاس في القرن العاشر الميلادي وبعده. ويقول مينورسكي أن الذين كتبوا حول هذه المنطقة لم يتوقعوا أن تكون الترجمة تركية لكتاب جامع الدول لمنجم باشي الذي كان قد أتمه أحمد نديم في سنة ١٧٣٠م وطبع بعنوان صحائف الأخبار عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م وهو موجز وحيد للعمل الأصلي، جمع وألف بالعربية واتخذ اسم جامع الدول.

كان أحمد بن لطف الله منجم باشي من المقربين إلى السلطان العثماني محمد الثالث، وكتابه لم يطبع، لكن نديم أفندي استطاع أن يطبع ثلاثة أجزاء من الترجمة التركية لهذا الكتاب في استنبول، وكان منجم باشي الذي توفي في مكة عام ١١١٣هـ/١٧٠٢م قد استعمل عدداً ضخماً من المصادر، ومن ضمنها التاريخ المحلي لباب الأبواب وشروان وأزان، الكتاب الذي ألفه (الرفقيه)، وقد ضاع هذا الكتاب فيما بعد.

وبموافقة السيد تحسين أوز مدير مكتبة (طوب كايي سراي) وبمساعدة الدكتور أحمد أتاش، استطاع مينورسكي أن يستنسخ نصوص كتاب جامع الدول الذي كان بشكل مخطوطات تحت رقم ٢٩٥١ وهي مستنسخة من النسخة الأصلية لمنجم باشي نفسه. وبالرغم من أن هذا الكتاب ظل ٦٠٠ سنة يرافق الحوادث، فإن كثيراً من الأسماء الجغرافية والحقائق الأثنولوجية بقيت غير واضحة. لذا استعمل مينورسكي مصادر إسلامية ومسيحية عديدة، كما يذكر هو في تحقيقه للحوادث التي تتخلل حياة الشخصيات السياسية في هذه المناطق فلهذا هو من أهم المصادر التي ساعدتنا على تأليف هذا الكتاب.

٢٠ - ومن المصادر النادرة التي تخص هذه الدراسة كتاب تأريخ الباب أو دربندنامه الذي استقى منه منجم باشي معلوماته على ما يظهر. وعلى حد قول مينورسكي فإن البداية المبكرة لتأريخ الباب مرتبطة بحكم محمد بن خالد المنحدر من السلالة اليزيدية الذي ورد اسمه في الكتاب نفسه. ويتبين أن مؤلف الكتاب استفاد من مدونات محلية كانت تتواجد في مدن أَرَّان وشروان والباب ثم أضاف إليها معلومات محلية كما ترجم تواريخ كاملة دقيقة ترافقها غالباً ملاحظات مختصرة ملائمة لهذه المدونات وسجلت على صفحات إضافية. وبالرغم من عدم معرفة اسم صاحب الكتاب، إلا أن بعضهم نسبته إلى شخص باسم مخصوص الدربندي. راجع:

F. Rosenthal., a History of Muslim Historiography. (Leyden, 1952). P. 385.

ولكن مينورسكي يرى احتمالاً أن صاحب الكتاب هو مسعود بن نامدار الكاتب الكردي الذي سبق ذكره. راجع:

ف. مينورسكي، فصول من تأريخ الباب وشروان. (موسكو، ١٩٦٣)، ص ١٧ بالروسية. وكان أول نسخة من كتاب دربندنامه التي عرفت النور هي تلك التي قدمت إلى القيصر بطرس الأكبر من قبل حاكم الدربند (إمام قلئ) أثناء احتلال المدينة من قبل الروس عام ١٧٢٢م. ثم ترجمت ترجمة جيدة إلى الفرنسية قام بها كلابروث. راجع:

J. Klaproth., Extrait du Derbend-Nameh ou de l'Histoire de Derbend, JA. 2 SER. T. III (1829), PP. 439-467.

ولكن العمل القدير حول هذه الوثيقة التاريخية تم بيد الأكاديمية الروسية عام ١٨٥١م عندما ترجمتها إلى الانكليزية بعنوان:

Derbend-Nameh, Or The History of Derbend, Translated From Turkish Version... And With Notes, ST. Peterburg, Memoires des Savants Étrangers Publiés par l'Academie des Sciences, T.VI, (1851).

واستناداً إلى منجم باشي فإن مصدره تأريخ الباب اكتمل تدوينه نحو عام ١١٠٦هـ/١٧٠٠م كما أن الفقرة الخاصة بالشداديين الكرد، والفقرتين المهمتين اللتين تخصان الباب (الدربند) وشروان قد توقفت الكتابة فيها حوالي عام ١٠٧٥هـ/١٧٥٠م، وهو الزمن المقارب الذي دون خلاله المؤلف الحقيقي مخطوطته. لذا لا يورد

شيئاً عن الشداديين الذين حكموا في آني خلال فترة متأخرة، ومع ذلك فإن من الصعوبة تبيان علاقة هذا المؤلف بمؤلفات (البردعي) الذي كتب عن تأريخ أزان وابن أبي الهيجاء الذي كتب تأريخ أذربيجان لأن جميعها فقدت. ولكن مينورسكي يذكر بأن مؤلف كتاب الدريندنامه عاش في جوار مدينة (كنجه) واستعمل مدونات محلية وكان في عدااء شديد مع المسيحيين ومع ذلك فإنه لم يشعر بشعور أحسن نحو الترك. والفرد يستطيع أن يخمنه كفارسي أو ككردي من أهل المنطقة، وهذا الوضع يقربه من جامع الوثائق المحلية مسعود بن نامدار الكاتب الكردي المجهول. انظر:

V. Minorsky and C. Cahen, *Le Recueil Transcaucasien*, *Journal Asiatique*, (1949), PP. 93-142.

وكتب مسعود بن نامدار مؤلفه بعد أربعين عاماً على وجه التقريب من سقوط نظام الأسرة الشدادية في كنجه، وهي الحادثة التي تتم المصادر الجيدة لكتاب منجم باشي.

٢١ - ومن الكتب الغنية بالمعلومات التي عني بتحقيقها فلاديمير مينورسكي كان كتاب حدود العالم الجغرافي الذي يشمل حقائق وشواهد عن مناطق مختلفة من العالم المعروف خلال القرن العاشر الميلادي. ويظهر من مقدمة الكتاب أنه كان قد أهدي إلى (الأمير أبي الحارث محمد بن أحمد) من سلالة فرغوني التي حكمت (كوزكانان) شمال أفغانستان. انظر:

V. V. Barthold., *Hudud Al-Alam: the Region of the World. Apersian Geography 372 A.N. 982 A.D. Translated and Explained by V. Minorsky*. (London, 1937), P. 172.

وفي الصفحة الثامنة من هذا الكتاب يصف مينورسكي كيفية اكتشاف مخطوطات هذا الكتاب من قبل الضابط الروسي (تومانسكي) في مدينة أشخاباد (عشق آباد) عام ١٨٩٠م وكان اسم النسخ مدون عليها بالصيغة التالية:

«صاحبه كاتبه العبد المذنب المحتاج الى رحمة الله تعالى أبو المو... عبدال...وم ابن...ين ابن علي الفارسي...».

ومن هنا يظهر بأنه «أبو المؤيد عبد القيوم بن الحسين بن علي الفارسي» وقد تم تأليف الكتاب عام ٣٧٢هـ/٩٨٢م ثم استنسخ عام ٦٥٦هـ/١٢٥٦م.

١٢٥٨م، وترجم بارثولد هذا الكتاب من الروسية الى الانكليزية عام ١٩٣٧ الذي أفاد هذه الدراسة التي بين أيدينا بجانب ما أورد صاحب تأريخ كزيده من معلومات حول موضوعنا.

٢٢ - لقد اعتمد مينورسكي أيضاً، في دراساته المختلفة حول تأريخ الشعوب القفقاسية، على مصادر محلية غير اسلامية منها الجيورجية والأرمنية. وقد استقينا بعض المعلومات من هذه المصادر من خلال اشارات مينورسكي إليها في كتابه:

أ - دراسات حول تأريخ قفقاسيا:

Studies in Caucasian History, (London, 1953), I-New Light on the Shaddadids of Ganja. II-the Shaddadids of Ani.

ب - فصول من تأريخ الباب وشروان:

A History of Sharvan and Darband in the 10th-11th Centuries. (Cambridge, 1958).

ومع ذلك فاننا حاولنا التعرف مباشرة على المصادر الأصلية ولم نجد غير شذرات تتحدث باختصار عن مؤلفيها. فالمدونات الجيورجية التي تنطرق الى حوادث القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين كان قد حققها (بروسيه Brosset) وأضاف عليها مينورسكي توضيحات قيمة فتعدلت بدرجة كبيرة. انظر:

M.F. Brosset., Histoire de la Georgie, (1849) I/1,344 (Chart As Ander «2»), and M.F. Brosset., Collection d'Historiens Arméniens., Traduite par M.F. Brosset. T. I-II. SPB., (1874 - 1876).

٢٣ - أما المؤرخ الأرمني من القرن الثالث عشر الميلادي المدعو فاردان (ورتان أو وارطان) المتوفى في ١٢٧١م، فقد ألف كتاباً تاريخياً بدأت أحداثه منذ القدم لحد عام ١٢٦٧م وترجم الى عدة لغات منها الروسية من قبل ن. أمين عام ١٨٦١م والفرنسية من قبل إيشه فارتبيد:

Elise Vartabed, Histoire de Vartan et de la Guerre des Arméniens. Traduction Nouvelle par V. Langlois. Collections des Historiens Anciens et Modernes de l'Arménie par V. Langlois», T. II. (Paris, 1869), pp. 177-251.

كان فاردان (ورتان) عالماً وراعياً متعصباً أرمنياً اختص في القضايا الالهية.

ولد في (باردزيردي) بقبليقيا، وقد قضى جل أوقاته بالتدريس في مدن مختلفة لأرمينيا، وكان مؤرخاً ذا نهج كنسي اقطاعي، وخلف أعمالاً مختلفة منها: شروحات والأناشيد الدينية وترجمات وغيرها. ولعل من أشهر كتبه التاريخ العام يتحدث فيه عن بدأ التاريخ لحد عام ١٢٦٧م وفيه أخبار عن بلاد قفقاسيا وغارات المغول عليها، بالإضافة الى ورود أسماء مؤرخين أرمن في الكتاب سبقوا فاردان نفسه في تأليف كتب التاريخ إلا أن مؤلفاتهم لم تصلنا. ومن الذي حقق هذا الكتاب كل من:

E. Dulaurier., Les Mogols, D'Apres les Historiens Armenians. Fragment Traduits sur les Textes Originaux, «Extrait de l'Histoire univeselle de Vartan», «Journal Asiatique», (1860), 5 Série, T. 16;

M. Brosset., Analyse Critique de l' «Histoire Universelle» de Vardan, «Memoires de l'AC. Imper. de Sciences de ST. PB. (1862) 7 Série, T. 4, No 9.

يتطرق فاردان في التاريخ العام الى الصراع المسيحي - الاسلامي في القرون الأولى للإسلام وانحيازه الى جانب المسيحية ظاهر في كتابه، وقد اعتمد عليه بعد انتقاد وتصحيح تلك الملاحظات كل من المؤرخين أحمد كسروي تبريزي ومينورسكي. وتظهر هذه الملاحظات خاصة في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

٢٤ - أما تاريخ (اسطيفان آسوليك Stephanos Asulik فتنتهي حوادثه في سنة ٣٩٤ هـ وهو أيضاً يتطرق الى نفس الحوادث التي جرت بين النصارى والمسلمين. انظر اليه في:

Asolik de Taron, Etienne, Histoire Universelle, P.1-2, P.1. Traduite de l'Arménien et Annotée par E. Dulaurier, 1883, p. 2. Trad de l'Arm. et Annotée par F. Macler 1917.

وقد ترجم برودهوم من أعمال أريستاكيس حول هذا الموضوع ونشرت بعنوان: aristakes of Lastiverd, Trans, By Prud'Homme.

٢٥ - لا يعرف عن ماثيوس الأورفلي (ماثيو الأديسي) كثير، لكن مدوناته تتعلق بتاريخ أرمينيا فيما بين ٩٥٠م - ١١٣٠م، وتمدنا بمعلومات مفيدة عن الحروب التي سماها بـ(الحروب الصليبية الأولى). ويحتمل أن هذه المدونات كتبت قبل عام ١١٤٠م لكنها تعادي موقف المسلمين من تلك الأحداث وهي في الوقت نفسه غير

مضبوطة ولا دقيقة ولا تعالج أحوال ومواقف البيزنطيين إلا أنها تحتوي على بعض الملاحظات التي تشير الى وقائع حقيقية عن الحملات المسيحية على مناطق شرق آسيا الصغرى ومنها مدينته (أورفة أو الرها أو أديسا)، وقد طبع النص الكامل لهذه المدونات بالآرمنية عام ١٨٦٨م وترجمها الى الفرنسية جان بول دولوري:

Jean Paul Dulaurier, *Récit de la Première Croisade* (1850; Narrative Of the first Crusade).

٢٦ - ومن جهة أخرى فقد استقى ميخائيل جامجيان - وهو مؤرخ أرمني من القرن الثامن عشر - معلوماته عن تأريخ أرمينيا من ماثيوس الأورفلي بدون أن يصحح أخطائه وبذا أورد نصوصاً كاملة عن سابقه وصححها كل من كسروي تبريزي ومينورسكي.

٢٧ - أما كتاب أغوان لمؤلفه موسى كاكا نكاتفاتسي فهو من المصادر المهمة لدراسة تأريخ قفقاسيا برمتها وأورد معلومات عن (سهل بن سنباط) وعلاقته ببابك الحرمي. وتوجد ترجمتان لهذا الكتاب الأرمني، إحداهما ترجمة ك. باتكانوف الى الروسية وكان قد اعتمد فيها على نسخة شاخاتوني الخطية. والأخرى هي ترجمة داوست الى الانكليزية. انظر:

G.J.F. Dowsett., *The History of the Caucasian Albanians*, by Movses Dasxuranci, (London, 1961).

٢٨ - ولا يخفى أن المؤرخ الأرمني الآخر المشهور بموسى الخوريني (موسيس خوريناتسي) الذي عاش فيما بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين أشار في حينه الى بعض الأحداث القديمة التي جرت في بلاده، وأفادت هذه الأخبار دراستنا، ومنها حديثه عن تواجد المار - وهي الصيغة الأرمنية لاسم الماديين - حوالى نهر أراكس منذ زمن الملك الأرمني (تيكران الكبير) في القرن الأول قبل الميلاد.

يعتبر موسى الخوريني أول من دون تأريخ الأرمن منذ أقدم العصور لحد عام ٤٢٨م. مستخدماً المصادر الاغريقية والشرقية المستقاة من القصص والأساطير القديمة. ونرى أنه في الوقت الذي حاول في تأريخه المشهور الكتاب الأول، (الفصل ٣٠) أن يربط بين مختلف الأساطير الأرمنية والایرانية، يجعل من الملك تيكران الكبير الأرمني، وبدافع التعصب، حليفاً لكورش في انتصاره على ملك الماديين

(أزدهاك) في القرن السادس قبل الميلاد، في حين هناك فرق زمني بينهما يقدر بخمسة قرون، وهذا مثل من جملة أخطائه في تدوين الأحداث.

يقع كتاب موسى الخوريني في ثلاثة أجزاء، طبع لأول مرة عام ١٦٩٥م وقد اطلعنا على هذه الطبعة في مكتبة ليدن الحكومية بهولندا عام ١٩٧٧م بمساعدة أحد الزملاء الأرمن العاملين في تلك المكتبة، واستفدنا من بعض فصوله. ومن الجدير بالذكر أن هذا المؤلف التاريخي القديم قد ترجم الى عدة لغات أوروبية ومنها الروسية من قبل ن.و. أمين تحت عنوان:

Moisey Khorenskiy, Per. Emina-Istoriya Armenii Moiceya Khorenskogo. Noviy Perevod N.O. Emina, M. 1893 (Etnogr. Fond N.O. Emina. VIYP. 1. IZD. LAZ. Inst. vost. YAZ.).

وهناك طبعة سوكري في البندقية:

Geographie de Moise de Coréne d'Apres Ptolémée. Texte Arménien, Traduit en Francais par Arsene Soukry, (Venise, 1881).

٢٩ - ومن جهة أخرى هناك مؤرخ أرمني آخر اشتهر باسم (ليو) كتب مجلدات ضخمة عن تأريخ أرمينيا تناول فيها لا تأريخ هذا البلد فحسب، وإنما كل ما يتعلق بأحداث وصلات هذا البلد بالبلدان المجاورة له والبعيدة عنه. ويسرد ليو في مجلداته روايات مؤرخي القرون الوسطى على علاقتها دونما تمحيص أو تعليق، وفي عاصمة أرمينيا يريفان ترجم هذا الكتاب الى الروسية عام ١٩٤٧م.

٣٠ - وأخيراً لا نود الإشارة مفصلاً الى المراجع المتعددة التي اعتمدنا عليها بلغات متعددة دونها ضمن الملاحظات في نهاية دراستنا هذه، لكننا لا بد أن نشم جهود كل من الأستاذين المرحومين أحمد كسروي تبريزي وفلاديمير مينورسكي اللذين بذلا جهداً مشكوراً في توضيح كل ما يتعلق بدور الكرد الروادية والشدادية في تأريخ ما وراء القفقاس بجانب المعلومات التي استقيناهما من دياكونوف في كتابه عن الميدين وفلجيفسكي في كتابه عن الكرد وخاصة المواضع التي تتعلق بالسكيث.

لقد ألف الأستاذ أحمد كسروي تبريزي (عضو الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية وعضو الجمعية الآسيوية الأميركية) باللغة

الفارسية ومنذ عام ١٩٢٨م كتاب شهرياران كمنام (الحكام المنسيون) المكون من ثلاثة أجزاء، خصص الجزء الثالث منه للتحديث عن شداذي كنجه الكرد مع وصف المناطق التي حكموها في كل من أرمينيا وجورجيا وأزبان، وقد استند في آرائه، بالإضافة إلى الكتاب الأرمن، على بعض المصادر الإسلامية وبالأخص كتاب منجم باشي، واعتمد لأول مرة هذا المؤرخ الجليل على قصائد الشاعر (قطران) التي امتدح فيها الحكام الكرد في تلك البلاد.

أما الجزء الثاني من هذا الكتاب فيحتوي تأريخ الامارتين الكرديتين في أذربيجان (الروادية والأحمديلية) في حين خصص الباب الأول منه للتحديث عن الديلم (جستانيين، كنگريان، سالاريان) بشكل دقيق وسلط ضوءاً على دور هؤلاء في طبرستان والمناطق التي تقع جنوبي بحر قزوين. وتعتبر الأجزاء الثلاثة لهذا الكتاب من المراجع المهمة لتأريخ بلاد ما وراء القفقاس. وقطران هو كنية الشاعر الحكيم شرف الزمان أبي منصور قطران التبريزي الأزدي عاش فيما بين ٤٢٥هـ - ٤٦٥هـ/١٠٣٤م - ١٠٧٢م وألف قصائد كثيرة في مدح حكام بني الرواد الكرد في أذربيجان وكذلك حكام بني الشداد في أزبان. ويمكن استنتاج حقائق تاريخية جيدة من أبيات هذا الشاعر، وقد ناقش مينورسكي تلك الحقائق في كتابه: (دراسات حول تأريخ قفقاسيا. Studies on Caucasian History. (London, 1953). لقد جمعت مقالات ودراسات أحمد كسروي تبريزي في مؤلف مستقل من قبل يحيى ذكاء وعددها ٧٨ رسالة ومقال وطبع بعنوان كارولد كسروي في طهران ٢٥٣٦ المصادف ١٣٥٢ شمسي.

ولا أرى حاجة هنا أن أجلب انتباه القارئ الكريم إلى مجموعة الأعمال الاستشرافية التي قام به مينورسكي فلاديمير ثيودوروفيتش) وخاصة ما يتعلق بالشعوب القفقاسية وما وراء القفقاس من الكرد وغيرهم. فبعدما أنهى دراسته في كلية الحقوق في جامعة موسكو عام ١٩٠٠م ومعهد لازاريف للغات الشرقية عام ١٩٠٣م التحق مينورسكي بالسلك الدبلوماسي في وزارة الخارجية الروسية في كل من إيران وتركيا مما مكّنه من تعلم بعض اللغات فيها، ثم استطاع أن يراقب الحياة الكردية فيها بدقة، ونشر جانباً منها بالروسية في مؤلفة الكرد، ملاحظات والطباعات، (بتروكراد، ١٩١٥م)، لكنه بعد ثورة أكتوبر ارتحل إلى فرنسا عام ١٩١٩م وفي ١٩٣٠م استقر كلياً في

انكلترا حيث أصبح عضواً في أكاديمية العلوم البريطانية، وعضواً في أكاديمية العلوم الفرنسية ومشاركاً في عضوية جمعيات عديدة. وخلف هذا العالم الجليل وراءه مجموعة من دراسات نادرة لا تزال تفتقر إليها المكتبتان العربية والكردية ومنها كتاباه:

1 - V. Minorsky., *Studies on Caucasin History*. (London, 1953).

2 - V. Minorsky., *A History of Sharvan and Darband in the 10th-11th Centuries* (Cambridge, 1958).

وقد أفادنا هذان الكتابان بشكل جدي واستقينا منهما حقائق عن دور الكرد وغيرهم من الأقوام في البلاد القفقاسية.

هذا بالإضافة الى ما نشره المؤرخ الكردي الجليل المرحوم حسين حزني المكرياني من دراسات حول تاريخ أذربيجان وقفقاسيا مستنداً على آراء المؤرخين السابقين له حيث ملئت بعض الثغرات في كتابنا.

وفي نهاية هذه المقدمة لا يسعني إلا أن أدعو الباري عز وجل لتسهيل أمري وأن يوفقني لخدمة الأهداف السامية للانسان في مجال المعرفة والعلم(*).

الدكتور

جمال رشيد أحمد

كركوك ١٣ تموز ١٩٨٣

(*) أعيدت كتابة هذه المقدمة مرة أخرى في بلدة شقلاوة في العراق يوم ٢٥ تموز من عام ١٩٩١ ثم أعيد النظر بالأسماء السائدة أيام الحكم السوفييتي في القفقاس ضمن محتوى الكتاب وتم بعون الله في هولندا يوم الأول من شهر كانون الأول من العام نفسه.

لمحة عن بلاد الزّان والباب وشروان

١ - قفقاسيا

في قفقاسيا (القوقاز Caucasasia)، المنطقة التي تقع في غرب قارة آسيا، تعتبر السلاسل الجبلية التي تمتد فيها من البحر الأسود في الغرب والمتجهة نحو بحر قزوين (الخرز) في الشرق والجنوب الشرقي، من العوارض الطبيعية التي حددت التوزيع الجغرافي والأثنولوجي لكثير من الأمم التي حاولت تغيير مواطنها عبر العصور. تلك الظاهرة التي نتجت عن ضغوط أتنها من جموع الوحدات الرعوية الرحالة لشعوب آسيا الوسطى وشرق بحر قزوين، وكانت بلاد الباب وشروان في قفقاسيا المنفذ الوحيد ضمن تلك العوارض الطبيعية التي من الصعب عبورها. لذلك توجهت أغلب الجموع الشمالية أخيراً، وبمراحل تاريخية متعددة، نحو السهوب الشاسعة التي تقع الى جهة الجنوب من روسيا الحالية، ثم توزعت في وديان أنهار (الدون Don والدينبر Dineper والدنيستر Dinester، وحتى نهر الدانوب Dunab) في أواسط قارة أوروبا. ويظهر أن بعض الأمم حاولت في بعض الأوقات اختراق بلاد الباب وشروان ومضائق السلاسل الجبلية للقوقاز، تلك السلاسل التي تتخللها وديان سحيقة وقمم عالية وأنهار ذات فروع متشعبة كنهري الكرّ Kurr وآراس (آراكس Araxes) اللذين يلتقيان معاً في المنحدرات الواقعة غربي بحر قزوين في منطقة سهلية، وكان اللان وأسلافهم من السكيث هم أشهر قوم حاولوا

المرور من هذه المناطق عبر التاريخ، كما ارتبط أبناؤهم بعدة روابط مادية وروحية مع شعوب المنطقة بأسرها خلال مراحل تطورهم المعقد. ولأجل معرفة الأوضاع الجغرافية والبشرية في تلك المنطقة أثناء ذلك التطور، يجب أن نتعرف على البلاد المحصورة بين بحري الأسود وقزوين التي اشتهرت بقفقاسيا وظروفها الخاصة.

تقدر هذه البلاد على العموم الآن بحوالي ١٧٠,٠٠٠ ميل مربع، أي ما يساوي ٤٤٠,٠٠٠ كم^٢ ويغلب عليها الطابع الجبلي، وإن أعلى قمة فيها هي قمة (برون) التي تصل إلى ١٨,٥١٠ من الأقدام أي ما يساوي ٥,٦٤٢ متراً^(١). وتتصل هذه الجبال ببعضها كسلسلة تنحدر من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، مكونة حاجزاً طبيعياً منع اتصال الأقوام التي عاشت في شمالها مع الذين سكنوا فيما وراءها^(٢). وفي الوقت نفسه كان هذا الواقع الطبوغرافي سبباً من الأسباب التي ميزت هذه البلاد بتعدد اللغات فيها منذ أزمنة قديمة. وقد أشار المسعودي إلى ذلك في حينه قائلاً: «في هذا الجبل اثنتان وسبعون أمة، كل أمة لها ملك ولسان بخلاف لغة غيرها»^(٣). والآن فإن واقع سكان هذه البلاد لا يزال يتميز بالحالة نفسها. ومهما يكن فإن أشهر الدول في قفقاسيا الآن هي جيورجيا - بلاد الكرج (الجزر) - وأرمينيا (هاستان) وأذربيجان (آتورايكان). فجيورجيا تقع في

(١) Encyclopedia Britanica, BD.III Caucasian Languages.

(٢) يستعمل سكان شمال قفقاسيا، ومنهم الروس، تسمية (قفقاسيا الأمامية) للدلالة على المناطق التي تواجههم من جهة الشمال لجبال قفقاسيا الواقعة بين بحري الأسود وقزوين. أما البلاد التي تقع جنوب سلسلة هذه الجبال فإنها، بالنسبة لهؤلاء، بلاد ما وراء القفقاس التي اشتهرت في أوروبا تحت مصطلح عام بصيغة Transcaucasus. لكن بالنسبة لشعوب جنوب قفقاسيا من الكرد والترك والأرمن فإن استعمال المصطلحات المعاكسة لهذا المفهوم هو الأصح.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تدقيق ووضع وضبط الأستاذ يوسف اسعد داغر، الجزء الأول (بيروت، ١٩٦٥)، ص ١٩٨. وقد ذكر الجغرافي اليوناني سترابو قبل المسعودي بألف عام تقريباً أن في قفقاسيا يعيش سبعون أمة ويتكلمون بلغات متباينة أنظر: Strabo , Geography. X,2,16.

المقاطعات الشرقية للبحر الأسود، أي مباشرة جنوبي السلاسل العظيمة التي تتشكل منها الجبال القفقاسية، وتحاذي المناطق الامامية لقارة أوروبا في الشرق، وكانت تعتبر إحدى الجمهوريات السوفياتية التي تشتهر بسهولها المسماة بـ (كولخيدا) وهي (كولخيس) القديمة. ان مساحة هذه الجمهورية الآن (٢٦٩٠٠ ميل مربع) أي ما يعادل (٦٩٧٠٠ كم٢) وإن ٨٥٪ من أراضيها هي جبلية، ونفوسها حسب تعداد عام ١٩٧٠م تقارب من ٤,٧٠٠,٠٠٠ نسمة.

عاصمة هذه الجمهورية هي (تفليس) وتشمل منطقتين ذواتا حكم ذاتي، وهما الجمهورية الأبخازية وعاصمتها (سوخومي) والأخرى مقاطعات (أوسيتين) التي يسكنها أخلاف اللان القدماء.

أما جمهورية أرمينيا (أرمينية)، فتحتل منطقة جنوب السلاسل العظيمة لقفقاسيا مباشرة، وهي جبلية علي العموم وترتفع ٥,٩٠٠ قدم عن سطح البحر وعدد سكانها الآن ٢,٥٠٠,٠٠٠ نسمة ومساحتها ١١,٥٠٠ ميل مربع (٢٩,٨٠٠ كم٢) وتحدها من الشمال والشرق كل من جيورجيا وأذربيجان، ومن الجنوب والغرب كل من إيران وتركيا، وتبعد عن البحر الأسود ١٠٠ ميل غرباً وعن بحر قزوين ١٥٠ ميلاً شرقاً، وهي جزء من أرمينيا القديمة التي كانت مركزاً من مراكز الحضارة، وعاصمتها (يريفان) وقد حدث في الآونة الأخيرة صراع حاد بين الأرمن والأذربيجانيين حول منطقة نكورني قره باغ والتي كانت قديماً موطناً للكرد الشداديين وتقع الآن داخل جمهورية أذربيجان.

يتكون القسم الشمالي الغربي لبلاد أرمينيا من مناطق عالية يتقدمها جبل أراكاتس وأعلى قمة فيه تصل الى ما يقرب من ١٣,٤٠٠ قدم (٤١٠٠ م) فوق سطح البحر. وفي هذه المناطق وديان سحيقة تتخللها سهول منخفضة، وفي الشمال والشرق تحاذي جبال سومخيت، بازوم، بمبك، أراكوني، سيفان، فاردانيس وزانزكوير جبال قفقاسيا السفلى. وتقع بحيرة سيفان في القسم الشرقي من

جمهورية أرمينيا السوفياتية، كما أن سهل (آارات) يقع في الجنوب الغربي، أي جنوب جبال (أراكاتس وكيكام) ويقطع نهر أراكس هذا السهل المهم الذي يقع نصفه في كل من تركيا وإيران حالياً. وكان لاسم أرمينيا قديماً مفهوم جغرافي شمل أقواماً عديدة ومنهم الكرد. لكن جمهورية أذربيجان السوفياتية كانت تحتل المناطق الجنوبية من قفقاسيا وكانت تحدها من الجنوب إيران، ومن الشرق بحر قزوين، ومن الغرب أرمينيا وجورجيا، ومساحتها ٣٣,٤٠٠ ميل مربع (٨٦٦٠٠ كم٢) وعاصمتها (باكو) وهي ميناء اقتصادي هام. وإن ٤٠٪ من مساحة البلاد هي سهلية والبقية تتكون من جبال أشهرها بازارديوزي (٤٤٦٦ م) وشخ داغ (٤٢٤٣ م) وتوفان (٤٢٠٥ م) وهي جزء من جبال القفقاس التي تكوّن الحدود الشمالية للجمهورية، ويحاذي القسم الجنوبي فيها جبال تاليش (طاليش). ويحوي السهل الواقع في الأراضي المنخفضة لنهري الكرّ وأراكس مدن (شروان وميلس قايه وموقان) وغيرها. وما عدا الكرج والأرمن والآذر، يعيش في هذه الجمهوريات كل من الأقوام التالية: الأوسيتيون ٣٧ ألف نسمة، الكرد ٥٠٠ ألف وهم من المسلمين، أما اليزيديون منهم فعددهم ١٥٠ ألف نسمة، وقد جاءت الأنباء عام ١٩٩١ بعد اصلاحات الرئيس غورباتشيف في الاتحاد السوفياتي أن عدد الكرد في هذه البلدان يقارب المليون نسمة ثم الطالاش ٨٩ ألفاً ويعيشون على بحر قزوين، والثات ٨٦ ألفاً في داغستان، واليونان ١٥٢ ألفاً في جورجيا، بجانب بضعة آلاف من العجر في أرمينيا وأذربيجان.

أما لغات شعوب قفقاسيا عموماً فتنتهي الآن الى عوائل متباينة، منها الهندية الأوروبية كالأرمنية والأوستية (لغة اللان) والطلايشية والتاتية والكردية^(٤) وما عدا الأرمنية فإن اللغات الباقية قريبة فيما بينها، لأنها تدخل ضمن عائلة فرعية اشتهرت بـ (الايروانية الشمالية الغربية)

(٤) حول تفصيلات هذه اللغات راجع الفصل الرابع من هذا الكتاب.

وسوف نتطرق الى تفاصيلها في أماكنها الخاصة من هذه الدراسة. وهناك مجموعة أخرى تدخل ضمن أرومة اللغات التركية كالأذرية، الكوميكية، نوغالي، كره جاي والبلكارية ولغات أخرى. ولعل مجموعة اللغات التي تشتهر بالاييرية - القفقاسية هي التي تتميز بها بلاد قفقاسيا ولا تدخل ضمن أية مجموعة لغوية أخرى في العالم، وقد صنفّت هذه اللغات في ثلاث عوائل هي القفقاسية الشمالية الغربية (اللغات الأبخازية - الأديكية) والشمالية الشرقية (لغات الناخو - الداغستانية) والجنوبية (الكرتفالية) وتسمى أيضاً بـ(الاييرية)^(٥).

تشمل عائلة اللغات الكرتفالية كلاً من اللغة الجيورجية المنكريلية (الميكريلية) واللاظ (جان) وسفان. ويطلق الجيورجيون على لغتهم تسمية (كرتولي إنا) وهي لغة الأدب، وتتداول عامة في جيورجيا. وهناك ١٤ قرية قرب أصفهان في إيران يتكلم سكانها بهذه اللغة، بالإضافة الى مناطق أخرى في كل من تركيا وأرمينيا وغيرها من البلدان. ويظهر أن صيغة (الجيورج) قد اشتقت من كلمة (الكرج) التي تتداول في الكردية واللغات الإيرانية الأخرى وتعني (قوي البنية أو رشيقاً) وكانت صيغتها القديمة المحورة في العربية (الجرز) وظهرت في الروسية بشكل (كروز Gruz) فيما بعد. أما الاصطلاح الشعبي (إييري) ذو الأصل اليوناني، فهو مشتق من التسمية الإيرانية القديمة إييريا التي سماها العرب بلاد الجرزان (بلاد الجيورجيين) ومن بين جميع لغات هذه المنطقة، كان للجيورجية فقط أدب قديم مدون منذ القرن الخامس الميلادي واشتقت ألفباء الكتابة لذلك الأدب من الألفباء الآرامية التي كانت قد تطورت حسب الحاجات التي تتطلبها وضعية وقواعد لغتهم.

(٥) دائرة المعارف البريطانية، الموضوع نفسه. أما عن اللغة الآفارية (لازكية) فراجع البحث الذي قدمه كراهام في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية:

Cyril Graham., The Avar Language, J.R.A.S. Vol. XIII (London, 1881).

أما عن لغة كوباجان انظر باللغة الروسية المصدر التالي:

A.A. Maganitov, Kubachinsky Yazik. (Tibilisy, 1963).

أما اللغات المنكريلية - مركلوري نينا - واللاظية - لازوري نينا - والسفانية - لوشنوين - فتستعمل كل هذه اللغات في شمال نهر ريوني وعلى سواحل البحر الأسود ولحد داخل الأراضي التركية وكذلك في جنوب جبل البروز. وبعد أن درس العالم اللغوي الروسي (نيكولاي مار) هذه اللغات في بداية القرن العشرين، غدا من الممكن تقسيمها بشكل عام الى المجموعات التالية:

أ - المجموعة الشرقية وتنقسم الى ثمانية فروع هي:

- ١ - فرع الجيجين، وتتصدره لغة جيجين (ججان) ويتكلم بها سكان المنطقة الواقعة بين تيريك وداغستان.
- ٢ - آفار، آندي، اثنتا عشرة لغة يتداولها سكان غرب داغستان وتتصدرها لغة الآفار ويطلق عليهم الروس اسم لازكيان وهم (اللكز) عند البلدانيين والجغرافيين المسلمين.
- ٣ - درغي، وهي لغة سكان شرقي داغستان.
- ٤ - سامور (سمور) وهي منطقة في جنوب داغستان، فيها لهجات تتصدرها لغة كوري بقرب مدينة دربند (الباب).
- ٥ - لك أو كاسي كوموك، تتداول في أواسط داغستان.
- ٦ - آرتجي، وهي اللغة التي يتكلمها سكان قرية واحدة فقط تقع في أواسط داغستان.
- ٧ - هينالوغ، وهي لغة سكان قرية وحيدة تقع قرب شاه داغ.
- ٨ - أودي، وهي لغة قريتين قرب مدينة نوخا.

ب - المجموعة الغربية، وتنقسم الى ثلاثة فروع وهي:

- ١ - لغة منطقة أبخاز في سوخوم قه لا.
- ٢ - لغة أوبيخ في منطقة سوتحي، وتحدث بها الآن كذلك مجموعة من العوائل في تركيا.

٣ - أدبك بلهجتيا (كاباردي) التي تتداول في منطقة (كابارده) وخاصة في مدينة (تالتجيك) ولهجة (كياخ) أو الجر كسية في منطقة كوبان والمناطق القفقاسية التي تقع على سواحل البحر الأسود الشرقية.

■ ج - المجموعة الجنوبية وتنقسم الى الفروع التالية:

١ - الجيورجية بلهجاتها المتعددة.

٢ - مينكيرلي واللاظ.

٣ - سيفانيت، الشرقية والغربية.

وعلى العموم فقد ذكرت تسمية قفقاسيا في التأريخ لأول مرة بصيغة Kaukasos في المدونات اليونانية واللاتينية، وهي الصيغة المتداولة لحد الآن في جميع الخرائط العالمية واللغات الأوروبية. ويعتقد أن أصلها يرجع الى (كزكن) الاسم الذي أطلقه الحثيون على أحد الأقوام الساكنة قرب سواحل البحر الأسود الشرقية، وتطورت منه هذه التسمية فيما بعد^(٦).

أما البلدانيون المسلمون فقد قصدوا بالقبق (القبح) بلاد القوقاز أو قفقاسيا هذه، وكان بمرور الزمن، يتوسع مفهوم هذا الاصطلاح على قدر كثرة المعلومات المتأتية عن الاحتلال العربي فيها وتوسع المعلومات الجغرافية عند السائحين اليها.

(٦) دائرة المعارف البريطانية، مادة Caucasia لقد اشتهر الأدبك أو الجر كس (وهم الأدبك في المناطق السفلى المشهورون بالشراكسة وكذلك الكاباردين الذين تقدر نفوسهم الآن في الاتحاد السوفياتي بأكثر من ٣٠٠ ألف نسمة، في المؤلفات الروسية باسم كاسوك أو كاساك. وعلى رأي المستشرقين فإن هذا الاسم يرادف اسم (كاشكا) الذي ورد في مدونات تيكلات بلاصر الأول الآشوري (١١١٥ - ١٠١٧ ق.م). وانظر كذلك كتاب، حدود العالم، تحقيق وتوضيح وترجمة ميسينورسكى:

Hudud Al-Alam, Translated and Explained by V. Minorsky (London, 1937), p. 446.

وهكذا يذكر المسعودي (٣٣٢هـ/٩٤٢م) ان:

«جبل القبخ جبل عظيم، وصقعه جليل، وقد اشتمل على كثير من الممالك والأمم...».

على حد قوله. ويضيف ان:

«هذا الجبل ذو شعاب وأودية، ومدينة الباب والأبواب على شعب من شعاب بناها كسرى أنوشروان وجعلها بينه وبين الخزر، وجعل هذا السور من جوف البحر على مقدار ميل منه ماداً إلى البحر...».

ثم يقول انه:

«جعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور أو أقل أو أكثر على حسب الطريق الذي جعل الباب من أجله باباً من حديد وأسكن على كل باب من داخله أمة تراعي ذلك الباب وما يليه من السور، كل ذلك ليدفع أذى الأمم المتصلة بذلك الجبل من الخزر واللان وأنواع الترك والسرير وغيرهم من أنواع الكفار...»^(٧).

وقد اشتهر من بين هذه الأبواب التي ورد اسمها عند أغلب البلدانيين المسلمين (باب اللان) وهو تعريب لاسم (دزيال) المشتق من (درى آلان) الذي ظهر ودون منذ بداية العصر الساساني. لذا أشار المسعودي الى ذلك بقوله:

«ان بين مملكة اللان وجبال القبخ قلعة وقنطرة على واد عظيم يقال لهذه القلعة باب اللان...».

(٧) المسعودي، المصدر نفسه. أما ابن الاثير فقد أشار إلى الموضوع نفسه قائلاً: «ان قباذ بنى سوراً في أرمينيا وأذربيجان فلما توفي وملك ابنه أنوشروان... بنى مدينة الشاهبوران ومدينة مسقط، ومدينة الباب والأبواب، وإنما سميت أبواباً لأنها بنيت على طريق في الجبل... وبنى باب اللان». وأضاف: «ان قباذ بنى بأران مدينة البيلقان ومدينة البرذعه وهي مدينة الثغر كله وغيرها. وبقي الخزر، ثم بنى سد اللان فيما بين أرض شروان وباب اللان، وبنى على السد مدناً كثيرة خربت بعد بناء باب الأبواب». انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، الجزء الأول (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧). ص ٢٤٢، ٢٥٩، وفي صفحة ١٦٠ من المصدر المذكور حدد ابن الاثير بلاد اللان بين أرمينيا وبلاد الخزر.

وعند الحديث عن مدن ونواحي قفقاسيا (بلاد القبق) فقد جمع البلدانيون المسلمون أخبار أرمينيا والران وأذربيجان معاً في موضوع واحد. لذلك فقد حدد الاصطخري (٣١٨ - ٣٢١ هـ/٩٣٠ - ٩٣٣ م) أقاليم ومدن هذه البلاد بشكل واضح قائلاً:

«أما أرمينية والران وأذربيجان فإن جمعناها في صورة واحدة وجعلناها إقليماً واحداً والذي يحيط بها مما يلي المشرق الجبال والديلم وغربي بحر الخزر والذي يحيط بها مما يلي المغرب حدود الأرمن واللان وشيء من حد الجزيرة والذي يحيط بها مما يلي الشمال اللان وجبال القبق والذي يحيط بها مما يلي الجنوب حدود العراق وشيء من حدود الجزيرة...».

ثم يضيف مشيراً إلى:

«ان المدن أردبيل، مراغه، أرميه، الميانش، الخونج، أجن، ذاحراقان، خوى، سلماس، مرند، تبريز، بزرزند، ورثان، موقان، جابزوان وأشنه فإنها مدن صغار متقاربة في الكبر. أما جابروان، تبريز وأشنه الآذرية فإن هذه الثلاث مدن وما تحتف به تعرف بالرديني، أما برذعه فإنها مدينة كبيرة جداً تكون أكبر من فرسخ... وعلى باب برذعه - ويسمى باب الأكراد - سوق يسمى الكزلي...»^(٨).

وفي الحقيقة كان هذا السوق يقام كل يوم أحد من الأسبوع. وقد

(٨) الاصطخري، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبدالعال الحسيني، مراجعة محمد شفيق غربال (القاهرة، ١٩٦١)، ص ١٠٨، ١٠٩.

لقد أعاد ابن حوقل الكلام نفسه عند تحدته عن بلاد أرمينيا وأذربيجان والران. وحول هذا السوق يقول ان: «الناس يجتمع فيه كل يوم أحد ويتباهونه من كل مكان وأوب، ويجتمع فيه أهل القرى حتى يكاد يداني سوق كورسره وقد غلب اسم السوق على اسم اليوم لدوامه وقولهم يوم الكركي حتى ان كثيراً منهم إذا عد أيام الجمعة قال الجمعة والسبت والكركي والاثنين، يريد بالكركي الأحد». انظر: ابن حوقل، كتاب صورة الأرض (بيروت)، ص ٢٨٥.

لقد اشتق الاسم في الواقع من الصيغة اليونانية قورياقوس Kuriakos (يوم الرب) أنظر: G. le Strange, The Land of the Eastern Caliphate (Cambridge, 1905), p. 117.

اشتق هذا الاسم محلياً من الكلمة اليونانية (كورياكوس) أو (كورياكي) بمعنى (إلهي أو ربّاني) بناء على الاعتقاد السائد في الكنائس الشرقية الذي يشير إلى أن السيد المسيح صعد إلى السماء يوم الأحد. وقد تواجدت هذه الكلمة في اللغة الأرمنية بالمعنى نفسه بصيغة (كيراكي) أو (كيوراكي) التي تعني يوم الأحد ولكنها ظلت في الكردية كاسم علم (قرياقوس)، علماً أن الصيغة القديمة لاسم السوق لا تزال تستعمل في أذربيجان وخاصة حوالى مدينة تبريز ويقال له الآن (قارقا بازار) أي سوق قارقا.

ومن جهة أخرى فإن سكان إقليم آران الذين كانوا يتداولون لهجة من اللهجات الإيرانية لكنهم نصارى، فقد ظل أحفادهم الآن في (لاهيجان) يعدّون أيام الأسبوع كالآتي: شمبي، كراكي، دوشمبي، سه شمبي، جارشمبي، بنج شمبي، أرنه (آدينه).

وفي الواقع كانت المجتمعات الإيرانية القديمة تحدد يوماً خاصاً من أيام الأسبوع للتسوق فيذكرنا ياقوت الحموي بسوق الأربعاء في خوزستان على غرار سوق الثلاثاء الذي كان يقام بقرب مدينة بغداد الحالية، كما يذكرنا الاصطخري بسوق الكركي الذي كان يقام بباب برذعه (دير كردان = باب الأكراد) وهذا ما ساد في البلاد القفقاسية أيضاً.

أشار ابن خرداذبه ٢٣٢هـ/٨٤٦م إلى أحوال هذه البلاد التي اشتهرت بالقبق قبل أي مؤرخ أو بلداني إسلامي آخر، مستنداً على بعض المصادر الساسانية التي ظلت محفوظة إلى زمانه، مشيراً إلى أن الباب يؤدي إلى شعاب جبال القبق، مثلما وضع ابن الفقيه سبب تسمية الموقع بالباب، لأنه بني في الممرات الجبلية من الدربند نحو باب اللان، لكون اللان من أشهر الأمم التي حاولت اختراق هذا الممر الحيوي الضيق الواقع بين بحر الخزر وجبال القبق. وفي كتاب «صورة الأرض» لابن حوقل، تظهر سلسلة جبال تبتديء من عند الباب آخذة إلى اليسار وكتب موازياً لطرفها الأعلى نواحي اللان وجبل القبق والسريرو وما جاور ذلك من الأمم. ويتصل بالجانب الأسفل من المدن:

بلاد القيق (القوقاز) في القرن العاشر الميلادي



اللايجان، قبيصي، شكى، قبله. ورسم من أسفل ذلك نهر الكر الذي ينصب في البحر وتقع على هذا النهر متصلة بالجبل مدينة تفليس ثم برداج، ويأخذ طريق من الشايران على مدينتي شروان والشماخية الى برداج ثم الى برذعه. ويأخذ من برذعة طريقاً آخر الى تفليس عليه جتزه، شمكور، خنان، القلعة، وكتب في هذه الساحة الران. وحد ناحية الران من أسفلها نهر الرس وعليه مدينة ورثان وتقع عن يمين ورثان قرب النهر برزند والطريق الآخذ من برذعه الى برزند يمر بعدها على أردبيل والميانج والخونج الى زبخان. وكتب في الساحة تحت نهر الرس أذربيجان وفي قسم من البر داخل في البحر عند منتهى هذه الكتابة موقان. وبعدما يوضح مواقع مدن أرمينيا وأذربيجان وأحوالها يعود ابن حوقل فيقول:

«ومدينة برذعه فهي أم الران وعين تلك الديار لم تزل على قديم الزمان كبيرة...».

ويضيف قائلاً:

«وليس بالران مدينة أكبر من برذعه والباب وتفليس، فأما البيلقان وورثان وبرديج والشماخية وشروان واللايجان وشايران وقبله وشكى وجتزه وشمكور وخنان فهي ممالك صغار ومدن لطاف متقاربة في الكبر خصبة واسعة المرافق...».

ثم يصف تفليس (عاصمة جيورجيا السوفياتية):

«بأنها مدينة دون باب الأبواب في الكبر وعليها سوران من طين، ولها ثلاثة أبواب... وهي ثغر جليل كثير الأعداء من كل جهة، وبها حمامات كحمامات طبرية ماؤها من غير نار وهي على نهر الكر... والآن فهي بيد الكرج أخذوها في العشر الأخير من سني خمسمائة. أما شمكور بفتح أوله، وسكون ثانيه، والكاف والواو الساكنة، وراء، قلعة بنواحي أران، بينها وبين كنجه يوم وأحد عشر فرسخاً، وكانت شمكور مدينة قديمة فوجه اليها سليمان بن ربيعة الباهلي بعد فتح برذعه في أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه، من فتحها فلم تزل مسكونة معمورة حتى خربها السناوردية، وهم قوم (في الواقع هم كرد - ج.ر) تجمعوا أيام انصرف يزيد بن أسيد

عن أرمينية فغلظ أمرهم وكثرت بوائقهم، ثم أن بُغا مولى المعتصم عمرها في سنة ٢٤٠، وهو والي أرمينية وأذربيجان وشمشاط، وسماها المتوكلية...^(٩).

واليوم إذا ألقينا نظرة على جبال قفقاسيا الرئيسية الممتدة نحو الجنوب الشرقي، نرى أنها تتفرع الى سلسلتين، تتجه الشعبة الأولى منهما نحو مدينة (باكو) الحالية عاصمة أذربيجان السوفياتية، والثانية تتجه نحو الشمال الشرقي قليلاً وتمتد لحد مصب نهر (كوى صو)^(١٠). وبين فروع هذا النهر جنوباً والسلاسل الجبلية المذكورة التي تفصل الحوض الجنوبي لأنهار (سامور وقاسم كنده وروباس) من نهر (كوى صو) ظهرت مدينة دربند (الباب) في نهاية بلاد داغستان. وداغستان (وتعني بالتركية بلاد الجبال) هي اقليم على الشاطئ الغربي لبحر الخزر، مساحتها ١٣٢٢٨ ميلاً مربعاً. وتحد شمالاً بـ(شلق) وجنوباً بـ(سامور) وغرباً بمقسم المياه بين هذين النهرين ونهر (ألزن) وهو من روافد نهر الكر، وينقسم الاقليم الى تسع نواحي. ويظهر ان الاسم ورد لأول مرة في القرن العاشر الهجري أي السادس عشر الميلادي.

يعطينا جغرافيو القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) صورة أوفى عن الأحوال الجنسية والجغرافية في داغستان، فكان العرب يسيطرون الى جانب دربند على القلاع المجاورة... وكان يحكم طبرسران في

(٩) ابن حوقل، المصدر نفسه، الصفحات ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩٤.

ويقول ابن خرداذبه: «أما الأبواب فهي شعاب في جبل القيق فيها حصون منها باب صول وباب اللان وباب الشايران وباب لاذقة وباب بارقة وباب سمسخي وباب صاحب السرير وباب فيلان شاه وباب كارونان وباب طبرسرانشاه وباب ليرانشاه وباب لبانشاه وباب أنوشروان ومدينة سَمَنْدَر خلف الباب وما وراءها في أيدي الخزر».

انظر: ابن خرداذبه، المسالك والممالك (لیدن: بريل، ١٨٨٩)، ص ١٢٣.

(١٠) كوى صو (قوى صو Koi-Su) تسمية آذرية (تركية) لنهر مشهور في أذربيجان وتعني (نهر الغنم). وقد دون أبو الفداء هذا الاسم في حينه بصيغة (نهر الغنم). انظر: أبو الفداء، تقويم البلدان (باريس، ١٨٤٢) ص ٢٠٤.

أيام المسعودي حاكم مسلم هو ابن أخت عبد الملك أمير دربند. واعتنق أمير خيدان المجاورة الأديان الثلاثة جميعاً، وكان يحضر الجمعة مع المسلمين والسبت مع اليهود والأحد مع النصاري^(١١). ويروي المسعودي أنه كان مسلماً، بل قيل أنه اختلق لنفسه نسباً عربياً، وكانت الإمارة تابعة للخزر. كما حكم البلاد التي كانت أبعد من ذلك شمالاً البترزبان (والأصح مرزبان - ج.ر) أمير الكرج، وكان أيضاً من المسلمين، وسكن الغميق شمالي البلاد، وهم نصاري. وأبعد من ذلك أيضاً ناحية الشمال الأراضي الجبلية الوعرة التي يسكنها الزركان (الزرهاكران) وكان للأديان الثلاثة أنصار فيها. ثم تأتي أخيراً بلاد الأمير النصراني صاحب سرير وكان لقبه فيلانشاه (فيلان شاه)، ويلقب ابن رسته الحاكم بلقب (أوار)، وعلى حد قول الاصطخري يحد أرض سرير من الغرب بلاد اللان.

يتدرج جميع هذه الأقوام تحت اسم (الزركين). ويظهر أن العرب أطلقوا اسم (لكن) على قبيلة بذاتها لا يمكن أن تعين منازلها الآن بالضبط على حد قول بارثولد^(١٢). لكن مينورسكي يشير إلى أن:

«في غربي مسقط، وفي المجري العلوي لنهر سامور تقع بلاد جبلية عالية تسكنها قبائل التي سميتها المصادر الإسلامية بال(لكن). وان هذا الاسم مركب من كلمة (لك/لك) بمعنى الإنسان أو الرجل في اللغة المحلية تلحقها اللاحقة (ز) التي تشير إلى مفهوم الانتماء القبلي أو الانحدار العائلي. وقد تحرف الاسم بالروسية فأصبح بصيغة (ليزكين) ويطلق على جميع سكان داغستان بدون تمييز. أما باللغة المحلية فتطلق هذه اللفظة على قبائل جنوب داغستان الذين سجلوا في احصاء عام ١٩٥٩م وكانوا ٢٢٣ ألف نسمة»^(١٣).

(١١) المسعودي، مروج الذهب، الجزء الثاني، الصفحات ٧، ٣٩.

(١٢) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، مادة داغستان.

(١٣) V. Minorsky, A History of Sharvan and Darband in the 10th-11th Centuries (Cambridge, 1958) p. 80 ff.

وراجع النسخة الروسية من هذا الكتاب، (موسكو، ١٩٦٣)، ص ١١٢ وما بعدها.

يتطرق البلاذري الى أخبار هؤلاء قائلًا ان منازل اللكز كانت في السهل بين سمر ومدينة شابران، أي جنوبي داغستان الحالية (البلاذري، طبعة دي غويه، ص ٢٠٨) في حين يصف المسعودي اللكز كأقوام يسكنون أعالي الجبال في هذه البقعة، وبينهم كفار ولا يخضعون لأمير شروان^(١٤). ولكن خلال عام ١٠٧٥هـ/١٠٦٨م نسمع خبر احتلال الأقسام الشرقية والغربية من مناطق اللكز من قبل شروانشاه (فريبرز). وفي زمن الكاتب والدبلوماسي الكردي (مسعود ابن نامدار) كان هؤلاء في علاقة جيدة مع شروانشاه حيث استغلهم هذا في هداية (الغُميق) إلى الاسلام. وهناك مصادر ترجع الى عام ٣٤٢هـ/٩٤٣م تشير الى أن ملك اللكز حكم مدينة الباب لمدة وجيزة وكان القسم الأول من اسمه (قشرشم أحمد بن منته)^(١٥). ويظهر أن الاسلام كان بطيء التقدم في داغستان في القرون التالية، فقد حطم الروس مملكة الخزر عام ٣٥٤هـ/٩٦٥م بل اكتسحوا الجانب الجنوبي من هذه المملكة بما فيه سمرقند. ويظهر أن اللان النصاري أفادوا من الموقف، فقد كانت بلادهم أيام الفتح المغولي تمتد ناحية الشرق أكثر مما كانت عليه في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) واتصل المغول في غاراتهم الأولى على هذا الاقليم باللكز لأول مرة شمالي دربند (الباب)، وكانوا في ذلك الوقت أيضاً يتألقون من مسلمين وكفار. وبعد أن اجتاحت شعوباً أخرى أبعد من ذلك ناحية الشمال بلغوا اللان. ويقول وليم الربركي William of Rubruck الذي زار هذا الاقليم في نوفمبر عام ١٢٥٤م أن اللان النصاري يسكنون الجبال ويسكن بين الجبال والبحر الأعراب، أي اللكز المسلمون^(١٦). بيد أن وليم نفسه يصف حصناً في الاقليم الساحلي على مسيرة يوم واحد من دربند بأنه «من حصون اللان» ولم يكن المغول قد وفقوا بعد الى إخضاع هذه القبائل، وكان لا بد من حراسة الممرات الممتدة من

(١٤) مروج الذهب، الجزء الثاني، ص ٥.

(١٥) المصدر نفسه.

(١٦) دائرة المعارف الاسلامية، مادة داغستان.

الجبال الى السهول بفرق خاصة من الجند لحماية الأنعام التي ترعى في الفيافي من غارات الجبليين^(١٧).

لقد كانت المناطق التي تصل حتى ممر دربند (الباب)، بل البلاد التي الى الجنوب منه أحياناً، تابعة لمملكة القبيلة الذهبية إبان القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين. وكان اسما أشهر قبيلتين في داغستان وقتذاك هما القيتاق (قيتاغ) والقازي قوموق. وقد لقي الرحالة العثماني أوليا جلبي^(١٨) عام ١٦٤٧م هؤلاء القيتاق النازحين بين شكى (وهي نوشه الحالية) وشماخي. والمفردات التي أوردها أوليا جلبي لا تدل على أن القيتاق كانوا يتكلمون اللهجة اللزكية كما يفعلون الآن، وإنما كانوا يتكلمون اللغة المغولية.

لم يحدث قط أن توحدت النجاد والوهاد التي على الساحل في داغستان في ظل شعب واحد، أو تحت إمرة أسرة واحدة حتى الاحتلال الروسي، وذلك أن الوهاد الساحلية يقسمها ممر دربند (دريال) قسمين، وقد حكم القسم الجنوبي دول آسية الغربية المستقرة منها الساسانية والعربية الإسلامية، أما القسم الشمالي فقد حكمته الممالك البدوية في جنوبي روسيا، ولم يكن لسكان هذين القسمين أثر في توزيع سكان النجاد. وكانت القبائل الجبلية تنجح في الحين بعد الحين في الاغارة على أجزاء من الوهاد ولكن ذلك كان يؤدي دائماً الى قصم أواصر الوحدة السياسية بين هؤلاء الغالبيين وأبناء جلدتهم الذين ظلوا مقيمين فيما وراء النجاد. وكان القسم الجنوبي من الوهاد الساحلية حتى دربند تابعاً في العصور القديمة لألبانيا، البلاد التي عرفت بـ(الزّان) عند العرب. ويشير مينورسكي الى:

«أن الوادي السحيق لنهري الكر وأراكس (آراس) الذي يقع

(١٧) Fr. M. Schmidt, Rubruk's Reis (Berlin, 1885) p. 84 ff.

(١٨) طبعت رحلة أوليا جلبي بمجلدات ستة من قبل أحمد جودت باستبول بين أعوام ١٣١٤هـ - ١٣١٨هـ / ١٨٩٦م - ١٩٠٠م. والمجلدان السابع والثامن طبعا عام ١٩٢٨ أما التاسع منها فقد انتهى طبعه عام ١٩٣٨م. وحول لقائه بالقيتاق انظر: أوليا جلبي سياحاته سي، ج ٢، ص ٢٩١.

بين أيبيريا (جيوارجيا) وبحر الخزر (قزوين) سميّ بـ(ألباني)،
وسماه الأرمن بـ(ألفان - ك) أو (ران) واستعمله السريان
بصيغة (أزان) وهي نفس الصيغة التي اشتهرت في العصور
الاسلامية بـ(الزان أو أزان)»^(١٩).

يقول الأستاذ المرحوم أحمد كسروي تبريزي في هذا الصدد أن
الناس في غرب تبريز يطلقون على منطقتهم الآن لفظة (كوني) في
حين أن الوثائق المالية القديمة تشير الى أنها كانت تسمى (أرونق)
المشتقة من (آرانك) التي تعني (آران الصغيرة) وقديماً كانت تشمل
منطقة واسعة ومن ضمنها أذربيجان. ويعتقد أن هذه الكلمة تعني
في اللغات الآذرية والأرمنية والآرانية نفسها (البلاد الحارة) وقد
ظلت الكلمة متداولة لحد الآن في الآذرية التركية وبالمعنى نفسه
بصيغة (آرانلوق)، في حين سماها الرومان ألبانيا والأرمن آغوان
(آلوان) وفي الواقع إن الكلمة مشتقة في الأصل من (آر) وهو اسم
الجنس (الآري)»^(٢٠).

لقد كان سترابو، الجغرافي اليوناني، أشار في حينه الى:

«ان هذه البلاد ذات خيرات كثيرة، وتنبت فيها فواكه ذات
أنواع مختلفة، لكن الألبان (الراييون - ج.ر) أنفسهم يمتنعون
الرعي وحياة الترحال والصيد، والسكان يشتهرون بجمالهم
البديع وهم شقر، كانوا على استعداد دائم لجمع ٦٠ ألفاً
من المحاررين المشاة و٢٢ ألفاً من الفرسان وقت الحاجة».

ويضيف قائلاً:

(١٩) يعتمد مينورسكي هنا على أقوال زكريا ريتور الكاذب. أنظر: Pseudo-Zacharia Rhetor, XII, ch.7.

مينورسكي، تأريخ الشروان والدريند، ص ١١ من النسخة الانكليزية. انظر كذلك
كتاب: حدود العالم، ترجمة وتوضيح مينورسكي (لندن، ١٩٣٧)، ص ١٤٢ وما
بعدها. للموضوعات: أذربيجان وأرمينيا وأزان وتوضيحات مينورسكي لهذه النصوص
في ص ٣٩٤ وما بعدها.

(٢٠) مجموعة أعمال كسروي (كاروند كسروي)، ص ٣٦٨.

«ان هؤلاء تداولوا ٢٦ لغة، وهم منظّمون تحت لواء اتّحادات متعدّدة يحكمهم ملوكهم، ويقف على جميع القبائل والاتّحادات ملك عظيم»^(٢١).

وعلى حد قول بومبيوس فإن الملك الألباني يقال له (أورويس) ولا تشمل هذه البلاد مقاطعتي بيلقان وموقان فحسب، وإنما كانت تتعدى نحو الشمال والشرق وتشمل كل المناطق الواقعة على سواحل بحر قزوين التي تعرف الآن بـ(داغستان)^(٢٢). وكان الأرمن والأيبيرون (الجيورجيون القدماء) هم الجيران الغربيين للألبان، وكانت كاسبيا (ويحتمل أنها كانت مقاطعة بقرب بيلقان) جزءاً من ألبانيا. ويقول بطليموس^(٢٣) أن ألبانيا لم تكن تعني تلك الأراضي التي تقع فيما وراء القفقاس، وإنما تمتد إلى جهة الشمال الشرقي وتشمل كل المناطق التي تسمى الآن بـداغستان بمحاذاة ساحل بحر قزوين. وعلى كل حال فإن الكتاب الاغريق المتأخرين أطلقوا على هذا القطر اسم (آريانا) بدلاً من ألبانيا، وعلى أهله اسم (آريان) بدلاً من (ألبان). ويشير ماركوارت^(٢٤) إلى أن هذين الاسمين (أران وآريانا) والأسماء العربية المتأخرة للقطر يمكن ارجاعها إلى الصيغة الفارسية للران. وكان هذا القطر في الأصل يشمل في عهده القديم الذي عرف فيه باسم (ألبانيا) المنطقة نفسها التي كان يشملها أيام عرف باسم الران، ذلك أنه كان يمتد من الدربند (الباب) في الشمال الشرقي

Strabo, Geog. XI, 4,1-8.

(٢١)

(٢٢) مينورسكي، المصدر نفسه، أنظر كذلك:

Hubschman, Armen. Grammatik, I, 39, No.69, and Marquart, Eranshahr. IV, 119.

ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن كلمة (أوروي) أي الملك كانت متداولة في بلاد الأرمن والكرد في العصر السومري.

Ptolemy, V, II.

(٢٣) انظر الكتاب الخامس لبطليمي

Marquart, Eranshahr, IV, 119.

(٢٤)

الى تفليس في الغرب، ويدخل في ذلك نهر الرس في الجنوب والجنوب الغربي^(٢٥). أما الكتاب الذين عاشوا بعد هذه الفترة فيقولون أن الزان لا تشمل إلا الأرض التي بين شروان وأذربيجان، أو من ضفة نهر الرس الى الكر^(٢٦). فيقول ياقوت الحموي في معجمه أن:

«أزان بالفتح وتشديد الراء وألف ونون اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة، منها جنزه، وهي التي تسميها العامة كنجة، وبرذعه، وشمكور، وييلقان وبين أذربيجان وأران نهر يقال له الرس، كل ما جاوره من ناحية المغرب والشمال، فهو من أران، وما كان من جهة المشرق فهو من أذربيجان»^(٢٧).

وقد وصف العرب عموماً مدينة بتراف Patrav (وتعرف عندهم باسم برذعه) على نهر تارتار (عند ياقوت ثرثور)^(٢٨) غير بعيد من مصبه في نهر الكر، وهي المدينة التي حلت في القرن السادس الميلادي محل الحاضرة القديمة (كعولك) وعند بطليموس (جبله) ويدكرها بليني بصيغة (كبلكه) ودونها العرب باسم (قبله) فقالوا انها

(٢٥) لقد وسّع الاصطخري حدود هذه البلاد في القرن العاشر الميلادي قائلاً: «وحد الزان من باب الأبواب إلى تفليس إلى قرب نهر الرس كان يعرف بحجيرات وأذربيجان حدها حتى ينتهي إلى ظهر الطرم إلى حد رنجان (لعله يقصد رنجان... ج.ر) إلى ظهر الدينور ثم يدور إلى ظهر خلوان وشهرزور حتى ينتهي إلى قرب دجلة ثم يطوف على حدود أرمينيا (وتشمل هذه الحدود جميع بلاد الكرد تقريباً... ج.ر). ولسان أذربيجان وأرمينيا والران الفارسية والعربية (والقصود هنا لغة الطبقة الحاكمة اما السكان فتداولوا الكردية والثانية والطلاشية واللغات المحلية الأخرى... ج.ر) غير أن أهل ديل يتكلمون بالأرمنية، ونواحي برذعه لسانهم الزانية (وهي لغة بلاد الران المحلية لا علاقة لها بالفارسية ولا بالعربية... ج.ر) ولهم جبال يسمونها القبق وتحيط بها ألسنة مختلفة كثيرة للكفار».

أنظر: الاصطخري، المسالك والممالك، تحقيق الحسيني، ص ١١٢. أما في طبعة دي كويه فانظر: ص ١٩٠.

(٢٦) القزويني، سياستنامه، ص ٢٢٦.

(٢٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، الجزء الأول، مادة الأزان.

(٢٨) يشير ياقوت إلى الثرثور على انه اسم لنهرين بأزان أو أرمينيا ويقال لهما الثرثور الكبير والثرثور الصغير. انظر: معجم البلدان، مادة الثرثور.

قصبة الران وأعظم مدينة في القفقاس بأسرها، وكان سكان برذعه مازالوا يتكلمون بالأزانع، أي باللغة الألبانية في القرن الرابع الهجري الموافق العاشر الميلادي^(٢٩). وبكلمة أخرى فإن حدود ألبانيا، برأي مينورسكي، كانت تلاصق ايبيريا (جيورجيا اليوم) والأرمن غرباً، لكنها احتلت المناطق القزوينية أيضاً (أي مناطق ييلقان وموقان) وكانت البلاد الألبانية واسعة إلا أنها خضعت لتحولات قومية ولغوية لصالح الأرمن، وبالأخص المقاطعات التي كانت تقع جنوب نهر الكر، وإن عاصمة ألبانيا كانت تقع في موقع شمال هذا النهر، وهم الذين بنوا مدينة بيروز آباد (برتاف = برذعه) أيام الملك الساساني بيروز ٤٥٧ م - ٤٨٤ م وقد بناها الملك الألباني فاجي^(٣٠).

ذكر في التأريخ عدد من حكام ألبانيا بألقاب فارسية، مثل طبرسران شاه (تبرسرانشاه) حاكم الناحية المعروفة الآن بـ(تبسران) غربي الدربند (الباب) وفي القرن الخامس الميلادي ذكرت أحوال إحدى لهجات (لغات) الألبان المعروفة بلغة (الكركر - س) قرب برتافا (برذعه) من قبل الروحانيين الأرمن الذين هدوا الألبان إلى الديانة المسيحية - الكنيسة الأرمنية - واخترعوا لهذه اللغة كتابة خاصة^(٣١). وإن هذه اللغة المتداولة في تلك المنطقة، أي في برذعه، برأي الاصطخري كانت سهلة في القرن العاشر^(٣٢)، وهذا ما يخالف الحقيقة تماماً، لأنها كانت صعبة في الواقع. ويقول المؤرخ الأرمني موسى الخوريني في القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي:

«ان اللغة الألبانية كانت حلقة (تنطق أصواتها وحروفها من الحنجرة)، وهي لغة بربرية بدائية، وعلى العموم غير مألوفة»^(٣٣).

(٢٩) الاصطخري، المسالك والممالك (طبعة كويه)، ص ١٩٢.

(٣٠) مينورسكي، المصدر نفسه.

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) الاصطخري، المصدر نفسه.

(٣٣) انظر: الجزء الثالث، الفقرة ٥٤ من كتاب: تأريخ موسى الخوريني.

وقد اكتشف البروفيسور الجيورجي شانيديزي عام ١٩٣٨ م لوحة تحتوي على الألقباء المنسية للغة الألبانية القديمة وتحتوي على ٥٢ نوعاً من الأصوات. ومهما يكن فإن لغة (أودي) التي تتداول الآن في قريتين فقط من قرى شاكي (شكي) هي البقية الباقية من اللغة الألبانية، وبما أن الألبان عاشوا في مناطق سهلية مفتوحة الجوانب ساعدت جيرانهم على الطمع في اختراقها، وخاصة عندما خضعت للساسانيين والأرمن، ولكنهم مع ذلك استطاعوا الحفاظ على استقلالهم الذاتي، وقد شارك ملكهم (أورناير) عام ٣٥٩ م الملك الساساني شابور الثاني في محاصرة مدينة آميد (ديار بكر الحالية). وفي ٤٦١ م تنازل الملك (فاجي) المتمرد على العرش الألباني ووقعت البلاد تحت الاحتلال الإيراني. ومع ذلك فقد ظلت في شمال نهر الكر بعض الامارات المستقلة مثل شروان وليزان وغيرهما، وكانت هذه الامارات منفصلة عن إمارة أران تماماً. وفي نهاية القرن السادس الميلادي ظهرت في ألبانيا سلالة انحدرت من شخص يعتقد أنه برثي جاء من بلاد الري وكان يسمى (مهر كان)، استقر في أران وتقبل المسيحية ديناً له. والظاهر انه وأسرته لم يحكموا إلا جزءاً من أرمينيا^(٣٤).

لقد استسلمت هذه البلاد في بداية العصر الاسلامي لسلمان بن ربيعة الباهلي أثناء خلافة عثمان بن عفان^(٣٥)، ولكن في البداية لم يغير هذا الوضع شيئاً من الحقوق الاقطاعية للأمرء المحليين. ويقول ابن الأثير عند تحدّثه عن فتح تلك البلاد:

«وسار سلمان بن ربيعة الباهلي الى أران... فتح البيلقان صلحاً... ثم أتى مدينة بَزْدَعَه فعسكر على الثرثور... وشن الغارات في قراها... ووجه خيله ففتحت رساتيق الولاية ودعا أكراد البلاشجان الى الاسلام فقاتلوه فظفر بهم فأقرّ بعضهم على

(٣٤) مينورسكي، المصدر نفسه، وانظر كذلك دائرة المعارف الاسلامية، مادة داغستان.

(٣٥) البلاذري، فتح البلدان (القاهرة، ١٩٥٩)، ص ٢٠٣. وانظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء الثالث، ص ٦٥ وما بعدها (ليدن، ١٨٦٨).

الجزية وأدى بعضهم الصدقة وهم قليل ووجه سوية الى شمكور
ففتحوها وهي مدينة قديمة ولم تزل معمورة حتى خربها
السناوردية (وهم صنف من الكرد - ج.ر) وصالحه ملك شروان
وسائر ملوك الجبال وأهل مسقط والشايران ومدينة الباب^(٣٦).

ومنذ بداية العصر الاسلامي أصبحت منطقة نفوذ الأمراء المحليين
الملقبين باللقب الفارسي (إيرانشاه) غير شروان، وقد سماها العرب
شروان وصاغها الفرس من بعد بصيغة شاروان، وكانت في الأصل
منطقة نفوذ لشيروانشاه وتغطي الأرض التي بين نهر الكر وبحر
قزوين. وقد عرف شيروانشاه كبطريك الزان^(٣٧)، ويظهر أنهم
اعتمدوا على خاقانات الخزر بالدرجة الأولى للحفاظ على استقلالهم
الذاتي، لذا نرى أن الملك (وراز تردات المهراني) الذي توفي عام
٧٠٥م كان يدفع جزية سنوية الى الخزر. ويقول بارثولد بأن:

«العرب أحرزوا انتصارات فردية شمال داغستان وخاصة في
عهد الخليفة هشام (١٠٥هـ - ١٢٥هـ/٧٢٤م - ٧٤٣م) الذي
كان أخوه مسلمة هو أول من وطد أركان الحكم العربي في
دربند، ولكن على الرغم من هذا كله احتفظت دربند (الباب)
حتى في العهد العربي بمكانتها باعتبارها حصناً من حصون
الثغور، وهي المكانة التي كانت لها في عهد الساسانيين»^(٣٨).

ولم يكن المسلمون قد طردوا بعد النصاري الألبان من ألبانيا الى غير
رجعة، فقد ذكر المقدسي^(٣٩) أن معظم سكان مدينة شايران (وهي

(٣٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٠٣، وقد أورد البلاذري اسم السناوردية بصيغة
(السناوردية) وهم من كرد تلك الأنحاء.

(٣٧) في الأصل - بطريق الزان - انظر كتاب: اليعقوبي، طبعة هوتسما، الجزء الثاني، ص ٥٦٢.

(٣٨) دائرة المعارف الاسلامية، مادة داغستان.

(٣٩) المقدسي، طبعة دى كويه، ص ٣٧٦.

ان تأريخ أغوان لمؤلفه موسى كاكاتكاتفانسي هو من المصادر النادرة لأخبار سهل
بن سنباط وبابك الخرمي، وحول تفصيلات تسليم بابك انظر: الدكتور حسين قاسم
العزیز، البابكية أو انتفاضة الشعب الأذربيجاني ضد الخلافة العباسية. رسالة
دكتوراه من جامعة موسكو ١٩٦٦م (بيروت، ١٩٧٤) الترجمة العربية.

الآن خرائب على مسيرة ١٥ ميلاً جنوبي شرقي قوبة لحديثة) ومدينة شكى وتعرف الآن باسم (نوخا) من المسيحيين. كما أن الكنيسة الألبانية قد تنازلت عن المطالبة بالاستقلال عن أمها الكنيسة الأرمنية. ثم تنازع العرب المسلمون مع اليونان (البيزنطيين) على هذه المنطقة خلال القرن الثامن الميلادي، وكانت سلطة ملوك أَرَّان قد انحصرت في أيدي الزعماء المحليين، وغدت ضعيفة في المناطق الواقعة جنوبي نهرالكر. وهكذا ليس من الغريب أن نسمع مثلاً خبر تعيين سعيد بن سليم (سالم؟) حاكماً على أرمينيا من قبل هارون الرشيد^(٤٠). وقد بنى شَمَاخ بن شجاع مدينة الشماخية (شَمَاخي) الذي يسميه البلاذري ملك شروان^(٤١). وحدث في عهد المعتصم ٨٣٣ م - ٨٤٢ م أن بدد سهل بن سنباط شمل جيش الوالي الأفشين الذي كان قد استولى على الران، على أن سهلاً هذا سرعان ما أدى خدمة جلييلة للعباسيين (٢٢٣هـ/٨٣٧ م - ٨٣٨ م) بتسليمه بابك الخرمي، وقد كافأه الخليفة على ذلك فثبته في منصب البطريرك^(٤٢).

وهكذا أصبحت شروان على شمال النهر خارج إدارة أَرَّان. ولكن ثورة بابك الخرمي ٢٠١هـ - ٢٢٢هـ/٨١٦ م - ٨٣٧ م أثرت على وضع الحكم الاسلامي والاحتلال العربي في أَرَّان، إلا أن كثيراً من هؤلاء الأمراء المحليين قد نقلوا الى العراق بعد القضاء على تلك الثورة. ثم تلا تعيين الساجدية (حوالي عام ٣١٧هـ/٩٢٩ م) في إدارة تلك البلاد حيث مكن الخليفة العباسي من حكمها مباشرة، وفتح طريقاً لوصول الأسر الاسلامية من غير أهل المنطقة على سدة الحكم في هذه البلدان، كالهاشمية في كنجه. وجدير بالذكر أن اقتصاد المنطقة قد ارتبط بالعالم الاسلامي. وترجع أقدم سكة عربية اسلامية ضربت في

(٤٠) تاريخ يعقوبي، ص ٥١٨.

(٤١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢١٠.

(٤٢) حول هذه الأخبار انظر من يعقوبي، الجزء الثاني، ص ٥٢٩، والبلاذري، ص ٢١١ طبعة كويه، والطبري، الجزء الثالث، ص ١٢٣٢ طبعة كويه.

أرّان (الران) إلى سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ - ٧٠٩ م على أن الخزر انتقموا منها بعد ذلك كثيراً، وقد ضم هذا الاقليم جعر وأملاك العرب الأخرى في القفقاس في ولاية واحدة، وقد جرت الحال باطلاق اسم أرمينيا على هذه الأقاليم الموحدة، ولو أن الولاة كانوا يقيمون في معظم الأحوال في برذعه بوصفها أكبر مدينة في أرمينيا. وكان بيت الملك الألباني القديم قد انقرض منذ أمد طويل. وهناك بعض الحقائق سجلت حولهم مع أسمائهم من قبل موسى كالانكاتفاتسي، إلا أنها شذرات متقطعة وغير منتظمة وليست بذات أهمية^(٤٣).

أصبحت ألبانيا (الران) في النهاية ضحية أطماع الغزاة الذين نرحوا من الجهات الشمالية لقفقاسيا وفي مقدمتهم الهون والخزر، ثم ظلت في القرون التالية منفصلة عن شروان سياسياً، وحكمتها أسرة من بيت كردي هو بيت (بني شدّاد) وكان مركزهم آنثد (جنزه) وهي التي سميت بـ (كنجه) محلياً وهي الآن يليساوتبول (إليزابيث بول) الحديثة منذ عام ١٨٠٤ م. كانت جنزه بلدة صغيرة على الطريق من برذعه إلى تفليس، وأصبحت قصبة أرّان بعد اضمحلال برذعه. ويذكر موسى كالانكاتفاتسي، المؤرخ الأرمني، أن هذه المدينة تأسست في عهد الحكم الاسلامي حوالي عام ٨٤٥ ميلادية، لكن القزويني دوّن اسمها في عام ٣٩ هجرية، ولا يزال الأهالي يعرفون هذه المدينة باسمها العربي (جنزه) وإن كان مشاهيرها يعرفون بالكنجويين. ولما دالت دويلة بني شدّاد ضمت أرّان مباشرة إلى أذربيجان ولم يبق فيها منذ ذاك بيت يختص بحكمها. وقد استترك أهل الرّان شيئاً فشيئاً منذ عهد السلاجقة شأنهم في ذلك شأن أهل أذربيجان وشروان والدريند (الباب). وقد جرى منذ العهد المغولي اطلاق الاسم التركي (قره باغ = البستان

(٤٣) توجد ترجمتان للكتاب من الأرمنية، إحداهما ترجمة ك. باتكانوف إلى الروسية وقد اعتمد على نسخة شاخاتوني الخطية فقط، والأخرى ترجمة داوست الذي اعتمد على أكثر من ٤٠ نسخة خطية وجدها في مكتبات العالم أثناء ترجمته للكتاب.
انظر:

G.J.F. Dowsett, The History of the Caucasian Albanians, by Movses Dasxuranci (London, 1916).

الأسود) على الجزء الجنوبي منها، أما الجزء الشمالي فقد عرف
(نكورني قره باغ = البستان الأسود العالي) والصراع قائم عليه بين
الأذريين والأرمن في يومنا هذا (١٩٩١م - ١٩٩٢م) إثر الإصلاحات
السياسية التي قام بها غورباتشيف رئيس مجلس السوفيات الأعلى
سابقاً وكأن المشكلة لا تخص الكرد لا من بعيد ولا من قريب، رغم أن
المنطقة كانت مركز الحكم الكردي في مطلع العصر الإسلامي وقد نشأ
فيها أيام حكم لينين في الاتحاد السوفياتي دولة ذات حكم ذاتي ألغاه
الأذربيجانيون الترك خلال الحكم الفردي لستالين الذي شرّد مئات
الآلاف من كرد قفقاسيا نحو أواسط آسيا. وعلى كل حال فإن ما وافي
العهد الإسلامي حتى كان الاسم (أزان) قد غدا من المحفوظات الأدبية
فحسب. أما القصة القديمة (برذعه) فقد انتقم منها الروس عام ١٣٣٢هـ/
١٩٤٣م انتقاماً مروعاً لم تفق من جرائمه. ولعل من الجدير بالذكر
هنا أن نخصص الكلام على بلاد شروان ثم الباب وقد أصبحتا تميزان
بشخصيتهما التاريخية عن تلك التي تميز بها الوطن الأم أزان (ألبانيا
القديمة).

٢ - شروان

كانت شروان، وتكتب بفتح الشين أو كسرهما^(٤٤)، ناحية على

(٤٤) انظر دائرة المعارف الإسلامية، مادة شروان، ويقول مينورسكي ان أول صيغة لهذا
الاسم هي شروان بفتح الشين (انظر: فصول من تأريخ الباب وشروان، ص ١٠٦
من النسخة الروسية). وفي توضيحه لكتاب: حدود العالم يشير مينورسكي إلى
ثلاث نقاط في شروان:

أ - المراكز القديمة في شروان.

ب - الأسر الحاكمة التي اشتهرت باسم شيروانشاهان.

ج - أسرة مزبد.

د - ليزان - الأبخاز - ولاهيخ وخرسان شاه.

ويقول ان أقدم صيغة للاسم هي شروان، ولا يظهر ان لها علاقة مع مركز المقاطعة
نفسها المسمى (شافران أو شابران). لتفصيلات هذا الموضوع أنظر كتاب: حدود
العالم، ص ٤٠٤.

الساحل الغربي لبحر الخزر (قزوين) شرقي نهر الكر. وقد أشار ياقوت الى:

«انها مدينة من نواحي باب الأبواب الذي تسميه الفرس الدربند، بناها أنو شروان فسميت باسمه ثم خففت باسقاط اسمه. وبين شروان وباب الأبواب مائة فرسخ (وفي الحقيقة كان باب الأبواب في أقصى شمالي بلاد شروان... ج. ر.)... وقيل شروان ولاية قصبته شماخي وهي قرب بحر الخزر»^(٤٥).

ويقول الاصطخري ان الطريق من برذعه كان يؤدي الى الدربند ماراً بشروان وشماخية^(٤٦)، أي أن الرحلة من شماخية الى شروان كانت تستغرق ثلاثة أيام. وفي القرن العاشر كانت شروان تعني الأراضي الواقعة بين جنوب شرق منحدرات جبال قفقاسيا ونهر الكر. ومن الواضح أن هذه الأراضي تسقيها أنهر ستة، تتوافد اليها من المنحدرات الجنوبية لتلك الجبال. ونهر (بير سكت Pir Sagat) الذي يقع في شرق هذه الأنهر يصب في النهاية في بحر قزوين بين باكو وحلق نهر الكر. أما الأنهر الأخرى فتجري من الشمال نحو الجنوب باتجاه نهر الكر، وهي من الشرق الى الغرب: نهر آخ صو، كردمن - الذي تقع لاهيج (ليزان) على منابعه العليا - ثم نهر كيوك جاي ونهر توربان، وتقع قبله على مجراه العالي قرب منبعه، والجيكين جاي الذي يجمع مياهه شرق مدينة شكى (شاكى). ويعني الجيكين الحمار باللغة المغولية. والنهر السادس هو إكري جاي الذي يروي القسم الشمالي من شاكى، ويجري من الشرق الى الغرب ويصب في نهر الزان الذي يجري من الغرب الى الشرق ثم يصب في نهر الكر.

كان مركز شروان مدينة (اليزيدية) في العصر الاسلامي، وبنيت في ٣٠٦ هـ/٩١٨ م ويحتمل انها بنيت على أنقاض مدينة شماخية القديمة التي أغار عليها السريرية واللالية عام ٤٢٣ هـ. وتقع اليزيدية

(٤٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة شروان.

(٤٦) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ١٩٢.

على الضفة الغربية للمنايع العليا لنهر بير سكت، وإلى شرق نهر آخ صو بأربعين كيلومتراً.

كانت قلعة كلستان تحمي مدينة اليزيدية عن قرب، وكانت في الأصل مركز قيادة الأمير وتسمى بـ(لشكرگاه). وعلى حد قول مؤلف كتاب (حدود العالم) فإن هذه القلعة كانت تقع على بعد فرسخ واحد من شماخي، وقد اقتبس الكاتب الدبلوماسي الكردي سعود بن نامدار من رسائل ملك شروان (شروانشاه) بعض المقاطع التي تورّد اسم القلعة بصيغة (مقر العز). والواقع إن بقايا كلستان وتسمى الآن (قز قلاسي) تقع على بعد ثلاثة كيلومترات شمال شرق شماخية، وقد نقل نادرشاه عام ١٧٣٤م السكان من شماخية إلى موقع آخر يبعد ثلاثة كيلومترات جنوب شرق آخ صو، وبعد موته رجع هؤلاء إلى مناطقهم^(٤٧).

كانت شروان تواجه في الجنوب نهر الكر ويفصلها عن منطقة نفوذ الشداديين الكرد الذين أصبحوا ملوكاً لأران حوالي ٩٦٩هـ/١٥٥٩م وبالضبط في المناطق التي تقع بين نهري الكر وأراكس، وطردوا منها الديلم المسافرين وخاصة من جنوب نهر الكر وكانت برذعه، مركز الإدارة العربية، منطقة صراع بين هذه القوى، إلا أنها كانت تميل مع ييلقان نحو حكم الملكية الشدادية. ونحو ١٠٦٣هـ/١٠٦٣م قام أبو الأسوار الشدادية في كنج بثلث حملات على شروان، حيث رغب به كرد شروان المحليين. وفي ١٠٦٥هـ/١٠٦٥م هددت الكرد مدينة مسقط (مساكيت) ثم بدأ اسم فضل بن أبي الأسوار الشدادية يقرأ في خطب مدينة الباب منذ عام ١٠٦٩هـ/١٠٦٩م.

كان ملوك شروان الملقبون بـ(شروانشاهان) يحكمون المناطق الواقعة على نهر الكر لحد نقطة اتصاله بنهر أراكس في بداية القرن الحادي عشر، وعلى سواحل بحر قزوين كان حكمهم وسلطتهم يصلان إلى

(٤٧) مينورسكي، فصول من تاريخ الباب وشروان، ص ٧٦، النسخة الانكليزية.

مدينة ياكو، وذكر بعض المخطوطات الاسم (شابران) بدلاً من (شروان) وأحياناً شافوران أو شاوران^(٤٨). وأشار ياقوت إلى أن:

(شابران مدينة من أعمال أَرَّان استحدثها أنو شروان وقيل من أعمال دربند وهو باب الأبواب بينها وبين مدينة شروان نحو عشرين فرسخاً)^(٤٩).

ويقال أن محمد بن أحمد بنى سوراً عام ٧٧٣هـ/٩٨٣م حول مدينة شابران^(٥٠). ويقع حصن شابران على نهر يتسمى بالاسم نفسه، ويجري هذا النهر نحو الجنوب من قوبا (كوبي الحالية). لقد سمت المدونات الجيورجية هذه المدينة عام ١١٢٤م بصيغة (شابران) والتسمية لها علاقة مع شافور (شابور) أحد الأمراء الشداديين الكرد. لذا فإن الإسمين (شابران وشروان) لا يرجعان إلى أصل واحد. والحقيقة أن شافوران هي عاصمة محلية لمنطقة (خورسان) وهي إحدى المقاطعات الثلاث لشروان وأن يزيد بن أحمد وابنته شمكويه دفنا هنا، وكان هذا الأمير قد تزوج بفتاة تنحدر من سلالة محلية. وقد سجل صاحب كتاب حدود العالم خبر هذه المدينة بشكل صحيح قائلاً بأن:

(شافران قصبة شيروان)^(٥١).

وكان كل من شابران ومسقط تتطابقان شمال وجنوب قوبا. تتكون أراضي شروان على العموم من سهول ومناطق منخفضة ومفتوحة أمام الغزاة من كل الجوانب. وقد كافحت عبر العصور بجانب مدينة الباب زحف الأقوام المتسربة من الشمال الشرقي، إلا أن الآلان وأهل السرير استطاعوا النزوح إلى هذه البلاد لنهبها ثم

(٤٨) دائرة المعارف الإسلامية، مادة شيروان. كذلك انظر كتاب: حدود العالم (الورقة ٣٣ب).

(٤٩) ياقوت، معجم، مادة شروان.

(٥٠) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٥١) حدود العالم، الفقرتان، ٣٦، ٣٧.

لتدميرها (كما جرى عام ٤٢٣هـ/١٠٣٢م على سبيل المثال). وقد جاءت عدة حملات من البحر من قبل قراصنة الروس أيضاً. أما من الجنوب فقد وسّع الديلم المسافرية نفوذهم داخل هذه الأراضي وصعدوا إلى شمال أراكس وأصبحت شروان تدفع الجزية إلى مرزبان بن محمد الديلمي عام ٣٤٤هـ/٩٥٥م. وفي عام ٣٥٧هـ/٩٦٨م وصل إبراهيم بن مرزبان إلى مسقط. وبعد عام ٤٥٨هـ/١٠٦٦م وصل قسم من أتراك الغز إلى شروان، وحتى أن شداددي أزان كانوا يعادونها، لكن ملوك شروان استطاعوا أن ينجحوا في الانتصار على جيرانهم المسيحيين في الغرب فقط.

ومن جهة أخرى في الانحناءات الشمالية الشرقية والسلسلة الجنوبية الشرقية من مرتفعات قفقاسيا، وعلى وديان سواحل بحر قزوين تقع أراض خصبة زراعية، تسقيها أنهار مثل كوبي وسامور أو سافمور وتمتد هذه الأراضي إلى إمارة ليزكين (لكن) حيث ألحقت قسراً بحكم شروانشاه (ملك شروان) وأصبحت مقسمة بينهم وبين أمراء الباب وكذلك أمراء أزان. ولكن أهم حدث هو دخول مدينة مسقط ضمن حدود بلاد شروان وكونها جزءاً متماً لها^(٥٢)، وكانت تقع شمال نهر سامور (سقور).

لا يعني الاسم (مسقط) أنه مشتق من المصدر العربي (السقوط) وإنما معرب من التسمية (مسكوت أو مشكوت) نسبة إلى سكانها القدماء من المساكيت الذين انحدروا من صلب بعض القبائل الآلانية^(٥٣).

(٥٢) مينورسكي، المصدر نفسه.

(٥٣) يقول بليني حول هؤلاء ما يلي:

Item Patria Albania, Tem Patria, Massagetar, Item Patria Caspiae, Item Patria Lepen

انظر: بلينيوس، كتاب التاريخ الطبيعي، الجزء الثاني، الفصل ١٢.

Pliny, N.H., II, 12.

وكذلك يقول أميانوس مركلينوس: «ان الآلان هم المساكيت القدماء»

«Halanos., Veteres Massagetas»

انظر الكتاب الحادي والثلاثين من: تاريخ أميانوس مركلينوس، الفصلان ٢٢، ١٢.

Amm. Mar. XXX, 22, 12.

وقد ذكر المؤرخ الروماني أميانوس مركلينوس في حينه أن الآلان هم المساكيت القدماء^(٥٤). وبوقت متأخر جاءت أخبار هذه المدينة عند ياقوت لما أشار إلى أنها:

«رستاق بساحل بحر الخزر دون باب الأبواب، جيله مسلمون لهم قوة وشوكة، بين باب الأبواب واللكز. كان من أحدثه كسرى أنوشروان قباذ لما بنى باب الأبواب»^(٥٥).

لكن وقائع عصر ما قبل الاسلام جاءت في أقوال المؤرخ الأرمني (فاوستوس البيزنطي) في القرن الرابع الميلادي عندما أشار إلى أن الأمير (سانيسان) تلقب بلقب ملك المسكوت (مساكيت) وأسس هناك مملكة بمساعدة العساكر الهونية وبعض قبائل داغستان، وكان هذا ينحدر مثل نظيره ملك الأرمن من أسرة أرشاكية (البرثية)^(٥٦) وكان سكانها مختلطين على ما يظهر. وفي بداية القرن الثامن الميلادي أسكن مروان بن محمد في هذه المدينة الخزر الذين تقبلوا الاسلام ديناً، وسميت عند العرب أحياناً (بين النهرين) وذلك لوقوعها بين نهري سامور وروباس. وعلى العموم فإن أشهر المقاطعات التابعة لشروان بالإضافة إلى شاوران هي خورسان وفردان، وكان لكل مقاطعة ملك محلي يلقب بـ(خورسانشاه أو فردانشاه).

كان أهم المدن والقصبات التي تحيط ببلاد شروان هي (قبله) المدينة الألبانية القديمة التي سماها بليني كبلكه (كابالاکا)^(٥٧). وقبل

(٥٤) أميانوس مركلينوس، المصدر نفسه.

(٥٥) ياقوت، معجم، مادة مسقط. وقد جاء في كتاب جامع الدول لمنجم باشي: «أن مسقط أرض تشتمل على عدة حصون وقرى ومزارع يحدها نهر ستور والبحر واللكز والشابران. كان لها حكام مستقلون قديماً انقرضوا في سنة ٢١٨ هـ فاستولى عليها أمراء باب الأبواب والثغور... الخ» انظر: الحرف الثاني من الفقرة السادسة لكتاب: منجم باشي، جامع الدول، وكذلك مينورسكي، لفصول من تاريخ الباب وشروان، ص ١٦، الفقرة ٣١ من النص العربي.

(٥٦) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٨١، ٨٢ النسخة الانكليزية.

(٥٧) بلينيوس، التاريخ الطبيعي، Pliny, N.H. VI, 10

قرن من الفتح الاسلامي كانت هدفاً من أهداف الأطماع الخزرية.
وقال ياقوت أن:

(قبله بالتحريك مدينة قديمة قرب الدربند وهو باب الأبواب
من أعمال أرمينية أحدثها قباذ الملك أبو أنو شروان)^(٥٨)

وفي زمن المسعودي كان الناس فيها مسلمين، لكن المناطق التي
تحيطها كانت تعج بالمسيحيين. وكان حاكم المدينة يشتهر باسمه
العربي (عنيسة الأعور). وفي الواقع فإن هذا الاسم لا يدل على أنه
عربي، وإنما كان ينتمي الى أسرة أرمنية - ألبانية مختلطة. وفي
٩٨١/٣٧١م استرجع شروانشاه محمد بن أحمد مدينة قبله من
عبدالبار بن عنيسة الأعور^(٥٩).

وفي غرب قبله كانت تقع مدينة شكى (شاكى) شرقي كاخيتيا،
وكانت جزءاً من ألبانيا ولكن حكامها انحدروا لبعض الأوقات من
الأرمن، وكانت تشتهر بالجلود الشكيتية حسب أقوال ياقوت الحموي.
وشملت هذه المدينة بعض الأراضي على الضفة الجنوبية لنهر الكر
وقد سمي ملوك كاخيتيا بعض الأحيان بملوك شكى وخاصة بين
أعوام ٩٥٠م - ١٠٥٠م. ويظهر أن شكى هي الصيغة العربية المتأخرة
والمختصرة من شكاشيني (سكاسيني) وهي الصيغة اليونانية لموطن
السكس (السكيث) في قفقاسيا خلال النصف الأول من الألف
الأول قبل الميلاد.

■ ٣ - الباب

تقع مدينة الباب في نهاية داغستان الحالية، بين سلسلة جبال قفقاسيا
التي تتجه نحو الجنوب الشرقي وتمتد الى مدينة باكو، والسلسلة

(٥٨) ياقوت، معجم البلدان، مادة . قبله .

(٥٩) مينورسكي، فصول من تاريخ الباب وشروان، ص ٨٣ النسخة الانكليزية.

الأخرى التي تتجه الى مصب نهر كوى صو (ويعني نهر الغنم بالآذرية الحالية)^(٦٠)، وفروع هذا النهر التي تصب في بحر قزوين.

تفصل هذه المدينة الحوض الجنوبي لكل من أنهر سامور (سمور) وقاسم كنده وروباس من الأنهر الشمالية وخاصة نهر كوى صو، وكان السكان في الشمال يختلفون عن الجنوب وينتمون الى عالمين مختلفين. فكان أهل الجنوب من قبائل الزكيين (اللكز) يشكلون المجتمع الاسلامي في هذه المنطقة. وبالمقابل كانت المسيحية سائدة بين سكان الشمال وأدت الى ظهور تغييرات لغوية فيما بينهم. وقدر عدد سكان هذه المدينة في العشرينات من هذا القرن بعشرين ألفاً، وتشتهر بنوع خاص بأسوارها المرتفعة الفريدة في نوعها التي تسد الممر بين البحر والجبل، ولم يكن يزيد عرضه هنا عن ميل ونصف ميل في العهد الساساني ثم في العهد الاسلامي وكانت تحمي هذه الأسوار، جهات آسيا الغربية الوادعة من غارات بدو روسيا الجنوبية قديماً، والأرض هنا لا تشبه الصحراء المحيطة بباكو (عاصمة أذربيجان السوفياتية) فهي خصبة ملائمة كل الملاءمة لغرس الكروم والفاكهة حتى شاطئ البحر. وبناء على آراء باخوموف، يذكر مينورسكي زمن بناء هذه الأسوار ويشير الى أن لها علاقة مع زمن حكم كسرى أنوشروان (٥٣١م - ٥٧٨م) وقد تم بناؤها في السنة السابعة والثلاثين من حكمه، أي عام ٥٦٧م. ويعتقد أن يزدكرد الثاني (٤٣٨م - ٤٥١م) كان قد بنى السور الأول، كما أن المؤرخ الأرمني ليفوند (نهاية القرن الثامن الميلادي) كان قد أشار الى أن مسلمة بن عبد الملك عثر على حجر في الدربند (الباب) عليه لوحة كتابية تذكر

(٦٠) لقد دُون أبو الفدا اسم هذا النهر في جغرافيته بصيغة (نهر الأغنام). انظر: جغرافية أبي الفدا، ص ٢٠٤ حيث يقول:

(وفي شرق مطرخا نهر الغنم الذي عليه بلاد السرير وقاعدة السرير على جبل متصل بجبل الألسن وهذا النهر كبير يجمد في الشتاء وتعب الدواب عليه... الخ).

بأن الامبراطور مارتسيان (٤٥٠م - ٤٥٧م) هو الذي بنى هذه المدينة مع أسوارها ووضع فيها غنائمه وخزائنه^(٦١).

أما السور الداخلي فبناؤه يرجع الى زمن الملك الساساني قباد بن بيروز (٤٨٨م - ٥٣١م) مثلما يظهر ذلك من خلال الكتابات البهلوية التي ظلت على جوانبه. وقد أوضح ابن حوقل موقع المدينة في حينه قائلاً:

«باب الأبواب مدينة على بحر الخزر في وسطها مرسى للسفن، وفي هذا المرسى الخارج من بحر الخزر، وفي هذا السد باب مغلق على الماء قد استحکم من وصيده بعقد قد عُقد على نفس الماء والماء من تحته. وللسفن مدخل مقلوب من ناحية بابه وعلى فم المدخل الذي تدخل فيه السفن سلسلة ممدودة كالتي بصور وبيروت بالشام، وعلى خليج القسطنطينية. وعليها قفل لمن ينظر في أمر البحر فلا يخرج المركب ولا يدخل إلا بأمر صاحب القفل والسد من صخر ورصاص وبحر الخزر بحر طبرستان ومدينة الباب أكثر من أردبيل زرواً وثمارها قليلة إلا ما يحمل اليهم من النواحي، وهذه مدينة عليها سور منيع من حجارة وأجر طين، وهي فرضة بحر الخزر والسرير واللان وسائر بلدان طبرستان وجرجان وبلاد الغز والديلم»^(٦٢).

وقد ذكر ياقوت وابن الأثير وغيرهما من الكتاب المسلمين المتأخرين المدينة غالباً باسم (دبند شروان) ويظهر انها كانت تابعة في الواقع لدولة شروانشاه منذ القرن العاشر الميلادي. وعلى حد رأي بارثولد فإن هذه المدينة أكرهت على التسليم للمغول عام ١٢٣٩م. ويتضح من يوميات وليم البركي الذي قضى في مدينة دربند يومي (١٧ - ١٨ تشرين الأول/نوفمبر من عام ١٢٥٤م) كما ذكر، ان المغول دمروا رؤوس الأبراج ومعقل السورين. وعادت دربند حوالى القرن الخامس عشر لا توصف بأنها مدينة عربية وانما مدينة تركية، وسكانها يتكلمون الجركسية والتركية، كيف تم ذلك فإن له صلة بالتتريك

(٦١) حول تفاصيل خطة المدينة وأسوارها انظر: مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٨٥ وما بعدها. الترجمة الانكليزية.

(٦٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٩١ - ٢٩٢.

التدريجي لأذربيجان وغيرها من ولايات الحدود في الشمال الغربي من إيران بعد عهد السلاجقة.

لقد ذكر اسم هذه المدينة بصيغ مختلفة في المصادر التاريخية. ففي الأرمنية قيل لها جور (وهو صول) وأطلق المغول عليها اسم كاخولكا، في حين سماها الترك دمبركالي (وبعني الباب الحديد) وقد اشتق الروس اسم لجر خولي (أي بحر قزوين) Khopuzskoe More من الاصطلاح التركي كابوك (الباب) الذي سميت به هذه المدينة^(٦٣)، لكنها تشتهر عند الروس باسم (دربنت) الآن. وصيغة الباب أو (باب الأبواب) أو (الباب والأبواب) هي تسميات عربية لمدينة دربند القديمة التي اعتبرت الحد الشمالي لآلبانيا على أغلب الاحتمال، وممراً حيوياً لغارات البدو وبالأخص غارات اللان بين عامي ١٣٤م و١٣٥م. ويعتبر الساسانيون هم أول من قاموا بإجراءات فعالة في سبيل تحصين الممر وأسهمت الدولة الرومانية أيضاً في هذا العمل استجابة لرغبات الأكاسرة، ذلك أن رد جموع البدو كانت مسألة حيوية في نظر الرومان والفرس على السواء^(٦٤). وكان اللان في عام ٥٦٩م لا يزالون يحتفظون باستقلالهم وهم أقرب الجيران للساسانيين على بحر الخزر. لكن ما أن حل عام ٥٧٦م حتى استطاع أحد حكام الترك من إخضاع اللان.

وهكذا بلغت دولة الترك العظيمة في القرن السادس الميلادي حدود الدولة الساسانية، وإذا كانت حصون ممر دربند (الباب) ثمرة من ثمرات هذه الوقائع فإن تشييد هذه المعاقل يعود بلا ريب إلى النصف

(٦٣) V. Vasmer, Ein Names des Kaspischen Meer, - «Zeitschrift Fur Slavische Philologie» (1958) No. XXIV, P. 28.

(٦٤) يشير بارثولد في هذا الموضوع إلى أقوال الكاتب الروماني كاسيوس ديون حول غارات اللان عام ١٣٤م - ١٣٥م. أنظر: دائرة المعارف الإسلامية، مادة - الدربند... وعلى رأي مينورسكي فإن بومبي كان قد وصل إلى هذه البلاد منذ القرن الأول قبل الميلاد، أنظر كتاب: فصول من تاريخ الباب وشروان، ص ٢٧ من الطبعة الروسية.

الأخير من حكم كسرى. يظهر ان هذه المدينة أصبحت ذات شأن عظيم في العصر الاسلامي حين عرفت بـ(دربند شروان)، ولم يظهر الاسم المغولي للممر (قهلقه) فيما بعد فحسب بل ظهر الاسم التركي (دمير كالي) لأول مرة في العهد المغولي.

لقد سكن العرب هنا بجانب السكان المحليين منذ عصر صدر الإسلام. ولعل من أحسن المصادر التي تشير إلى أخبارهم هو ما كتبه المؤرخ الكردي (ابن الأزرقي الفارقي) في كتابه حول تأريخ مدينة (ميفارقين)^(٦٥). وكان هذا مبعوثاً كردياً عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م إلى الملك الجيورجي ديميتري (١١٢٥م - ١١٥٦م) حينما صاحبه في جولة إلى مساكن اللان (الآلان) قرب الدربند (الباب) القديمة، ثم إلى بلاد الأبخاز، ومن المحتمل إلى ليزان. وفي بداية ٥٤٩هـ/١١٥٤م وصل الفارقي إلى قرب دربند ودون بإسهاب أخبار لقائه واجتماعه بالعرب المحليين هناك، وهم سكان مدينتين تقعان على بعد عشرة فراسخ من الدربند نفسها واستغرب عندما لقي أحداً يتكلم بالعربية وادعى انه من أبناء بني أمية ومن قبيلة كندة وقال أيضاً أحدهم للفارقي: ان أجدادهم كانوا يعيشون قرب دربند قبل خمسمائة سنة، وفي زمن الخليفة الأموي هشام (١٠٥ - ١٢٥هـ/٧٢٤م - ٧٤٣م) وكما يذكر أخوه مسلمة، فإن ٢٤ ألفاً من العرب السوريين قد سكنوا في مدينة الباب وخصص لهم رواتب معينة^(٦٦)، وهو أول من وطد الحكم العربي في هذه المدينة. وقد دخل الهون والخزر في النصرانية في عهد متقدم أيام البطريك الأرمني اسحاق الثالث (٦٧٧م - ٧٠٣م) واستطاع اليهود أيام هارون الرشيد (١٧٠هـ - ١٩٣هـ/٧٨٦م - ٨٠٩م) ان يهددوا أمير هؤلاء الناس وأشرف مملكته^(٦٧).

(٦٥) راجع المخطوطات الأصلية لهذا التأريخ في المتحف البريطاني Oriental تحت رقم ٥٨٠٢ بعنوان: تأريخ ميفارقين وآميد لابن الأزرقي الفارقي.

(٦٦) حول التحقيق في هذه الأقوال انظر: مينورسكي، فصول من تأريخ الباب وشروان، ص ١٢٤. الطبعة الروسية.

(٦٧) دائرة المعارف الاسلامية. مادة داغستان.

وفي القرن الثامن الهجري حدد أبو الفداء موقع اللان في هذه المناطق كما يلي:

«قال ابن سعيد وفي شرق الانجاز (والأصح أبخاز - ج.ر) على البحر مدينة علانية وهي مدينة يسكنها قوم من العلان وهم ترك (؟ - ج.ر) تنصروا... والعلان خلق كثير في تلك الجهة وخلف العلان باب الأبواب ويجاورهم قوم من الترك يقال لهم الآس (وهم قسم من اللان - ج.ر) على منزعهم وعلى دينهم وقلعة العلان التي هي إحدى قلاع العالم تتعمم بالسحاب... الخ» (٦٨).

ويظهر من هذه الحقائق ان بلاد الباب وشروان كانت نقطة تماس اللان مع شعوب غربي بحر قزوين ومنهم الكرد.

■ ٤ - أقوام شروان وحواليها

لقد سكن في بلاد شروان أقوام قفقاسية عديدة وقعت تحت تأثير العالم الاسلامي من الجنوب وضغط البدو الآتين من الشمال. ولقد أثرت علاقات هذه الأقوام بهؤلاء في تحديد مسار تطورهم في التاريخ داخل أراضي شروان أو في المناطق المحيطة بها. وأشهر هذه الأقوام هم التات والخيداق والكرخ والغميقي وأهل السرير (الآفار) وغيرهم من الأقوام الذين سنتطرق إليهم باختصار.

أ - التات: في جنوب الدربند (الباب)، حيث يشاهد خط تقسيم مياه الأنهر، وخاصة نهر روباس الذي يشكل حوضه مقاطعة (تبرسران) تشاهد بعض القرى في جهة الشمال، يسكن فيها سكان جبليون يتكلمون بلغة إيرانية يسمون (التات) ويعيش معظم المسلمين منهم في نواحي باكو وقبه وشماخي وكوكجاي. ويعيش بعضهم في لاية كنجه (جنزه) وفي جنوبي داغستان بنواحي قيتق، ولكنهم يتركزون الآن في إيران حول قرية كرينكان في منطقة ديزمار بأذربيجان وقد سافرنا إليها يوم ١٩٩١/٥/٣٠م لدراسة لغة

(٦٨) أبو الفداء، تقويم البلدان (باريس، ١٨٤٢)، ص ٢٠٣.

أهلها. انها تبعد ١٤ فرسخاً عن تبريز وثلاثة فراسخ عن قصبة أوشتين. والمنازل التي تتوزع على طريق تبريز - كرينكان هي على الترتيب التالي: آناخاتون - شيرينجه - شوردره - نوروز آباد - ياستي بولاق - ينكي اسبران - كلزار - كللوجه - مشكعنبر - شيطان آباد - اليرت - لجين - برخواران - شرفه - ايزاوان - ملك - كرينكان.

إن سكان قرية كرينكان هم مسلمون شيعة ويعملون في الزراعة وتربية المواشي، وتعتبر القرية مركزاً لتداولي اللغة الثانية في منطقة ديزمار التي يتكلم بها سكان قرى جاي كندي وملك في ديزمار وأرزين ونستان وخوى نرو وكلاسور، ودميرجي ومركز في منطقة حسنو. وهناك بعض الاختلاف في لهجتي المنطقتين لكنهما تتراجعان أمام التركية التي طغت على اللغة الآذرية القديمة تماماً حيث خلف ورائها هاتين اللهجتين بالإضافة إلى الهرزنية وهي لهجة مقاربة إلى الثانية.

لقد ظهرت الآذرية منذ العصر الميدي في أذربيجان (ميديا الصغرى) وهي في الأصل اللغة الميدية التي يعتبرها بعضهم اللغة الأم للغة الكردية أيضاً، فبذلك تصبح الكردية والثانية والهرزنية وحتى التالشية لهجات ميدية انتشرت في ميديا الصغرى والكبرى (أذربيجان وكردستان) خلال الألف الأول قبل الميلاد وظلت أذربيجان كاسم جغرافي ديني مقدس ومركز حضاري متميز تحتفظ بمعالمها في العصور الإخمينية والهللنية وان جرى بعض التغييرات في صياغة اسمها من أتورياتكان إلى أذربيجان مروراً بأذربادكان وأذربادكان، وأذربايجان، وظلت اللهجات الميدية متداولة فيها إلى بداية العصر الاسلامي لحد ظهور العناصر التركية فيها أيام سلطنة الدولة الروادية الكردية في تبريز.

ومن الممكن القول ان لهجة (تاتي) الآن هي وسط بين الفارسية الحديثة والكردية واللهجات القزوينية التي يكثر فيها الإبدال أيضاً،

وتتكلم بهذه اللهجة الخاصة أيضاً جماعات أخرى عديدة من اليهود والأرمن^(٦٩).

وفي الأصل فإن اصطلاح تات أو تات هو كلمة تركية مشابهة في المعنى للكلمة العربية (الأعجمي) أطلقت على العناصر الغربية التي عاشت في البلاد التركية ولها تاريخ معقد. وقد جاء في ديوان لغة الترك الذي كتب عام ٤٦٦ هـ الموافق ١٠٧٥ م^(٧٠)، أن كلمة تات تعني الفارسي ويضيف مؤلفه قائلاً:

«تات سيز ترك بلماس، باش سيز برك بلماس».

أي لا يخلو الترك من الفارسي كما لا يخلو الرأس من القلنسوة^(٧١). وقد أشار شمس الدين سامي في القاموس التركي^(٧٢) إلى أن التات اسم أطلق من قبل الترك على الإيرانيين والكرد الذين خضعوا لحكمهم بمفهوم الاحتقار:

«تات - اسكى تركلرين كندى حكم لرى آلتندا بولونان يرلرده
اسكى ايرانى وكردلره ويرديكلرى اسم أولوب مقام تحقير ده
فوللايليردى».

والواقع فعند جميع الأتراك يعني التات الفارسي، وتطلقها قبيلتا يغما وتخسى بصفة خاصة على الأويغور. وهي تحمل في الحالين معنى الاحتقار ثم أصبح الترك الفاتحون يطلقون بعد ذلك كلمة تات على الفرس المغلوبين على أمرهم. بل إن جلال الدين الرومي قد استعمل (طط وطط جه) في أشعاره التركية للدلالة على الفرس ولغتهم قائلاً:

«أكر تات ساك وأكر رومساك وكرتورك - زبان بى زباني
راياموز».

تطلق قبيلة قشقائي التركية بفارس اسم تات على غير الأتراك، أما

(٦٩) دائرة المعارف الإسلامية، مادة - التات.

(٧٠) ديوان لغة الترك، الجزء الثاني (استنبول، ١٣٣٣هـ)، ص ٢٢٤.

(٧١) المصدر نفسه، الجزء الأول، ص ٢٩٢.

(٧٢) القاموس التركي (استنبول، ١٣١٧هـ)، العمود الثاني، ص ٢١٩، ٣٧٠.

تركمان ما وراء بحر قزوين فإنهم يطلقون كلمة تات على التاجيك الإيرانيين بجانب إطلاقها أيضاً على أجناس أخرى وفي كل الحالات فإن كلمة الفارسي أو الفرس تعني الإيراني.

يطلق تتر نوغاي الآن اسم تات على جميع المسلمين الذين يعيشون على الساحل الجنوبي من شبه جزيرة القرم وهم خليط مشترك من أم مختلفة، وإن رهطاً من اليونان (أي الأرثوذكس) الذين استقروا في (ماريوبول) عام ١٧٧٨م عرفوا باسم التات، وهؤلاء التات هاجروا من الساحل الجنوبي للقرم وهم يتكلمون لهجة من لهجات اللغة اليونانية ولا يطلق اسم تات على الرهط الآخر من يونان (ماريوبول) الذين يتكلمون اللغة التركية ويكتبونها بالحروف اليونانية والذين يلوح انهم انحدروا حقيقة من قوط Goth طورس. كما ان المجر (الهنگار) يطلقون على السلوفاك اسم توت (تات؟). ولعل هذه الظاهرة تشبه مثيلتها في بولندا حيث عرفت هذه البلاد بـ (سرماتيا) خلال القرون الوسطى نسبة إلى القبائل السرماتية، التي كانت فرعاً من السكيث، لكن تسمية السرمات لا تعني الآن سوى مفهوم التحقير أو القاتل وهذا ما ينطبق على كلمة الكرد عند الجيورجيين والنمسا (نيمتس) عند السلاف جميعاً. وعلى كل حال فإن المعنى الأول لكلمة تات أي غير التركي أو الأجنبي، الكلمة التي تعادل الأعجمي بالعربية، قد ورد في قاموس اللغتين الجغتائية والعثمانية للشيخ سليمان أفندي^(٧٣)، فعرفها بقوله إن التات هم الشعوب التي حكمها الترك أي التاجيك.. وإن الناس الذين من أصل أجنبي يتكلمون التركية يعرفون بالتات كما يعرف الذين يتكلمون منهم بالتاجيك^(٧٤). ويشير ملك الشعراء بهار^(٧٥) إلى ما يؤيد هذا الرأي لكنه يقول ان الإيرانيين استعملوا كلمة التاجيك بمعنى الأجنبي ويرادف البربر اليوناني والأعجمي العربي.

(٧٣) قاموس اللغتين، (طبعة كونوس)، ص ١٨٤.

(٧٤) المصدر نفسه، ص ١٧٩.

(٧٥) المصدر نفسه، الجزء الثالث، (طهران، ١٣٢٦هـ).

روى زكي وليدي طوغان من ان كلمة تات اطلقت اصطلاحاً في التركستان (إبان القرن الرابع عشر؟) على جميع عناصر السكان المقيمين بمن في ذلك الترك الذين استقروا في هذه البلاد قبل مجيء المغول^(٧٦). ويقول أحمد وفيق^(٧٧) الذي يلوح انه تأثر في تفسيره لهذه الكلمة بالأحوال العثمانية المحلية، ان التات هم السكان الكرد والفرس الذين خضعوا لحكم الأتراك وإذا سألت أى أذري عن التات لأجابه: «تات تعني تخته قابو وآبادى نشين» أي المدني.

وعلى كل حال فإن كلمة تات تطلق في معنى من معانيها الخاصة والفرعية بطبيعة الحال على جنس معين من الأجناس الايرانية كان الفرس أنفسهم يرون أنه مختلف عنهم. وهؤلاء الأرهاط من التات يعيشون في ايران وفيما وراء القوقاز كما ذكر، وحتى إذا استعملت كلمة تات للدلالة على أولئك الذين يتكلمون اللهجات الشمالية، فإنما يقصد بها في اللغة الفارسية لهجات خاصة في الشمال الغربي، ويعيش أصحابها في قرى اشتهاارد وجال وأسيورين (أسفرورين) وشادمان وسكزي آباد وابراهيم آباد وخياره ونسفان وسيادهون وبسيادهون التي على مفرق الطريقين من قزوین إلى همدان وزنجان. وفي هذه المناطق لا يمكن تمييز التات من مظهرهم الخارجي من الفلاحين الآخرين الذين يعيشون فيما حول قزوین، كما ان هناك لهجات تاتية يتكلم بها في ناحية رستم آباد على الضفة اليسرى لنهر سفيد بجانب التاليشية والكردية، وبأذربيجان الايرانية رهط من تات هرزن بين مرند وجولفه.

ومهما يكن فإن سكان تبرسران بمن فيهم التات قد أسلموا مبكراً، وأثناء الاحتلال العربي كان لهذه البلاد ملك يلقب بـ (تبرسرانشاه). وفي زمن المسعودي كان يحكمها ابن أخت الأمير عبد الملك حاكم الباب، وكانت شروان في علاقة طيبة مع تبرسران منذ القديم. ومنذ

(٧٦) المصدر نفسه.

(٧٧) لهجة عثمانی (استنبول، ١٣٠٦هـ)، ص ٢٨٦.

هذا الوقت غدت أسماء الحكام في هذه البلاد عربية اسلامية سواء في تبرسران العليا التي تشتهر الآن بـ(مراغه) أو تبرسران السفلى جنوبي دربند، ولكن اللغة ظلت فيها آذرية التي أشار إليها بعض الكتاب المسلمين. فذكر الخطيب التبريزي عند تحدّثه عن قوة ذاكرة أبي العلاء المعري حيث كان جالساً في مسجد وقد مر على التبريزي سنتان منذ ان ترك تبريز واستقر في هذا المسجد فالتقى بأحد مواطنيه وتكلم معه فسأله أبو العلاء عن لغة تخاطبهما فأبلغه أنها آذرية قائلاً:

«... وذكر تلميذه أبو زكريا التبريزي انه كان قاعداً في مسجده بمعة النعمان، بين يدي أبي العلاء، يقرأ عليه شيئاً من تصانيفه، قال، كنت قد أقمت عنده سنين ولم أر أحداً من أهل بلدي فدخل المسجد مغافصة بعض جيراننا للصلاة، فرأيتُه وعرفته فتغيرت من الفرح، فقال لي أبو العلاء: ايش ما أصابك؟ فحكيت له اني رأيت جاراً لي بعد ان لم ألق أحداً من أهل بلدي سنتين، فقال لي: قم وكلمه، فقلت: حتى أتمم السبق فقال: قم أنا أنتظر لك، فقمتم وكلمته بلسان الآذرية شيئاً كثيراً إلى ان سألت عن كل ما أردت. فلما رجعت وقعدت بين يديه، قال لي: أي لسان هذا؟ قلت: هذا لسان أهل أذربيجان، فقال لي: ما عرفت اللسان ولا فهمته، غير اني حفظت ما قلتما... الخ» (٧٨).

وفي ٣٠ أيار/مايو ١٩٩١م سألنا شخصياً أحد الآذريين قرب ساري تاش على بعد ١٣ كم من تبريز بعد ايسبيران عن الناتية فقال لنا: «لا يفهم الكرد ولا الترك ولا حتى الانكليز لغتهم» وفي الواقع فإن الترك لا يتعبون أنفسهم بتعلم الناتية وغير الناتية وهذا سر من أسرار تغلب التركية على الآذرية عبر التاريخ، وقد اجتمعنا بعائلة علي عبدالله الذي كان يتكلم الناتية بشكل جيد مع شقيقه لكن أولاده لا يعرفون غير التركية وهم يعيشون جميعاً في تبريز ودرسنا لغتهم قاعدة وصوتاً وهي أقرب اللغات إلى الكردية والكتاب الوحيد المؤلف حول هذه اللغة هو (تاتى وهرزنى دو لهجه أز زبان باستان آذربايجان) من تأليف عبدالعلي كارنك،

(٧٨) انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، الجزء الأول (مصر، ١٩٢٣)، ص ١٧٣.

تبريز ١٣٣٣ تيرماه، فقد استنسخناه لأنه نادر جداً ومؤلفه هو أحد مثقفي التات في العصر الحديث. أما لهجة الهرزن أو هرزند فهي باسم قرية تقع بقرب جبل آفتابكير في منطقة هرزندات بين علمدار ومرند والطريق إليها وعر لا يصل إليها المرء إلا بواسطة الخيول أو البغال. وقد انتقل سكانها إلى قرية جديدة باسم (كلن قيه) وهي لا تختلف عن التاتية كثيراً سوف ندرسها في مجالات أخرى.

ب - خيداق: يتبع درباخ (درواق) منطقة بوغان وتقعان معاً على الانحدار الشمالي لخط تقسيم المياه الذي قرب دربند (الباب). في هذه المناطق بالذات يعيش جنس جبلي معروف باسم قيتاق (خيداخ) يتكلمون لغة تنتمي إلى عائلة دركين (دركوا) التي تنقسم إلى اللهجات التالية أقوشا، قيتاخ، كوباجي.

يشير اسم خيداق (قيتاق) وصوته إلى أصل الطائي (خزري)، وقد التقى الرحالة العثماني أوليا جلبي عام ١٦٤٧م بالقيتاق الذين كانوا يعيشون بين شكى وشروان. ويقول في كتابه (سياحنتامه) أنهم كانوا يتكلمون بالمغولية، ويشير مينورسكي إلى أن أوليا جلبي دَوّن هذه التسمية بصيغة موغانلو (وهي منطقة بقرب زكاتالي). وموغانلو في الواقع هم الترك الأذربيجان المحليون الذين جاءوا من منطقة موغان (موقان)^(٧٩). وقد حدد ياقوت الحموي موقع موقان بقوله:

«وأهله يسمونه موغان بالغين المعجمة، وهي أعجمية، ويجوز أن يجعل جمعاً للموق وهو الحمق: ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركمان للرعي فأكثر أهلها منهم وهي بأذربيجان يمر القاصد من أردبيل إلى تبريز في الجبال»^(٨٠).

ومع عدم معرفة ياقوت معنى التسمية التي هي صحيح صيغة جمع ل(موغ، موق) لكن الكلمة تعني (رجل دين زرادشتي) أو ما يقابل الإمام عند المسلمين والقس لدى المسيحيين. وقد زرنا هذه المنطقة

(٧٩) مينورسكي، فصول من تاريخ الباب وشروان، ص ٩٢ النسخة الانكليزية.

(٨٠) ياقوت، معجم البلدان، مادة - موقان.

شخصياً يوم ١٩٩١/٦/١م مغادرين تبريز نحو أهر مارني من وني يار وهيريس ولكن الذي جلب نظرنا ان أراضيها مالحة وحتى ان الملح يغطي بعض جبالها. وعلى كل حال فقد ذكر بارثولد أن الخيDAQ حصلوا على اسمهم من طبقة أجنبية سكنت بينهم (ويحتمل ان يكونوا من الآفار)^(٨١). وقد حدثت هذه الظاهرة قبل مجيء المغول إلى هذه المناطق بمدة قرن على الأقل.

أما المسعودي فقد أشار إليهم باسم (الصناريه) وأرجع أصل زعمائهم إلى قحطان وذلك لتقارب هذا الاسم مع قيتاق الذين كانوا على نظام أحسن ممن يجاورونهم من سكان تبرسران، وكان لهم علاقات جيدة مع الخزر.

ترجع أخبار حكام هؤلاء في العصر الاسلامي إلى عام ٣٠٤هـ/ ٩١٥م. وفي عام ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م أرسل أمير الخيDAQ غلمانة لدعم صهره الأمير منصور حاكم الباب (دربند)، وقد تزوج شقيق هذا الأمير المدعو لشكري من فتاة خيDAQية، وتربى ابنه عبدالمك في بيت بيروز بن سكبان الخيDAQي، وقد دعمه الخيDAQ عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م، وتلقب هؤلاء الأمراء بلقب (أوتسمى) وكانوا يقيمون في قلعة قريش (أوركموزدا) وفي غيش ومجالس (على بوغان) وكذلك في باشلي. ويحتمل ان مدينة (مجالس) قد بنيت من قبل سلطان أحمد الذي توفي في ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨م وفي أرض خالية كان الناس يتجمعون فيها أحياناً^(٨٢). وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كان (أوتسمى) يعيشون في باشلي، ثم استمرت إقامة هؤلاء الحكام في المناطق العالية فيما بين جنوب وشمال شرق المنطقة التي تحتوي على أراض منخفضة.

ج - كَرخ: كان الكرخ قوماً مجاوراً لمدينة الباب، وقد دَوّن البلدانيون المسلمون هذا الاسم بصيغة كرج. وقال المسعودي في

(٨١) W. Barthold, Ethnograf. Obzreniye, (1910), Vol. 83-4, PP. 1-9.

(٨٢) هذا ما يعتقده باكي خانوف. أنظر: مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٩٤.

حينه (عام ٣٢٢هـ/٩٣٣م) ان للكرج ملكاً مسلماً يلقب برزبان (مرزبان؟) وتقع دار ملكه غرب خيداق على طريق السريو. وقد وصفهم منفصلين عن زير هكران (كوباجي) والغميق. ومن المعروف ان الآفار الذين عاشوا في أواسط طريق آفار - قوی صو (كوی صو) سموا بـ(كرخ)، ولكن هؤلاء وإن عاشوا في قلب أراضي الآفار وعلى مسافة قريبة من مدينة الباب إلا انهم ليسوا بالكرخ الذين نحن بصدد أخبارهم. والحقيقة إن الكرخ هم أولئك الذين عاشوا في أرض تقع على بعد ٦٠ كيلومتراً من الباب (دربند) واحتلوا موقعا مهماً على طريق مركز داغستان (حوض قوی صو) - خيداق ودربند، وقد اتخذ حكامهم لقب مرزبان عبر التاريخ.

تشير المصادر إلى ان الكرخ تحولوا إلى الاسلام عام ٣٨٥هـ/٥٩٥م من قبل أمير الباب. وفي عام ٤٢٤هـ/١٠٣٢م كانت مناطقهم تقع على طريق محور تحركات اللان والروس أثناء حملاتهم على مدينة الباب من جهة الشمال الغربي. ومن بعد هذا التاريخ لا نسمع عن لقب مرزبان في هذه المناطق، حيث يكون هيثم بن ميمون البالي (البابي؟) هو حاكم هؤلاء^(٨٣).

د - الغميق: الجماعة جبلية ذات لغة قفقاسية، لا علاقة لهم مع الترك القوميق الذين يعيشون على مقربة من بحر قزوين. وكان لهم بعض الدور في تأريخ المنطقة وخاصة في العصر الاسلامي. ففي عام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م وبعد كفاح طويل سيطروا على الوضع السياسي في مدينة الباب وأخذوا الخراج من سكانها.

يسمى الغميق الآن غازي قوموخ (قازي قوموخ) ويعيشون في وادي فرع نهر (قوی صو) الذي يسمى هنا بنفس الاسم. ويجاورهم في الشرق أقوشا وفي الغرب الآفار. ويسمى قوموخ أنفسهم باللغة المحلية

(٨٣) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٩٦.

(لك)، كما سمتهم المصادر العربية الاسلامية بالسريير^(٨٤) وكانوا مسيحيين^(٨٥). وقد حاربهم الجراح قبل وصوله إلى شكي^(٨٦).

هـ - السريير (الآفار): يعتبر أهل السريير الذين ذكرتهم المصادر الاسلامية هم الآفار الجبليين الذين يحتلون الوديان الواقعة في أواسط مجرى نهر (قوى صو). ويقول ياقوت:

«إن مملكة السريير هي واسعة بين اللان وباب الأبواب وليس إليها إلا مسلكان، مسلك إلى بلاد الخزر ومسلك إلى بلاد أرمينية».

وقد قال الاصطخري قبل ياقوت ان:

«السريير اسم المملكة لا اسم المدينة، وأهل السريير نصارى، ويقال ان هذا السريير كان لبعض ملوك الفرس وهو سريير من ذهب»^(٨٧).

وقد حكم هؤلاء أقواماً أخرى محلية في المنطقة، ويعتبرون من الوحدات التي تنتمي إلى مجموعة البرابرة التي غزت أوروبا، وكانوا يشكلون اتحادات قبلية كبيرة باسم (آفار) وقد لعبت العشائر ذات اللغات التركية الدور البارز بينهم.

جاء اسم الآفار بصيغة (أوبرام) في الكتابات الروسية القديمة^(٨٨)، أما بصورة عامة فقد وردت صيغة (آفار) لأول مرة في التأريخ ضمن المراسلات لسفارة البان عند الهون (أواسط القرن الخامس الميلادي)، ويشهد على ذلك كل من تيوفيلاكس سيموكاتيس وميناندر

(٨٤) انظر خاصة: ابن رسته.

(٨٥) انظر: المسعودي.

(٨٦) انظر: البلاذري.

(٨٧) ياقوت، معجم البلدان، مادة - السريير -

(٨٨) انظر: دائرة المعارف التاريخية السوفياتية. الجزء الأول، مادة آفار (موسكو، ١٩٦١)، ص ٦٢. وكذلك انظر بالروسية المصدر التالي:

Nicolskaya Z.A., Avartsi, - V KN. «Narodiy Dagestana» (M,1955).

وغيرهما^(٨٩). ويتوضح من أقوال هؤلاء بأن الآفار كانوا على ارتباط مع العناصر التركية جنوب جبال الأورال وخاصة الأغور Oghur، ثم اندمجوا بالهون ويعتقد ان إحدى القبائل الأوغورية كانت تحمل اسم اوار Uar واشتق منه فيما بعد اسم الآفار^(٩٠). ومن الجدير بالذكر هنا ان اصطلاح (آواره) الكردية يعني التشرّد أو الهجرة، وله صلة بطبيعة حياة هؤلاء، ومن المحتمل ان قسماً منهم كان ينطق بلغة إيرانية كاللّان، واندمج بالعناصر الناطقة بالتركية فيما بعد ثم اختلط بهم الأغور، واشتهروا بـ(آوار) في وقت متأخر.

وجد الآفار في أواسط القرن السادس الميلادي في السهول الغربية لبحر قزوين وفتحوا سفارة لهم في الامبراطورية البيزنطية عام ٥٥٨م، وقد اقترحوا توحيد قواهم مع بيزنطة، واستغلتهم الأخيرة في حربها ضد القبائل (السافيرية) على البحر الأسود. وبعد احتلالهم لبعض أراضي الآخرين توجهوا بحملات نحو أراضي شعوب أواسط أوروبا للسلب والنهب. وبالاتحاد مع اللمباردين استطاعوا القضاء على الكيبيد (الجيبيد)، وقد احتكوا أيضاً بالسلاف، ثم شكلوا الخاقانات الآفارية في النصف الثاني من القرن السادس على غرار امبراطورية البرابرة. وتزعمهم القائد (الخان بيان) وكان مركز حكمه (بانونيا) في بلاد الكيبيد الأصلية. ومن هنا كانوا يهاجمون السلاف والفرانك واللمبارد (اللكوبارد) والجيورجيين وغيرهم. وقد توسعت حدودهم في هذه الآونة، ووصلت إلى قفقاسيا في الجنوب ومن نهر الدون إلى الأديرياتيك في الغرب لمدة غير طويلة، ولكنهم لم يستطيعوا التحكم

(٨٩) ثيوفيلاكثوس سيموكاتيس، مؤرخ بيزنطي من القرن السابع الميلادي، مستشار الامبراطور هرقل ٦١٠م - ٦٤١م. ومن كتبه (التاريخ أو تأريخ العالم) الذي اعتمد في كتاباته على مؤرخين سابقين له من اليونان والرومان مثل هيرودوت وديودورس الصقلي وغيرهما.

(٩٠) حول هذا الموضوع انظر: دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الرابع (ليدن، ١٩٧٨)، ص ١١٧٢.

في هذه البلاد الواسعة في وقت كانوا منهمكين فيه بأمور السلب والنهب لأن اقتصادهم كان يعتمد على البداوة وحياة الترحال. دمر هؤلاء مدناً عديدة على ساحل البحر الأسود الغربي وعلى نهر الدانوب وقاموا بغزو شبه جزيرة البلقان في نهاية القرن السادس^(٩١)، وقد انهارت قواهم عام ٦٢٦م أمام القسطنطينية. وبعد ان حاربهم السلاف والفرنك والبلغار، وبالإضافة إلى الخلافات التي ظهرت بين زعمائهم، احتل البلغار مراكزهم في بانونيا عام ٦٨٠م أثناء قيام المملكة البلغارية على الدانوب. واندمجوا في النهاية بسكان سواحل البحر الأسود ونهر الدانوب بعد القرن الثامن الميلادي.

أما آفاريو قفقاسيا فهم لا ينتمون إلى العالم الهندو-أوروبي من ناحية اللغة بالتأكيد ويقول كيريل كراهام انهم مسلمون ويستعملون ألفاظاً عربية وتركية وفارسية عديدة، ويطلق الروس والفرس عليهم تسمية لازك-يان Lasghian. بزيادة ياء النسبة وعلامة الجمع (ان أو يان) الإيرانية، وتقابلها بالعربية (اللاظ) حالياً^(٩٢)، وقد قدر عددهم عام ١٩٥٩ بـ (٢٦٣٣٠٠ نسمة) وهم يطلقون على انفسهم اسم (معارولال) ويعني الجبلي. أما تسمية آفار فيطلقها عليهم الآن جيرانهم من الكوميك والدركين (قوميقي ودركوا) وغيرهم، ومن خلال هؤلاء استقر اسم آفار في اللغة الروسية. ويعتبر (بولماتس) ان لغتهم دوراً قليلاً عند سكان مرتفعات داغستان.

كان لاصطلاح - صاحب السرير - في المؤلفات العربية الاسلامية جذور ساسانية، وقد ذكر البلاذري هذا الاصطلاح بصيغة فهارزان شاه^(٩٣) ويرجع زمنه إلى عهد أنوشروان، وكانوا يعنون به اللكز، والزاء لاحقة إيرانية. وفي كتاب، ظفرنامه^(٩٤)، الذي ألف في القرن

(٩١) N. Todorow; L. Dinev; L. Melnishi, Bulgaria, Historical and Geographical Outline, (Sofia, 1968) p. 14.

Cyril Graham., Ibid..

(٩٢)

(٩٣) البلاذري، فوح البلدان، ص ١٩٦.

(٩٤) ظفرنامه، الباب الأول، ص ٧٧٢.

الخامس عشر^(٩٥)، جاء اسم أهل السرير بصيغة أوهار. وفي دربندنامه^(٩٦) ورد اسم الآفار بصيغة اهران (وربما فهران) ونعتقد ان اسم مدينة (أهر) في اذربيجان الايرانية شمالي تبريز له علاقة بهؤلاء. وعلى كل حال فإن أصل اللفظة (أفار- أوار) يمكن ان يشاهد عند ابن رسته^(٩٧) عندما يتحدث عن ملك السرير المدعو أوار، ولكنه يعني به الحاكم وليس القوم.

لقد انحدرت الأسرة الحاكمة للآفار من أصل غير آفاري وكانوا قد اختلطوا في القرن الخامس الميلادي مع غزاة الألطاي، لذا سمي أفراد هذه الأسرة بـ(خاقان الجبل) اللقب الذي أعطاه كسرى أنوشروان لحكام السرير^(٩٨). وذكر بجانب هذا اللقب ألقاب القادة بصيغة طرخان وبطريق وهي تسميات ألتائية، وتدل هذه الظاهرة على التقارب بين هؤلاء والخزر، وليس من الغريب ان يكون حكام وديان (قوى صو) من أصل ألتائي.

كان الآفار نصارى حسب أقوال المسعودي وابن رسته، وقد تم زواج بين أهلي ملك الآلان وصاحب السرير لغرض سياسي وقد صادق هؤلاء الخزر كذلك في بداية القرن العاشر الميلادي (٣٠٠هـ/٩١٢م) وشاركوا شعوب قفقاسيا في تطورهم التاريخي.

و - الخزر: شعب لا يعرف أصله على التحقيق، وان كان هناك دراسات حديثة تربطهم بالاتحادات القبلية التركية القديمة، وقد عاشوا في جنوب روسيا في القرون الميلادية الأولى إلا انهم نشطوا سياسياً في بداية العصر الاسلامي^(٩٩).

إن قلة المعلومات حول تأريخ الخزر تزيد من قيمة أي أثر يتعلق بهذا

(٩٥) مينورسكي، المصدر نفسه.

(٩٦) دربندنامه، ص ٩٤، ٢٠٠.

(٩٧) ابن رسته، ص ١٤٧.

(٩٨) البلاذري، المصدر نفسه.

(٩٩) راجع أحدث دراسة حول الخزر في: دائرة المعارف الاسلامية (لندن، ١٩٧٨).

الشعب. ولكن من خلال نظامهم السياسي والألقاب الشريفة لديهم، يعتقد المرء أنهم صنف من الأتراك الذين اشتهروا بـ (كوك - تورك) وفي اللغة الصينية بـ (تسو - جويه). وكان هؤلاء يتركزون على السواحل الشمالية الغربية لبحر قزوين ويواصلون غاراتهم إلى الجنوب. على أن البلاد القوقازية التي استولى عليها الخزر لم يستعدها الفرس وإنما خرجت من أيدي الخزر بالاحتلال العربي. والرواية التي ذكرها البلاذري^(١٠٠) من أن كعولك (مدينة قبله) عاصمة أزان القديمة كانت تسمى أيضاً خزران رواية لها أيضاً شأنها. وترجع أخبار سلب الخزر لبلاد القوقاز (القفقاس) إلى مانديان نقلاً عن موسى كالانكاتواجي (كاكانكاتفاسي).

كان الخزر أثناء الفتوحات الإسلامية أكبر وأعظم قوة في جنوب روسيا وشرق ما وراء القفقاس. وقد واجه العرب صعوبات جمة في محاولاتهم لفتح ثغور في حدود قوة الخزر حتى أواخر الدولة الأموية. وقد وجه العباسيون همهم إلى محاور أخرى لأن الخزر غدوا يهددون بغزواتهم المناطق الشمالية لايران منذ عام ١٨٢ هـ / ٧٩٩ م^(١٠١). وتاريخ مدينة الباب يشير إلى أن الخزر كانوا في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين يكونون قوة كبيرة وخاصة عندما هاجموا الباب (دربند) عام ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م تحت قيادة ملك عرف بـ (ابن بلجان). وبالرغم من أن مروان كان قد أسكن فريقاً من الخزر فيما بين نهر سمور (سامور) ومدينة شابران لكن الحكم العربي الإسلامي لم تتوطد أركانه على نهر الفولغا أو حتى في داغستان، بل إن سلطان الخزر قد امتد في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) حتى كاد يبلغ أسوار دربند (الباب) ولقد أثبتت مملكة الخزر أنها دولة عظيمة تقف في وجه الامبراطورية البيزنطية والخلافة الإسلامية، وكان المركز القديم للخزر مدينة (سمندر) الواقعة على الزاوية الشمالية الشرقية من

(١٠٠) البلاذري، طبعة دي كويه، انظر ص ١٩٤.

(١٠١) حول هذه الأخبار، أنظر الطبري، الكتاب الثالث، ص ٦٤٨.

القوقاز لكنه تحول في العصر الاسلامي (نحو ١٠٤هـ/٧٢٣م) إلى دلتا نهر فولغا، لذا أصبحت المناطق الخزرية على ساحل بحر قزوين في منطقة داغستان تحت النفوذ العربي الاسلامي، بالرغم من هجماتهم على الباب وشروان جنباً إلى جنب مع أهل السريز، وبالأخص حملات عامي ٩٠٩م و٩١٢م^(١٠٢).

لقد ظهر الاتحاد القبلي للخزر في التاريخ خلال القرن السادس الميلادي نتيجة لسلسلة من الهجرات للقبائل الرعوية من مواطنها في أواسط آسيا. ومع انهيار دولة الهون في أوروبا عام ٤٥٤م بدأت عناصر رعوية من قبيلة (أتيل) بالتراجع والانسحاب نحو سهول الإستبس في شمال البحر الأسود، وفي حدود عام ٤٦٣م التقوا بقبائل أغور الذين كانوا قد وصلوا إلى هنا من غرب سيبيريا. وفي القرن السادس وصل (السايبين) إلى السهول الواقعة في شمال قفقاسيا وحوض نهر الفولغا. أما سيطرة (جوان - جوان) وهم من الآفار فقد انتهت في منغوليا في هذا الوقت بالذات من قبل الترك (كوك تورك، توركوت) عام ٥٥٢م، وتوجه قسم من الآفار (ولعلمهم من الهياطلة) نحو الغرب ودخلوا منطقة سهول نهر الفولغا بعد عام ٥٥٧م وأخضعوا قسماً من قبائل الأغور^(١٠٣)، وفي خضم هذه الأحداث ظهر اسم الخزر كقوة سياسية لا يستهان بها، ثم ذكروا في المدونات الأرمنية (موسى الخوريني وغيره). كما سجل أخبارهم كل من البلاذري واليعقوبي وياقوت الحموي وغيرهم. ولعل أشهر من كتب عن حالة أقوام تلك المناطق هو أحمد بن فضلان رسول الخليفة المقتدر بالله إلى الصقالبة الذي يحدد يوم رحيله من بغداد بقوله:

«فرحلنا من مدينة السلم يوم الخميس لإحدى عشر ليلة خلت من صفر سنة تسع وثلثمائة. فأقمنا بالنهروان يوماً واحداً ورحلنا مجدّين حتى وافينا الدسكرة فأقمنا بها ثلاثة أيام. ثم رحلنا قاصدين لا نلوي على شيء حتى صرنا إلى حلوان فأقمنا

(١٠٢) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ١٠٥.

(١٠٣) دائرة المعارف الاسلامية، مادة الخزر (لندن، ١٩٧٨).

بها يومين وسرنا منها إلى قرميسين فأقمنا بها يومين. ثم رحلنا فسرنا حتى وصلنا إلى همدان فأقمنا بها ثلاثة أيام...».

ويستمر ابن فضلان في توضيح خط سيره باتجاه الري وسمنان والدامغان وآمل. ثم عبر نهر جيحون إلى آفربر ثم إلى بيكند وبخارا^(١٠٤). وهكذا لا يبقى شك من الاتجاه الشرقي لرحلة ابن فضلان بالنسبة لبحر قزوين ووصوله إلى بلاد البلغار الذين عاشوا على نهر الفولغا (إتل) وتجول بين الصقالبة (السلاف) وبالأخص الروس وتطرق إلى أحوال الخزر وقوتهم قائلاً أن:

«على ملك الصقالبة ضريبة يؤديها إلى ملك الخزر من كل بيت في مملكته جلد سمور وإذا قدمت السفينة من بلد الخزر إلى بلد الصقالبة ركب الملك فأحصى ما فيها وأخذ من جميع ذلك العشر. وإذا قدم الروس أو غيرهم من سائر الأجناس برقيق فللملك أن يختار من كل عشرة رؤوس رأساً. وابن ملك الصقالبة رهينة عند ملك الخزر. وقد كان اتصل بملك الخزر عن ابنة ملك الصقالبة أن لها جمال فوجه يخطبها فاحتج عليه وردّه فبعث وأخذها غصباً وهو يهودي وهي مسلمة فماتت عنده فوجه يطلب بنتاً له أخرى فساعة اتصل ذلك بملك الصقالبة بادر فزوجها لملك أسكل وهو من تحت يده خيفة أن يغتصبه إياها كما فعل بأختها. وإنما دعا ملك الصقالبة أن يكاتب السلطان ويسأله أن يبنى له حصناً خوفاً من ملك الخزر»^(١٠٥).

(١٠٤) انظر: رحلة ابن فضلان. اعتنى باستنساخها عن نسخة مكتبة المشهد الرضوي بخراسان وقابلها مع مقتطفات ياقوت الحموي وغيره واهتم بطبعها زكي وليدي طوغان، من منشورات مجلة أنباء بلاد الشرق، الجزء الرابع والعشرون (لايزك، ١٩٣٩)، ص ٤.

Ibn Fadlan's Reisebericht Von A. Zaki Validi Togan. Abhandlungen Für Die Kunde des Morgenlandes, Band XXIV (Leipzig, 1939).

(١٠٥) المصدر نفسه. وللمزيد من هذه المعلومات انظر بحثنا المنشور الذي قدم في الندوة العلمية الأولى لكلية التربية الأولى بجامعة بغداد: «بغداد في التاريخ» المنعقدة في ٥ - ٧ أيار ١٩٩٠ بعنوان: «مع رحلة ابن فضلان إلى مدن البلغار والتوران تشع بغداد معالم حضارتها إلى مختلف البلدان».

ويتبين ان ملوك الخزر ظلوا يدينون باليهودية حتى في العصر الاسلامي وان ادعى موسى كالانكاتواتسي المؤرخ الأرمني^(١٠٦) عن دخول هؤلاء في النصرانية على يد الأسقف الألباني اسرائيل في عهد الجاثليق الأرمني سهاك الثالث (٦٧٧م - ٧٠٣م) وقد وصل إلينا في هذا المقام بعض المعلومات عن تصورات الخزر الوثنية وعن عبادة إلههم الأكبر تنكري خان^(١٠٧).

أما لغة الخزر فليس هناك دراسات تخصصها ولكن على الأغلب ان لغة العامة من الخزر (مع البلغارية القديمة) كانت من تلك المجموعة التركية التي ظهرت في الكتابات البلغارية القديمة وتلك التي تسمى الآن جوفاش ولكن الاصطخري يخبرنا بأن:

«الخزر لا يشبهون الأتراك وهم سود الشعر، وهم صنفان: صنف يسمى قرا خزر، وهم سمر يضربون إلى السواد كأنهم صنف من الهند، وصنف بيض ظاهر الحسن والجمال»^(١٠٨).

أما دولة الخزر فكانت متعددة الأقوام، ولم تحفظ لغة كتابية للخزر، واعتماداً إلى الفهرست^(١٠٩) فإن الخزر كتبوا بالعبرية. ويقول فخرالدين مبارك شاه ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م^(١١٠) ان الخزر استعملوا ألفباء تنسب إلى الروس وتحتوي ٢٢ حرفاً تكتب منفصلة من اليسار إلى اليمين. يقول بارثولد ان مصدر فخرالدين غير معروف واقتبس التقرير من البعثة التبشيرية إلى الخزر برئاسة الكاهن السلافي كيريل

(١٠٦) المصدر نفسه، ص ٣٠ وما بعدها.

(١٠٧) انظر المقال الخاص عن الخزر لبارثولد في: دائرة المعارف الاسلامية. والمعروف ان الإله (تنكري خان) عند الخزر هو تنكري نفسه أو (بيرتنكري) الذي أورده ابن فضلان في كتابه كإله يعبدته الترك جميعاً، أنظر: ابن فضلان، المصدر نفسه.

(١٠٨) الاصطخري، المصدر نفسه، ص ١٣١.

(١٠٩) الفهرست، تحقيق فلوكل، ص ٢٠.

(١١٠) المصدر نفسه، تحقيق روس، ص ٤٦.

قسطنطين (القرن التاسع) ويعتقد ان الكتابة اليونانية دارت بين الخزر حتى بعد قبولهم اليهودية^(١١١).

لم تذكر المصادر الاسلامية شيئاً عن نهاية دولة الخزر، ولقد أشار ابن الاثير خطأً (والخطأ من الناسخ على الأغلب) ان فضلون الكردي والي وأمير كنجه أغار على الخزر (والصحيح هو الجزر أي الجيورجيون) في عام ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م وان الخزر باغتهوه عند رجوعه وقتلوه. والمقصود بهذا هو فضل بن محمد الشداددي (راجع الفصل الخامس من كتابنا هذا)^(١١٢)، علي ان الاغارة على الخزر من ناحية كنجه كانت أمراً بعيد الاحتمال لأسباب جغرافية والأرجح ان الخزر، كما يؤكد ذلك بارثولد أيضاً، قد ورد ذكرهم في هذا الموضع خطأً^(١١٣).

و- الطاليش (الطيلسان): هي ناحية وشعب في شمال ولاية كيلان وأصبحت تابعة لروسيا منذ صلح كلستان (١٢ - ٢٤ تشرين الأول/ اكتوبر ١٨١٣م) ويسمى القوم الساكنون هناك بـ (تالش أو تالشان) محلياً والطيلسان هي الصيغة العربية لاسم القوم، كما أطلق على الناحية نفسها في تاريخ الفتوح الاسلامية (البلاذري، الطبري) الطيلسان.

يقول مينورسكي ان هذه الكلمة تعني القمر الذي يضيء نصفه^(١١٤). وهناك قرية بهذا الاسم بين سلطانية وأردبيل، وقد توسعت الآن فغدت مدينة. والروس يطلقون على السكان الآن

(١١١) انظر بالروسية: W. Barthold., O Pismennosti U Khazar, Kulture... Vostoka (Baku, 1928), IV, 17.

(١١٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المجلد التاسع (بيروت، ١٩٦٦)، ص ٤٠٩. وانظر آراء سخاو في:

E. Sachau., Ein Nerzeichnis Muhammedan Ischer Dynastien. Abhandl. Der Preuss Akad. Philol, (Hist. Kl., 1923) D. Wissensch.

(١١٣) دائرة المعارف الاسلامية، مادة الخزر.

(١١٤) كتاب: حدود العالم، تحقيق مينورسكي، ص ٣٩١.

تالشي أو تالشنكي وقيمون إلى الشمال حتى سهوب موغان ويعيشون حياة البداوة، وإلى الجنوب موغليين قرابة ٣٠ ميلاً جنوب الحدود السوفياتية وبلغ عددهم في أملاك روسيا ٧٥٨٢٤ نسمة حسب تعداد ١٩٢٢م^(١١٥). وعلى العموم فإن هؤلاء يعيشون الآن في الزاوية الجنوبية الغربية من سواحل بحر قزوين وهي مناطق جبلية تغطيها غابات كثيفة وتقدر مساحتها بـ ١٢ ألف هكتار تغطيها أشجار البلوط والعفص والجنار والجوز وغيرها^(١١٦). وتتمتاز هذه المنطقة بمناظرها الخلابة إذ وهبتها الطبيعة كل جمالها.

يسكن التالشي عادة في بيوت خشبية متناثرة داخل الغابات وعلى هيئة أهرام مغطاة بالقصب ومملطة من الداخل بالطين. لا تشتمل على شبائيك ويدخلها الضوء من خلال الأبواب فقط. وقد امتهن قسم من هؤلاء الرعي وكانوا نصف رحل يرتحلون إلى الجبال صيفاً. ويمكن التعرف على الفنون التالشية من خلال أعمالهم في نسج البسط وما تحويها من زخارف ورسوم. هذا بجانب التفنن في الأعمال الخشبية.

يدين التالشي بالاسلام وأغلبهم من الشيعة دخلتهم زمن الصفويين أما التالشي الساكنون في منطقة أردبيل فهم من السنة وبالأخص في مدينة (آستارا) على الحدود السوفياتية و(بندر بهلوي) على بحر قزوين و(هشت يه ر) مركز قضاء تالشي في إيران، وهم على الأغلب من أتباع الطريقة النقشبندية التي تدير شؤونها أسرة شيخ علاء الدين يياره في كردستان/العراق.

لا يزال أغلب التالشي يحافظون على بعض التقاليد التي كانت لديهم

(١١٥) دائرة المعارف الإسلامية، مادة - الطيلسان.

(١١٦) Narodi Peredney Azii (M. 1957), Str. 237 i sl.

مجلة شعوب الشرق الأدنى (موسكو: منشورات أكاديمية العلوم السوفياتية، ١٩٥٧)، ص ٢٣٧ وما بعدها.

قبل الاسلام منها تقديس بعض الأشجار والأحجار، ولكي يحفظوا أنفسهم من الأرواح الشريرة يستعملون مختلف أنواع الحروز والتمايم والطلاسم التي تقيهم وتحافظ على أبنائهم وقطعانهم وبيوتهم ومنتجاتهم وحتى أسلحتهم. ولتحضير هذه الطلاسم، يقوم السحرة وفتاحو الفأل بعلاج الناس والحيوانات بأدوية شعبية متنوعة وتستحضر من النباتات والمياه المعدنية^(١١٧).

لم يتطرق كتاب الآويستا، وهو أقدم مصدر ديني زرادشتي مدون في إيران، إلى الأقوام التي سكنت جنوب وغرب بحر قزوين ومنهم الطالش، لكن كتاب اليونان والرومان تطرقوا إلى سكان هذه المناطق وصنفوهم في ثلاثة مجاميع وهي: (الكادوسيون والآمارديون والكيرتيون Kadusioi, Amardioi, Kyratioi) وكانت المقاطعات الواقعة بين كيل وأنزالي الحالية هي بلاد الكادوسيين وهي الآن نواحي طالش الحالية في إيران والاتحاد السوفياتي. أما المقاطعات الواقعة بين كيل وتبور فكانت للآمارد التي عرفت فيما بعد ببلاد الكاسبين. ويعتقد ان الكيليين والكادوسيين مجموعتان تنتميان إلى عرق واحد، وقد انحدر منه الطالش وعرفوا في المصادر الأرمنية التي ترجع إلى القرون الوسطى باسم الكاتيش كقبائل مستقلة تعيش في الجبال الجنوبية لنهر آراس بين الكيل والكاسبين. ولا شك ان الكاتيش هم الكادوس في المؤلفات اليونانية، وتحول الاسم فيما بعد إلى تالوش أو تاليش، يقول بوليبيوس ان سكان البانيا لم يكونوا من الأذريين فقط بل عاش بين الأذريين والألبان قوم باسم كادوسي. ويحدد هذا مواطنهم في مناطق آستارا وطوالش ولنكران السوفياتي سابقاً. وقد عرف الكادوسيون والمارديون والكيرتيون كأقوام مستقلة ومحاربة استغلتهم الامبراطوريات في حروبها وخاصة الامبراطوريتين

(١١٧) المصدر نفسه، ص ٢٤٠.

لم تجر دراسات كافية حول اللغة التاليشية، ولعل أهمها هي ما أجراها ميللر بالروسية:

B.V. Miller., Talishskiy Yazik (M. 1953).

الرومانية والسلوقية^(١١٨). وعندما يتكلم الجغرافي اليوناني عن (ماد أتورياتي) أي آذربيجان يورد اسم كرت Curtii والأمارد Amardi والتبور Tapuri والكادوس Cadusii. ويقول البروفيسور أحمد كسروي تبريزي إن الكرت يعني الكرد والبر والبختاريين اليوم. أما التبور فهم سكان المناطق الجبلية لشمال آذربيجان حسب اعتقاد سترابو ويعيشون كذلك في الجبال الشمالية لكركان (جرجان) وخراسان وقد حدد سترابو آذربيجان من أستارا إلى كركان. وعلى كل حال فإن (تابوران) كانت تشمل قبل سترابو منطقة مازندران وكانت تعرف بـ(تبورستان) أو طبرستان في وقت متأخر^(١١٩).

أما الأمارد أو (مارد = مرد) الذين ذكروا أثناء حملة الاسكندر المقدوني على إيران، فكانوا من سكان مازندران الحالية، وقد انتقل قسم منهم إلى منطقة مازندران في كردستان/تركيا وسميت المدينة باسمهم.

ومع ما جاء فإن بلوتارخوس يشير إلى الكادوس في أيام أردشير الثاني الإخميني حيث قام بحملة على بلادهم وقاوموه بجسارة، وكانت هذه البلاد تقع في الجبال التي على شمال شرقي آذربيجان التي تسمى الآن (تالشان). ولم يكن هناك في التاريخ أية هجرة لهؤلاء إلى منطقة أخرى ولا غير هؤلاء قد احتلوا بلادهم، فمع مطلع العصر الإسلامي نرى الاسم بصيغة (الطيلسان) في المصادر العربية. لذلك يرى أحمد كسروي أن الطالش الحاليين ما هم إلا أحفاد الكادوسيين

(١١٨) حول علاقة التاليش بالكادوسيين انظر كلاً من:

محمد جواد مشكور، إيران در عهد باستان، ص ٢٤٨.

أحمد كسروي تبريزي، كاروند كسروي، به كوشش يحيى ذكاء (تهران، ٢٥٣٦)، ص ٢٨٣ وما بعدها.

ي. م. دياكونوف، تاريخ الميديين (موسكو، ١٩٥٦)، ص ٣٨١ بالروسية. أما عن الكيرتيين فأنظر الفصل الرابع، «دور الكيرت في التاريخ الكردي»، من كتابنا: دراسات كردية في بلاد سوبارتو (بغداد، ١٩٨٤).

(١١٩) أحمد كسروي، المصدر نفسه.

القدماء وقد اشتق الاسم المعاصر من الاسم القديم (كادوش) أو (كادش) الذي صار في العربية (قادس) ومنه صاغوا اسم (القادسية)^(١٢٠).

أما من ناحية اللغة الطالشية فهي من بقايا اللهجات الميدية القديمة التي لها صلة قوية بالتاتية والكردية. وقد التقينا في بغداد عام ١٩٨٦م بإحدى التالشيات وهي الأنسة ايران قوربان من قرية (خه رجه كيل) ببلاد الطالاش ودرسنا بعض جوانب لغتها ومقارنتها بالكردية. وقالت ان لغتها تتفرع إلى لهجات محلية عديدة منها كلاسروجي وكاركه روجي ولاجيش وناجي وغيرها. ومع ذلك فكلها تعتبر أقرب اللغات إلى الكردية، وتكوّن مع لغات التات والكيلان والمازندرانيين والسمنانيين البقية الباقية من لغة القبائل الميدية التي كانت تختلف عن لغة الافيسا التي دوّنت بها الكاثاث. وعندما ذهبنا إلى إيران زرنا بعض العوائل الطالشية وتحدثنا مع السيدة مريم اسكندر زاده حول لغتها فجمعنا عن طريقها معلومات قيمة عن الطالشية سوف ننشرها في دراسات أخرى^(١٢١).

(١٢٠) المصدر نفسه.

(١٢١) تكاد تتشابه الضمائر المتصلة والمتفصلة في اللغتين الكردية والتاليشية كما ان هناك تشابه في الأعداد وتشاهد فيهما كثير من المفردات ذات الأصول المشتركة وإذا كانت اللغتان من بقايا اللهجات الميدية فإن الفرضية أثرت على التاليشية أكثر من الكردية، والتاتية أقرب إليها من الكردية، وإذا كان هؤلاء على سبيل الفرضية من سكان كردستان إلا أن لغاتهم لهجات كردية.

اللان (الآلان Alan)

لعب اللان دوراً سياسياً وأثنوغرافياً وعرقياً بارزاً في جهات متعددة من العالم. ففي آسيا كان هؤلاء منتشرين في السهوب التي تقع شمال بحر قزوين ويرتحلون مع قطعانهم في ما بين المناطق الجنوبية لبلاد روسيا في الغرب وأواسط قارة آسيا، ولحد الصين أحياناً، شرقاً، ووصفهم أميانوس مركلينوس ٣٣٠م - ٤٠٠م كقوم لا يعرفون الزراعة والعبودية وعاشوا في عربات تجرها خيول امتازوا بها ولم يستقروا في المدن بجانب المعابد.

أما في الشرق فقد تعرف المسلمون بهؤلاء منذ الفتح الاسلامي لبلاد القبق (قفقاسيا). فتحدث المسعودي عن أصلهم قائلاً ان الناس تنازعوا: «في أنساب أهل الصين وبدئهم، فذكر كثير منهم ان ولد عابور بن سويل بن يافث بن نوح، لما قسم فالغ بن عامر ابن ارفخشذ بن سام بن نوح الأرض بين ولد نوح ساروا يسرة في الشرق، فسار قوم منهم من ولد أروعو على سمت الشمال، وانتشروا في الأرض فصاروا عدة ممالك، منهم الديلم والجيل والطيلسان والتر وفرغان، فأهل القبق من أنواع اللكر ثم اللان والخزر والأنجاد والسرير وكشك، وسائر تلك الأمم المنتشرة في ذلك الصقع، إلى بلاد طوابريده إلى بحر مانطش ونيطش وبحر الخزر إلى البرغر...»^(١).

(١) انظر الجزء ٣١ من كتاب: أميانوس مركلينوس، وانظر كذلك إلى المسعودي، مروج الذهب، ص ١٤٩.

وهكذا فقد جمع المسعودي هذه الشعوب في أصل واحد استمراراً مع المفاهيم الدينية السائدة في الشرق وهي تتشابه مع نهج كتابة التاريخ في الكتاب المقدس، والأسلوب الخاص للعهد القديم.

ظهرت التسمية القومية للان (الآلان) لأول مرة في الكتابات الرومانية خلال القرن الأول الميلادي^(٢). وعلى رأي دي كينيا de Guignes الذي اعتمد على مدونات السلالة الحاكمة في الصين، فإن الآلان كانوا في القرن الثاني الميلادي معروفين عند الصينيين^(٣). وهناك بعض المصادر تشير إلى أن هؤلاء يعيشون في السهول الواقعة شمال قفقاسيا خلال القرون ١ - ٣ الميلادية^(٤).

إن أصل تسمية الآلان من الأمور التي لم تتحدد بعد، لكن هناك نظريات ترجع في أصلها إلى قول المؤرخ الروماني أميانوس مر كلينوس مفاده إن الآلان أسم يتصل باسم جبل في مقاطعة الطاي^(٥). ويربط

(٢) ظهر مثلاً عند كل من لوقيان وسينيكا ويوسف الفلاوي، انظر كتاب: الحرب اليهودية، ليوسف الفلاوي على سبيل المثال:

Yusif Flavi, O Voyne Iueedskoy. V.V. Latyshev. u Latinskikh o Skiffii u Kavkaze, t.1. vyp.2, (SPB., 1896), Str. 484.

(٣) I. De Guignes, Histoire des Huns, Turcs, Mogols et autres Tartares Occidentaux, T.II (Paris, 1758), p. 279.

(٤) وكذلك في منطقتي بانتساي وما وراء جبال الأورال. انظر باللغة الروسية:

W. Barthold, Cyedeniya Ob Aralskom I Nizoviyakh Amu-Dari S Drev.

ومن جهة أخرى توزعوا في خوارزم للتفصيلات أنظر باللغة الروسية:

N. Ya. Bichurin, Sobraniye Svedenii o Narodarii. Obimavshikh v Sredney Azii v Drevniye Vremena. G.S.P. Tolstov Drevnii Khorezm. (M. 1948), Str. 20.

وحول تفاصيل تواجد اللان في قفقاسيا أنظر:

W. Kuznecow, Alanskie Plemena Severnogo Kavkaza. (M, 1962).

(٥) J. Charpatier, Die Ethnographische Stellung Der Tocharer. ZDMG, BD. 71, 1917, S 361

ويقول غفوروف إن أسلاف اللان من السكيث قد خلفوا آثاراً في المساكن التي اكتشفت في الطاي التي يرجع زمنها إلى القرنين ٦ - ٤ قبل الميلاد وهي مصنوعة من الجلود والصوف. حول هذا الموضوع انظر:

B.G. Gafurov., «K 2500 Letiyu Iranskogo Gosudarstov» Istoriya Iranskogo Gosudarsiva I Kultura. M. 1971, Str. 17.

فرننادسكى هذا الاسم بالكلمة الهندية الأوروبية (الن Elen) أو (أولين Olen)^(٦)، كما يربط أباييف أصل التسمية بـ(أريانا Aryana) القديمة، ويقول في دراسة أخرى له ان هذه التسمية تحولت من الناحية الصوتية في اللغة الأوستية إلى (آلون Allon)، كما ان هناك آراء متباينة عديدة أخرى حول هذا الاسم وأصله^(٧). لكنهم عرفوا في المصادر الروسية بالآس وفي الجيورجية بالأوفس أو الأوس.

وعلى العموم فإن الآلان كانوا متوزعين في شرقي أوروبا ثم ارتحلوا نحو أواسط آسيا ونزحوا إلى السهول التي تحيط ببحر قزوين وجنوب جبال الأورال، وهي المنطقة التي تواجدت فيها الاتحادات القبلية للسؤرمات (السرمت) الذين اشتهروا في أوائل العصر الميلادي بالآلان والآس واشتهروا في القرن الثاني ق.م باسم الروخسلانيين.

ظهر قسم من الآلان في قفقاسيا وحاول أفراد من هؤلاء عبورها باتجاه الجنوب فانعطفوا نحو الدربند (الباب)، واشتهر محور حركاتهم بـ(دريال = باب اللان) أو الثغور. بهذا التقى هؤلاء مباشرة بمناطق نفوذ

(٦) G. Vernandsky, «Sur L'Origine des Alains». «Byzantion» Vol. XVII, N.1, (Boston, 1944), P. 82.

يظهر انه يقصد هؤلاء السكيث الكليد الذين عرفوا بـ (إيلينو Eleno) وعاشوا في مدينة أوليفيا جنوبي بوك. وفي شمالهم عاش سكيث الألازون والبهاري. حول هذا الموضوع راجع: دائرة المعارف التاريخية السوفياتية، مادة السكيث (السكيث).

(٧) V.I. Abaev, Osetinskii Yazik I Folklor. (M, 1949), Str. 240. Istoriko - Etimologicheskii Slovar Osetinskogo Yazika. T.I, M-1 1958, Str.47.

ويقول المؤرخ الدانيماركي آرثر كرستسن أن في خوارزم نجد منذ القرن الثاني قبل الميلاد شعوب أورس الذين أصبح اسمهم عند الصينيين ين تسي. وفي إبان القرن التالي أتم الأورس زحفهم إلى الغرب سالكين الطريق الذي سلكه السكيث والسرمت من قبل. وقد اختفى اسم الأورس بعد منتصف القرن الأول ق.م. ومنذ ذلك الوقت سُمي الشعب هناك اللان وهي الصيغة الإيرانية الشمالية للكلمة آري. أنظر: أ. كرستسن، إيران في عهد الساسانيين (كوبنهاغن، ١٩٣٦)، ص ٣٨. وانظر إلى الترجمة العربية لهذا الكتاب، طبعة (القاهرة، ١٩٥٧)، ص ١٨.

امبراطوريتي الرومان وايران، ثم كوّنوا علاقات دينية واقتصادية وسياسية مع سكان قفقاسيا وما وراءها من الكرج والأرمن والكرد والروم، أدت إلى تأثرهم التام بهذه المجتمعات ديناً ولغةً واندماج فيها قسم منهم. أما الذين ظلوا محافظين على سماتهم القومية، فقد عرفوا عند الجيورجيين بـ(أوسيتي Ows-Etti) الصيغة التي تطورت من(الآس As) والمشتقة في الأصل من (أورسي Aorsi). وعلى هذا الأساس فقد عرفوا عند الروس والجيورجيين وغيرهم بـ(الأوسيتيين Osset أو Osetini) الصيغة المستحدثة من (أوسيثي Owsethi) التي تعني السيث أو السكيث (الاشكوزاي الآشوري وأشكناز العهد القديم)^(٨)، وذكرهم سترابو كـ(أياسي Aiiasioi) وأصبح الاسم عند

(٨) هناك تحليل أتيولوجي لتسمية(آس) من قبل ف. مينورسكي يصل فيه إلى ان هذا الاسم مشتق من كلمة (آرس) التي كانت التسمية الأثنيكية للسرقات ووردت بصيغة (أورس Aors). حول هذا الموضوع أنظر: مينورسكي، فصول من تاريخ الباب وشروان، ص ١٠٧، ١٤٧ من النسخة الروسية. راجع كذلك: دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الثاني، ص ٥٥٦، ٥٥٧. الترجمة العربية، طبعة طهران. وحول تواجد اللان في قفقاسيا يقول ادوارد كيبون: «ان اللان هاجروا إلى قفقاسيا بعد ان قضى الهون عليهم قضاء تاماً...». انظر:

The Decline and Full of The Roman Empire. Vol.I, by Edward Gibbon. Encyclopaedia Britannica (INC., 1952), CH. VII, P.99.

في الواقع يعيش أحفاد اللان (الأوسيتيين) الآن في أواسط جبال القفقاس وما تحيطها من مرتفعات، وكان نفوسهم في الستينات من هذا القرن حوالي ٤٠٠,٠٠٠ نسمة، وهم يشكلون سكان وحدتين ذات الادارة الذاتية إحداهما هي الجمهورية الأوسيتية الشمالية التي تدخل ضمن روسيا الاتحادية، والثانية هي الجمهورية الأوسيتية الجنوبية التابعة لجيورجيا. هؤلاء هم البقية الباقية من مجموعة الشعوب ذات اللغات الايرانية الشمالية الكثيرة الذين اشتهروا باسم السكيث والسرقات والسাকা والمساكيت والآلان. ومع ذلك فقد تأثروا بجيرانهم من الشعوب القفقاسية، وقد اشتمل هذا التأثير الناحية الانثروبولوجية واللغة والعلاقات المادية والروحية، فاللغة على العموم تنوزع إلى لهجتين رئيسيتين وهما: الإيرونية وهي الشرقية، والديكورية الغربية، والأكثرية تتداول اللهجة الإيرونية وهي اللهجة الأدبية عندهم والفرق بينهما ليس بكبير ونرى ذلك على الأغلب في الحروف الصوتية من الكلمات مثال ذلك يتحول IW إلى EW بمعنى الواحد من الإيرونية إلى الديكورية وكذلك Gush إلى Qosh بمعنى الأذن. ظهرت الإيرونية كلهجة أدبية في كتابات الشاعر كوستا خيتاكورف في القرن التاسع عشر (١٨٥٩م - ١٩٠٦م) ولكن بجانب =

يوليبيوس Apasiakai وعند اسطيفان البيزنطي Assatoi وهو (أس) العصر المغولي.

وفي القرن الأول الميلادي تجول الآلان في مناطق يوفيلزي وجنوب الأورال وعلى الدون وشمال القزوين وشمال البحر الأسود وتوجهت القبائل الرحالة لهؤلاء خلال القرون الأولى للعصر المسيحي إلى أوروبا، وذلك نتيجة للهجرات العظمى لأقوام آسيا البربرية الذين اشتهر منهم الهون بالدرجة الأولى. وقد، استغلتهم الامبراطورية الرومانية عسكرياً وسياسياً، كما لعبوا دوراً عرقياً ولغوياً ثانوياً في تأريخ الشعوب الأوروبية أثناء ظهور البوادر القومية لديها. لذا غدت ظواهر الحياة المادية من خيم وملابس وغيرها عند القوط الجرمان والسرمان متشابهة جداً. هذا بالإضافة إلى وجود ظاهرة التزاوج بين أفراد المجموعتين. فنرى ان (ماكسيمن) الذي أصبح سيناتوراً رومانياً، كان من ناحية أبيه قوطياً Gothic ومن ناحية أمه آلاانياً، وقد اشتهر هذا أيام الامبراطور سفيروس. ويقول ادوارد كيون ان:

«الاختلاط بين هذين العنصرين أدى إلى تحسين جيل المستقبل للآلان، حيث ابيض لون بشرتهم الداكنة»^(٩).

ثم انهم بعد ان حاربوا الهون في القرن الرابع الميلادي ونازعوا الآفار في القرن السادس الميلادي، فقد لعبوا دوراً سياسياً مع قبائل الفندال في كل من بلاد الغال (فرنسا) وايبيريا (اسبانيا)، ثم في شمال افريقيا حيث عاشوا بين إلبى Elbe وجبال أطلس، واحتلوا فيما بعد المناطق الواقعة

= ذلك فهناك لهجات محلية تتصل بالابلاونية ك(الجاف والكوار) كما ان هناك عند الديكورية أيضاً. الديكورية التي لها أهمية تاريخية للغة الأوستية تعتبر من الناحية المورفولوجية والمفردات حلقة الوصل بين اللغة السكيثية القديمة والإيرانية المعاصرة. حول تفاصيل هذا الموضوع راجع باللغة الروسية:

V.I. Abaev., o Dialektakh Osetinskogo Yazika. Indo-Iranica. (Wiesbaden, 1964), Str. 1-7.

أما أشهر المدن الأوستية في المقاطعتين الشمالية والجنوبية هي أردون وألاكير وسادون وجافا.

(٩) راجع أدوارد كيون، المصدر نفسه، ص ٦٩، ٤١٧.

بين طنجة وطرابلس، كما اشتركوا في تأسيس الأنظمة السياسية مع الفندال (فيما بين ٤١٨ م - ٥٣٤ م) خارج نطاق هيمنة الرومان، وقد انهارت هذه الأنظمة أمام خطة الامبراطور البيزنطي (جوستنيانوس) الهادفة إلى توحيد شطري الامبراطورية الرومانية المجرأة آنذاك في الشرق والغرب، ونجح فيها بفضل أعمال قائده الشهير (بليساريوس) إضافة إلى الظروف السلبية الدامية التي أحاطت بدولة الفندال واللان في هذه المنطقة، وما لاقاه رجال ونساء وأطفال هؤلاء من أهوال خلال رحلاتهم الطويلة من سهول سكيثيا شمالي البحر الأسود الباردة إلى بوادي افريقيا الشمالية^(١٠)، وتمكن جوستنيانوس في النهاية من الحصول على لقب ملك الفندال والآلان^(١١).

(١٠) يتحدث كيون ياسهاب عن تلك الرحلات الطويلة وبالأخص في الصفحة ٦٨ وما بعدها من الجزء الأول لكتابه: انحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية، كما ان هناك بعض هذه الأخبار عند كل من الدكتور عبدالقادر أحمد اليوسف، الامبراطورية البيزنطية (بيروت، صيدا، ١٩٦٦)، وكذلك الدكتور محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (بيروت، ١٩٨٢)، انظر للمؤلف نفسه كتابه: معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية (بيروت، ١٩٨١).

(١١) دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الأول (ليدن، ١٩٦٠)، ص ٣٥٤، الطبعة الحديثة. كان الوندال (الفندال) من القبائل الشرقية للجرمان (وخاصة السيلينكك والأسدينكك منهم). في البداية كان هؤلاء يتجولون في شبه الجزيرة الاسكندنافية. وبعد القرن الثاني والأول قبل الميلاد توجهوا نحو الجنوب إلى سواحل بحر البلطيق. وخلال القرنين الأول - الثالث الميلاديين انتشروا في المناطق العليا والوسطى لنهر (أوديرا) ووصلوا فيما بعد لحد نهر الدانوب. وهنا التقوا بالقبائل الجرمانية الأخرى. وفي القرن الثاني الميلادي اشتركوا في حروب ماركوماني ضد روما. وبالانحداد مع السرمات دخلوا عام ٢٧٠ م إلى أراضي الامبراطورية الرومانية المسماة بانونيا، ثم عقدوا اتفاقاً مع روما. وفي القرن الرابع الميلادي اتحد الوندال مع الآلان ولكن القبائل الكوثية الجرمانية أغاروا على هذا الاتحاد في القرن الخامس، وبذلك هاجروا نحو الغرب، ومن خلال بلاد الغال (فرنسا) توجهوا عام ٤٠٩ م نحو اسبانيا. وفي عام ٤٢٥ م كانوا تحت ضغط قوى مختلفة وقد شكلوا هناك بعض أنظمة دويلات ذات النظام الطبقي العبودي. وفي زمن كيسيريك (٤٢٨ م - ٤٧٧ م) اعتنقوا النصرانية. وفي عام ٤٢٩ م عبروا جبل طارق واستغلوا ضعف الامبراطورية الرومانية في المناطق الافريقية واستولوا على قرطاجة في ٤٣٩ م. حول تفاصيل هذا الموضوع انظر: دائرة المعارف التاريخية السوفياتية، مادة الفندال.

إن تواجد اللان في هذه المناطق البعيدة عن وطنهم الحقيقي كان شيئاً لا بد منه. فبعد أن دفعهم الهون فيما بين الأعوام ٣٧١م - ٣٨٠م إلى الغرب وجنوب غرب وطنهم الأصلي، هاجروا مع الفندال وكذلك السيولي نحو أواسط أوروبا وشمالها (سواحل بحر البلطيق)، ثم اتجهوا نحو اسبانيا بعد أن مرّوا بـ(كاول) عام ٤٠٦م وسكن قسم منهم قرب مدينة (أورلينس Orleans) في حين استمر الباقيون في الهجرة نحو الجنوب.

وعلى العموم فإن الأوضاع السيئة التي رافقت حياة المجموعات الرعوية للآلان في آسيا وأوروبا وأفريقيا أدت إلى تشتتهم في تلك الأنحاء، وقد حافظوا، ولمدة طويلة، على نظامهم الاقتصادي والاجتماعي البربري، كما أن لغتهم ومفرداتها شاركت في إغناء اللغات السلافية والجرمانية وحتى المجرية والفنلندية (الفين أوغور).

دفعت قبائل الهون (هيونك . نو) الآسيوية بالاضافة إلى الآلان أمامها مجموعات قبلية أخرى كالقوط Goth الجرمان والسلاف Slave والبلغار والآفار (الآوار) وغيرهم، وقد فاقوا في الإرهاب وبث الرعب جميع العناصر التي تعاملت مع الامبراطورية الرومانية وأثارت الخوف والاضطراب في المناطق التي مرت بها^(١٢). وأثناء تحركاتهم توقفوا في وسط أوروبا زهاء نصف قرن من الزمان واضعين تحت نيرهم القوط الشرقيين والكيبيد Gepide وقبائل الماركوماني Marcomanni وسلاف الجنوب، وكان يحكمهم أتिला Attila ابن موندزوك Mundzuk. ولا شك أن أسباب هجرات الهون تتعلق بحاجات اقتصادية وإن أرجعوا مرد ذلك التحرك الهائل لقبائلهم إلى قصة اسطورية صاغوها بقالب ديني في ذلك العصر^(١٣).

(١٢) كان غرس السيف المقوس في الأرض من العادات الدينية عند الهون، وكانوا يحلقون الشعر، ويزينون خيولهم بجلود أعدائهم المسلحة كأغلى زينة. وقد احتقروا المحاربين الجبناء الذين كان لديهم عاهة من العاهات بسبب المرض أو الشيخوخة.

(١٣) كان الرمز الديني للهون خنجر مغروس في الأرض. وتقول الاسطورة أن أحد الرعاة عثر على خنجر كثير الصدأ في حقل كانت ترعى فيه ماشيته فحملة إلى أتिला الذي =

وبالمقابل فقد أدت الحاجات السياسية والعسكرية للدولة الرومانية والایرانية، وخاصة بعد ظهور السلطة الفرثية فيها على أنقاض الأنظمة الهلينية في الشرق، إضافة إلى الضغط الذي وقع على هذه القبائل البربرية التي كانت تسكن في شمال بحر قزوين من قبل الوحدات الرعوية التركية والمغولية، إلى تحركاتهم نحو قارة أوروبا وإلى الممرات القفقاسية في آسيا الغربية في وقت واحد. ولم يغير اجتياح الهون لجبال الأورال ونهر الفولغا الواقع القومي والحضاري في شرق أوروبا وقفقاسيا وسواحل بحر قزوين فحسب، وإنما شمل هذا التغيير كل المناطق التي تقع على أنهر الفولغا والدون والدانوب وحتى المقاطعات الرومانية في قارة أوروبا بأجمعها. لقد تمزق شمل قبائل السرمات (وهم الآلان الذين سكنوا قبل ميلاد المسيح في السهول الواقعة بين توبولا ونهر الدانوب لعدة قرون حيث اشتهرت بلاد بولونيا في القرون الوسطى باسمهم سرماتيا) وكانت مجموعات من هؤلاء تنزل في وديان نهري الفولغا والدون، ثم انقسموا إلى مجموعة اللازكيين الذين سكنوا غرب نهر دنيبر، أما الذين اشتهروا بالروخلاسنين (روخس آلان = البيض) فقد استقروا بين نهري الدنيبر والدون^(١٤)،

= اعتقد انه خنجر إله الحرب، وإن العثور على هذا الخنجر بهذه الصورة يشير بأن أتيليا سوف يغزو العالم. وتضيف الاسطورة انه منذ ذلك الوقت رغب أتيليا (٤٣٣ م - ٤٥٣ م) أن يحكم الهون بمفرده فأمر بقتل شقيقه بلدا Bleda. وقد بدأ أتيليا في أعين شعبه إلهاً مقدساً وسمى نفسه (سوط الإله) مضيقاً إلى ذلك أن الحشائش لا تنمو في الأرض التي تغطيها فرسه. وجدير بالذكر هنا أن الهون ينتمون إلى العنصر الفنلندي التري، وكانت حياتهم الرحالة المتقلة التي يقضونها في مركبات ضخمة أو على ظهور الجياد، وكانت عيونهم الضيقة وأنوفهم العريضة المفلطحة، وأذانهم الكبيرة وبشرتهم البنية وعليها الوشم، تشكل خصائص في الطباع وهي غريبة المظهر لأهل أوروبا.

حول هذا الموضوع انظر:

محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، (بيروت، ١٩٨٢)، ص ٨٤.

(١٤) Colin MC Evedy., The PenGuin Atlas of Ancient History, (1974), p 68.

وخاصة حوالى مدينة نوفكورد حوالى عام ٨٦٢م ثم اندمجوا في القبائل السلافية التي كانت تسكن في مناطق آزوف على البحر الأسود.

شكّل الآلان في المناطق المذكورة دولة اشتهرت بدولة الآس Oss وكانوا مستقلين عن حكم الخزر في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، بينما دخل الآلان الغربيون داخل حدود الامبراطورية البيزنطية ودافعوا عنها ووقفوا بجانب المسيحية واستعملوا النقود البيزنطية في تعاملهم الاقتصادي ودخلوا كلياً تحت التأثير البيزنطي. وتعرف البيزنطيون على الطرق التي تؤدي إلى قفقاسيا وما وراءها بشكل جيد بمعاونتهم واستعانوا بهم لهذا الغرض عدة مرات. لذا فالطريق التجاري الذي ربط بين بيزنطة وشمال قفقاسيا ثم أواسط آسيا مرّ من خلال المناطق المطلة على الروافد العليا لنهر كوباني^(١٥). وقد طغت تسمية الآلان وبلاد آلانيا ليس على سكان ومناطق كوباني وجيجنى وداغستان فحسب، بل والأراضي التي تحيط بهذه المقاطعات. وقد أشار بروكوب القيصري في حينه إلى ان الآلان:

«قبائل غير تابعين وهم مستقلون في بلادهم»^(١٦).

وإذا كان القسم الغربي من بلاد الآلان قد دخل كلياً تحت التأثير البيزنطي فإن القسم الشرقي كان دائماً مرتبطاً بـجورجيا والهيمنة الساسانية. وفي أوسيتى، أي حوالى منطقة الدرايل، وُجد ان الناس قد استعملوا النقود الشرقية وذلك من خلال آثار المسكوكات التي استخرجت هناك. وهكذا فقد سميت المناطق المركزية لقفقاسيا في المصادر التاريخية ببلاد الآلان (اللان) واكتشفت فيها آثار متنوعة

(١٥) A.N. Dyachkov - Tarasov., Neizvestniy Drevniy Torchoviy put Iz KHorezma v Vizantiya Cherez kavkaz «Novi Vostok», KN. 28,M. 1930, Str. 148-156.

(١٦) Prokopii Iz Kesarii., Voyna S Gotami, Str. 381;
Prokopii Kesariiskii., Istoriya Voyni Rimlyan S Persami. Perv. C. Destunisa. (spb, 1891), Str. 221.

تتصل بقبائلهم منها صناعات فخارية جيدة شوهدت ضمن بقايا مساكن ومستوطنات كمونتا وكومبولتا وروتخا العليا وكوبان وبالتاوحمي وغيرها. هذا بجانب الأدوات والحلي المصنوعة من الذهب والفضة، كما شوهدت معها صحون ونقود بيزنطية^(١٧). وإذا كان الآلان قد تركزوا في مناطق معينة واحدة في الشرق (قفقاسيا) فإن الغربيين منهم انصهروا في المجتمعات الأوروبية. وقد أدى هذا التعاون والاختلاط إلى تحسين الملامح والبشرة الداكنة والشعر الأسود عند الآلان، إلا أنهم لم يكونوا في الأصل بقبح ووحشية طباع الهون، ومع ذلك لم يستسلموا للهون حباً بالحرية التي تعلموها في مواطنهم الأولى وظلوا يحافظون على البناء الاجتماعي القبلي لديهم. لذلك كان هذا النظام يخلو من العبيد وهم يرتحلون بعرباتهم وخيولهم في سهول أوروبا، لكن في إحدى هذه الرحلات، وعلى ضفاف نهر تانيس (الدون حالياً) اشتبكت قوة من الهون مع هؤلاء في حرب ضروس، وقد دافع الآلان بشجاعة وجراءة لا تقلان عن شجاعة الهون، لكنهم غلبوا في نهاية هذا النزاع الدموي المريع، وسقط ملك الآلان في ساحة المعركة مذبحاً وقطع رأسه، وتشتت شعبه المغلوب في مناطق شتى، بعد أن كانت السهول الواقعة بين نهري الفولغا وتانيس موطنهم تملؤها خيم القبائل الآلانية المتنوعة وبقايا مساكنهم تشهد على تلك الأعمال الفنية التي أبقوها في هذه المناطق وبالأخص ما يتعلق بقبائل أكاترسى وكيلوني الآلانية^(١٨). وإذا كانت هذه أعمالاً آلانية صرفة، فإن بعض العشائر من أصل غير آلاني انضمت إلى اتحاد قبائل ماساكيث الآلانية فيما بعد، كعشائر ديربيك وأوكاس أو أوكال وأتناس وأباسياك وخوارسم^(١٩). وفي

(١٧) N.P. Kandakov, *Ocherki i Zametki Poistoriya Srednevekovogo Iskusstva i Kulturi*. (Praga, 1929), Str. 338, sl., Ris. 99-101.

(١٨) ادوار كيون، المصدر نفسه، ص ٤١٧.

(١٩) W.W. Tarn., *The Greeks in Bactria and India*. (Cambridge, 1939), p. 8-81.

R.E.Paulus, T. XXVIII, 1930, p. 2127.

كذلك أنظر:

الشرق الأقصى فإن المصادر الصينية تشير إلى حقيقة وصول الآس (والصيغة الصينية لهذا الاسم هي آسانام) إلى أواسط آسيا وكان هؤلاء ينحدرون من المساكيت أيضاً. وقد شاعت نظرية انحدر الآلان من قبائل المساكيت - السرمات في بداية القرن العشرين بصورة خاصة^(٢٠). وإذا كانت هذه النظرية تؤيد ارتباط هؤلاء بالعالم الإيراني لغة، فإن العلامة نيكولاي مار كان قد رفض في هذا الوقت بالذات وجود علاقة بين اللغة السرماتية واللغات الإيرانية الشمالية، وكان يرى أن قفقاسيا هي مهبط السرمات. وقد ناقش هذا الرأي إ.أ. جافاخيشفيلي المؤرخ الجيورجي، فقال إن اسم سورومات أو سارمات (سيورمات) هو من صيغ التعميم عند القبائل الأديكية - الججانية وكذلك اللزكينية^(٢١). ولكن مع ذلك فإن أفراد قبائل السكيث والسرمت والآلان كانوا يتسمون بأسماء إيرانية سواء كانوا قد استوطنوا في قفقاسيا أو في شمال البحر الأسود، وانهم أثروا قومياً على السكان المحليين في هذه البلدان ومنهم الأبخار في قفقاسيا، والتركمان في أواسط آسيا^(٢٢). وقد تجول الآلان والآس معاً في أواسط آسيا لحد القرن العاشر الميلادي، لذا تأثرت لغتهم باللغات الخوارزمية والبيجينية، وذكر البيروني أخباراً

V.F. Miller, *Osetinskiye Etyudiy*. Str. 110; R.E. Paulus., T.I, (1884), P. (٢٠) 1282; E. Taubler., *Zur Geschichte Der Alanen*. «Klio». T. IX, (Leipzig, 1909), P. 14 ff.; M.I. Rostovtsev., *Ellinstvo I Iranstvo Na Yuge Possii*. (Petrburg, 1918), Str. 128ff, and G. Vernadsky., *O Gnezise Saltovskoy Kulturiy*. Ksiimk, Viyp. XXXVI, (1951), Str. 14 sl.

وهناك بعض الآراء التي تؤكد كون السرمات والآلان من سكان القفقاس ومنها: Yu. Kulakovskii., *Alaniy Po Cvedeniyam Klaccicheskikh I Vizantiyskikh Picateley*, Str. 13.

I.A. Gavakhishvili., *Osnovnie Istoriko -Etno- Logicheskie Problemi Istorii* (٢١) *Gruzii Kavkaza I Blijnego Vostoka Drevneyshoy Epokhi*. VDI, 1939, No.4, Str. 42.

A.Bakhtiyarov., *Oskolki «I Scheznuvshikh» Alanov*. «Turkmenovedenie», (٢٢) No. 8-9, Str. 39-4.

A.U. Yakubovskiy., *Voprosi Etnogneza Turkmen*, V, VIII VV. SE. 1947, No.3, Str. 54.

عنهم في حينه^(٢٣). وفي مطلع القرنين التاسع والعاشر الميلاديين أصبح اسم (آس) مرادفاً لاسم الآلان، واستعمل لحد القرن الخامس عشر الميلادي، بغض النظر عن بعض التمييز بينهما ورغم اتفاق ملك الآلان في وقت من الأوقات مع ملك الخزر لمحاربة ملك الآس والترك كما دون يهود الخزر تفاصيل هذه الأحداث في مدوناتهم في القرن العاشر الميلادي^(٢٤). ودخل الساكنون منهم في داغستان ضمن السلطة الخاقانية الخزرية وحاربوا السلطة الإسلامية.

ومن جهة أخرى ميّزت مصادر ألفت في القرنين ١٣ - ١٤ الميلاديين وأثناء الهجمات التتارية - المغولية شعب الآس عن الآلان. فيذكر صاحب (تأريخ كزیده - القرن الثالث عشر) بأن الخان توشي حكم الخزر والبلغار والسكسين والآلان والآس والروس وشعوباً أخرى. ويقول ان جنكيز خان أخضع سكسين والآس والروس والآلان والقرغيز. وخطا الجويني في تأريخه (جهان كوشا) الخطوة نفسها في القرن الثالث عشر عند حديثه عن بلاد كيجاك والآلان والآس والروس وغيرهم، كما حدد أيضاً أماكن البلغار والآس والروس وقبائل الكيجاك والآلان في مكان آخر. وذكر حمد الله المستوفي القزويني في القرن الرابع عشر الأسماء نفسها بالاضافة إلى ميكيس والباشكير عند حديثه عن توشي خان ابن جنكيز خان. ونرى هذا التمييز عينه عند بدرالدين العيني النويري وأبي الفداء وقد قسم ابن رسته في القرن العاشر الآلان (اللان) في قفقاسيا إلى أربع قبائل يتزعمهم حكام ينحدرون من سلالة قبيلة (دحساس) وقد عدل مينورسكي هذه التسمية إلى (روخساس) التي تعني (الآس)

(٢٣) انظر باللغة الروسية:

S. Volin., K Istorii Drevnogo Khorezma. vdi, (1941), No.1, Str.194.

وحول عبدالريحان البيروني (١٩٧٣م - ١٠٤٨م) وآرائه انظر:

The Chronology of Ancient Nations. Transl. and Ed., with notes and Index, by Dr. C.E. Sachau, (London, 1879).

(٢٤) انظر بالروسية:

P.K. Kokvtsov, Evreysko - Khozarskaya Perediska V. X Veke, (L.,1932). Str. 116-117.

البيض^(٢٥). وهذا يعني ان(الأس) هم نبلاء الآلان ويمثلون الطبقة الارستقراطية القيادية لاتحادات قبائلهم^(٢٦).

بناء على ما جاء، واستناداً على وقائع الأحداث في قفقاسيا، فإن الآلان الغربيين غدوا ينقسمون إلى كل من قبائل الأس والديوكور. أما الشرقيون منهم فكانوا يشتهرون بالآلان والايرون. وكذلك فإن صيغة (أزان) التي تحولت إلى (ايرون) في اللغة الآلانية (الأوستية) التي يتداولها الأوسيتين Ossete المعاصرون الساكنون في جيورجيا بقفقاسيا اليوم ليست متطورة من (آري) كما يذكر ذلك كل من أباييف وفلجيفسكي، وإنما تأتي صيغة (أزان) من اسم (آلان) بناء على القاعدة السائدة في اللغة الهندية الايرانية بتحول اللام إلى راء وبالعكس كما نراها في لهجتي السليمانية وأربيل من اللغة الكردية. وقد ذكرت المصادر العربية مثل هذه الظاهرة اللغوية وتشير إلى ان الآلان:

«اسم اعجمي، وأضافت إليه أداة التعريف، شأنها في كثير من أسماء الأعلام، كما فعلوا في أزان فقد رسموه الران، ونجد هذا الاسم أيضاً مرسوماً العلان»^(٢٧).

(٢٥) انظر: الجويني، جهان كوشا. تحقيق مع مقدمة وملاحظات ميرزا محمد بن عبدالوهاب قزويني (لندن: ليدن ١٩١٢، و١٩١٦، و١٩٣٧). كذلك انظر حمد الله المستوفي القزويني، نزهة القلوب، تحقيق كاي لسترايخ (ليدن، ١٩١٢)، وانظر أيضاً إلى أبو الفداء، تقويم البلدان، المقالة الثالثة، النويري، نهاية الارب في فنون الأدب (القاهرة، ١٩٢٣)، السفر الأول، وابن رسته، الاعلاق النفيسة. ويمكن ملاحظة تعديل مينورسكي في كتاب: حدود العالم، ص ٤٤٥. فمثلاً يقول ابن رسته ما يلي:

«واللان أربع قبائل فالشرف والملك منهم في قبيلة يقال لها دحساس (والأصح دحساس = روخس آس أي الأس البيض والخطأ من الناسخ.. ج. ر) وملك اللان يقال له بغاير اسم لكل ملك عليهم...». ابن رسته، الاعلاق النفيسة (ليدن، ١٨٩١)، ص ١٤٨.

R.E Paulus., R.T.II, P. 1514.

(٢٦)

(٢٧) دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الثاني، ص ٥٥٦-٥٥٧ طبعة طهران الترجمة العربية.

وهكذا فإن الآس لم يكونوا من الآلان فحسب، بل وقد شكلوا المجموعة القيادية لها في المناطق الأوسيتية. وقد أشار وليم البركي في رحلته إلى شرق أوروبا في القرن الثالث عشر إليهم باسم - شعب الآلان أو الآس - وفي طريقه من القرم إلى مناطق فولغا التقى وليم بالآلان الذين يسمون هناك بـ(آس)^(٢٨).

وفي القرن الثالث عشر نفسه التقى رحالة أوروبي آخر وهو (بلاتو كاريني) بشعب الآلان أو الآس^(٢٩)، وقد عرف هؤلاء في المصادر الروسية في هذه المرحلة بـ(ياسي) وكانت قبائلهم تعيش لا في شمال قفقاسيا فحسب بل وعلى الدون والقرم وعلى أراضي مولدا فيا المعاصرة^(٣٠). ومنذ بداية العصر الاسلامي اشتهر الآلان في قفقاسيا بمجموعتيهم، الغربية (الآس والديوكور) والشرقيون منهم المعروفون بالآلان والأيون، وكانوا جميعهم موحدين ضمن اتحاد سياسي عُرف عند غيرهم بـ(آلانيا Alania) وظهرت المجموعتان لسكان آلانيا في العصور القديمة والوسطى من خلال اتحادين قبلين حدثا بين

(٢٨) انظر رحلة روبرك بالروسية:

Gilom de Rubruk., Puteshestvie V Vostochnye Strany. M. 1957, Str. 106, 111.

وقد عاد اللان في هذا الوقت في مناطق واسعة وجاوروا التتر من الشرق كما سكنوا على نهر الدون (واسم هذا النهر مشتق من كلمة آلانية بمعنى الماء). للمزيد من هذه المعلومات انظر:

Mullenhoff, Über Die Herkunft und Sprache Der Pontischen Scythen und Sarmaten. Monatsbericht Der K-Pr-Ak. d.w., 1866, P.549ff.

(٢٩) أنظر باللغة الروسية:

Plano Karpini., Istoriya Mongolov. M. 1957.

(٣٠) ذكرتهم المؤلفات الفارسية للقرن الثالث عشر وكذلك صاحب كتاب، حدود العالم، كما سجل أخبارهم كل من ابن الفقيه والاصطخري حيث عينوا أماكنهم بين أراضي السريز (شمال داغستان) ونهر أتيل (القولغا). انظر كل من: ابن الفقيه (أبي بكر أحمد بن محمد الهمداني)، مختصر كتاب البلدان (ليدن: طبعة بريل، ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م)، ص ٢٨٦ وما بعدها.

الاصطخري، المسالك والممالك (القاهرة، ١٩٦١)، ص ١٣١ وما بعدها وقد تحدث عنهم أيضاً بروكوب القيصري في كتابه: الحروب مع الغوط، ترجمة ب. كوندراثيفا (موسكو، ١٩٥٠)، ص ٣٨٣، وما بعدها.

العشائر اللانية الغربية والشرقية ويعزى هذا التقسيم إلى الاختلافات اللهجوية في لغتهم لكنهم مع ذلك يشكلون شعباً واحداً. وقد قال في حينه العالم السويدي ك. شكيولد إن الآلان كانوا قد هاجروا إلى المنطقة التي اشتهرت عند الصينيين بـ(بانتساي) وليس إلى قفقاسيا^(٣١). ولكن لا نشك في أنهم سكنوا في شمال قفقاسيا في النصف الثاني من الألف الأول الميلادي، ومن جهة أخرى فإن رأي شكيولد يتطابق مع رأي أ. ناميتوك A.Namitok في اتحاد الآس مع الأوسيتيين والأبازيين (الأبازة)، ثم أصبح الآلان الطبقة القيادية للآفار الداغستانيين^(٣٢). وهذا يوضح حقيقة وجود الآس في الشمال الغربي من قفقاسيا والآلان في أواسطها قبل ألف عام حيث يعرفون جميعاً اليوم بالأوسيتيين.

ظهرت العلاقات بين المجموعتين وتوطدت أواصر الوحدة بينهما بتدرج زمني تاريخي وفي الفترة الواقعة بين القرنين الخامس - التاسع الميلاديين حدث التحام حضاري وسياسي للاتحاد الآلاني وكانت هذه المرحلة هي بداية نشوء القاعدة الاقتصادية والسياسية للقبائل التي تتوحد مصالحها تحت تسمية الآلان. ومنذ هذا الوقت ظهرت بين مختلف القبائل الآلانية ملاحم بطولية تبين علاقاتهم مع مختلف الشعوب المجاورة لهم في التاريخ. لذا ليس في المصادر التي ترجع إلى هذا الزمن ذكر للآس (ما عدا الجغرافية الأرمنية). وفي الواقع فإن هذه المرحلة من تاريخهم تعتبر عصر ازدهار الحضارة والقوة السياسية والعسكرية للآلان في قفقاسيا تشير إليها كثير من المصادر، كما اشتهر بينهم أسماء زعماء اتحاداتهم القبلية في هذا الظرف، منهم سروزى (القرن السادس الميلادي) وإتاز (القرن الثامن الميلادي) وغيرهما، وقد ظهرت أسماء زعماء اللان في المصادر الإسلامية كملوك فيما بعد. ويقول المسعودي:

H. Skold., Die Ossetischen Lehnwörter Im Ungarischen. «Lunds (٣١) Universitets Arsskrift» T.20, No.4, (Lund, 1925), p 73-74.

A. Namitok., Origines des Circassiens (Paris, 1939), p. 118. (٣٢)

«إن اللان كانت قد اعتنقت النصرانية على يد رسل من بلاد الروم، فلما كانت سنة عشرين وثلاثمائة (٩٣٢ ميلادية - ج.و)، رجعوا عما كانوا عليه من النصرانية وطردوا الأساقفة والقسوس»^(٣٣).

أما ابن رسته فيقول إن ملوكهم وحدهم كانوا من النصارى. وفي القرن الثالث عشر الميلادي نجد جميع المصادر تذكر أن اللان من نصارى الروم. وقد اتسعت بلادهم كثيراً وامتدت نحو الشرق في ذلك العهد أكثر من أي وقت مضى. وفي زمن غزوة المغول الأولى، كان الآلان يحكمون البلاد الواقعة شمال دربند (الباب) وكذلك مصب نهر الفولغا (إتيل) ويظهر أنهم استولوا على هذه المنطقة على اثر اختفاء دولة الخزر ثم أخضعهم المغول وتغلبوا عليهم، فرحل جانب منهم إلى بقاع مختلفة من دولة المغول. ويذكر مبشرو الصين الكاثوليك أن في الصين نافلة من النصارى اللان. أما المصادر الإيرانية التي كتبت في ذلك العهد فتقول أن الآس نصارى في خدمة أمراء المغول^(٣٤). ولعل ما جاء في كتاب حدود العالم الذي ألف في ٩٨٢/٥٣٧٢ م حول بلاد اللان ومدنها توضيح دقيق لأوضاعهم العامة قبل القرن العاشر حيث يقول صاحب الكتاب ما يلي:

«في شرق وجنوب هذه البلاد تقع السرى، وفي غربها الروم، وفي شمالها بحر الكرز وبجناك الخزر - وجميع هذه البلاد مكسورة وجبلية وقد ساعدتها الطبيعة - أن ملكهم نصراني. ولهم ألف من القرى الكبيرة، وفيهم مسيحيون ووثنيون. بعضهم جبليون والبعض الآخر يعيشون في السهول»^(٣٥).

ومهما يكن من أمر فإن الآلان سواء ارتحل قسم كبير منهم نحو أوروبا أو إلى أواسط آسيا إلا أنهم حاولوا مراراً النزوح إلى شرق آسيا وشمال غرب إيران وإلى كردستان باختراق الممرات القفقاسية

(٣٣) راجع المسعودي، مروج الذهب، الجزء الثاني، ص ٤٢، طبعة باريس.

(٣٤) دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثاني، ص ٥٥٧، طبعة طهران، الترجمة العربية.

(٣٥) كتاب، حدود العالم، ص ١٦٠، ١٦١.

لكنهم كانوا يلتقون بقوة الامبراطوريتين الرومانية والايروانية (الفرونية ثم الساسانية) ثم قوة الامارات الكردية المحلية في اذربيجان وقفقاسيا في العصر الاسلامي التي وقفت حائلاً دون تفوقهم السياسي والعسكري في شمال بلاد ما بين النهرين، وكان التوسع الكردي بشرياً وسياسياً قبل هجرة القبائل التركية من اواسط آسيا إلى غربها أحد الأسباب التي لعبت دوراً سلبياً في النزوح الآلاني نحو جنوب قفقاسيا. ومع ذلك يمكن الاعتقاد بأن الآلان اشتركوا سلمياً في التأثير على الجانب الأثني لشعوب اذربيجان وكردستان، حيث لاتزال تعيش في منطقة موكران الكردية قبائل باسم الآلان. وعلى ما يظهر فإن قسماً من قبائل مساكيت الآلانية انحدرت من خلال الدربند (الباب) في القرن الأول الميلادي إلى كردستان/ايران بعد ان ظهوروا في منطقة كامبيسيبي حسب قول مؤرخي الأرمن وغيرهم.

أسلاف اللان في التاريخ السكيث والكميريون والسرقات

على مسافة آلاف من الكيلومترات، بدءاً من وديان
نهر الدانوب في قارة أوروبا واستمراراً بجنوب
سبيريا وإلى شمال الصين في قارة آسيا، تمتد سهول معشوشبة
ومراع خضراء غنية لفتت نظر مجموعات بشرية مختلفة وأغرقت
الأقوام الرعوية الرحالة عبر التاريخ بأراضيها الشاسعة التي كانت
بعيدة عن مراكز الحضارة في العالم القديم. لكن سهولة اجتياز
هذه المراعي من قبل القبائل البدوية خلال آلاف السنين، وظهور
طرق تجارية فيها، أدّى إلى انبعاث نشاط اقتصادي وسياسي
وصناعي متطور فيها، انعكس فيما بعد في التغييرات القومية التي
حصلت لمناطقها المختلفة وأثرت بالتالي في الأوضاع العامة في العالم
القديم آنذاك. وبعد اكتشاف الحديد والبرونز وغيرهما من المعادن،
بالإضافة إلى عوامل أخرى، نشطت الزراعة هنا، وأوقف هذا
النشاط تحركات قبائل بدوية عديدة وأدى بهم إلى الاستقرار
الدائم، وتحولت وسائل الانتاج لديهم من الرعي إلى الزراعة.
وبظهور المدن الحديثة فيها انقرضت معالم العلاقات المادية القديمة
لسكانها الأصليين، ثم تحولت مظاهر الحياة البدائية لمجتمعاتها إلى
مظاهر جديدة من الحياة سادت فيها مظاهر الطبقة وما يترتب عليها
من عادات وتقاليد جديدة.

تداولت أغلبية هذه القبائل البدوية، ومنها ما استقر فيما بعد،
مجموعة من لغات ولهجات قرية الواحدة من الأخرى تنتمي

جميعها إلى أصل واحد يعرف الآن بالهندية - الآرية وكانت تجاورهم إلى الشرق مجموعات بدوية أخرى وهم أجداد الترك والمغول الحاليين، وكان الصراع مستمراً بين جميع هذه القبائل للسيطرة على مصادر الرعي الجيدة في تلك السهول الواسعة، مما أدى إلى تداخل الحضارة ومظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية بين أفراد أغلب تلك القبائل^(١). ولعل أقدم من عرف من سكان السهول التي تقع إلى شمال البحر الأسود كان الكيميريين، حيث ذكروا لأول مرة في التاريخ من قبل هوميروس^(٢) كسكان يعيشون في شبه جزيرة القرم وفي أوكرانيا الحالية^(٣). واعتبرهم هيرودوت

(١) A.M. Khazanov., Zoloto Skifov. M. 1975, Str.14.

B.G. Gafurov., Op. Cit. p. 13,14. كذلك انظر بالروسية:

(٢) Odyssey, XI, 13-19.

(٣) القرم Crimea اسم اطلق على شبه جزيرة البحر الأسود نسبة إلى المملكة الكيميرية التي قامت هناك وعرفت بدورها نسبة إلى البسفور الكيميري Cimmerius Bosphorus لتمييزه عن البسفور التراقي في الجنوب (يعرف الآن بغاليبولي Gallipoli) ويقع بين بحر مرمرة ومدخل البحر الأسود.

أسس الإغريق عدداً من المستعمرات في تلك المنطقة من جنوب روسيا، ولم يكن هناك مناص من ان ينشأ في تلك المنطقة مجتمع خليط من السكان الأصليين والإغريق المستعمرين أو علي الأقل المتأثرين باللغة والثقافة اليونانية. وقد ازدهرت مملكة البسفور وأثرت ثراء واسعاً منذ القرن الخامس قبل الميلاد بفضل صيد الأسماك في المضيق الكيميري (قرطش الحالي) والتجارة على نهر تانائس (الدون)، وتصدير القمح إلى العالم الإغريقي. وقد أجريت حفائر بالمنطقة وأثارت مقابر أمراء مملكة البسفور المحفورة في الصخر، والحافلة بالحلى الفاخرة والأدوات الذهبية والأسلحة دهشة الأثريين. وفي أواخر القرن الثاني ق.م اتخذ ميثرادات ملك بنطس المثقف بالثقافة اليونانية من مدينة بتيكابايوم في شمال البحر الأسود عاصمة لمملكاته، ولم يبق الكيميريون على حالهم في جنوب روسيا، بل طردهم فيما بعد (منذ أواخر القرن السابع) السكيثيون. لكن لم يلبث هؤلاء بدورهم ان تعرضوا لإغارات قبائل رحل أخرى تمت إليهم بصلة وتعرف باسم السرماتيين الذين أخذوا منذ منتصف القرن الثالث ق.م يتسللون من شرق نهر الدون وعبر الكريات إلى هذه المنطقة، وكان زحفهم نحو الغرب بطيئاً استغرق ثلاثة قرون واحتلوا المناطق بين مصب استر (نهر الدانوب) وسهله الأوسط ثم تعرضوا منذ القرن الرابع الميلادي لغزوات الجرمان والغوط، وامتزج فريق منهم بالجرمان ونزح فريق آخر أو أجلى عن مواقعه فرحل إلى القوقاز.

من السكيث^(٤)، كما تطرق إلى أخبارهم بعض من مؤرخي اليونان القدماء واعتبروهم سكاناً قداماً للبسفور الكيميري Cimmerius Bosphorus - مضيق كيرج^(٥). وفي وقت متأخر ساقهم السكيث من خلال ممرات القفقاس إلى شرق آسيا الصغرى وشمال غرب إيران (کردستان) حيث توزعوا في وديانها وجبالها.

أما سترابو، الجغرافي اليوناني فيجعلهم في جغرافيته قسماً من التراقيين المشهورين باسم (ترير Treere). ويضيف انهم عبروا شبه جزيرة البلقان والهلسيونتوس (الدردنيل) نحو آسيا الصغرى^(٦). ويؤكد أغلب العلماء على انهم عاشوا في شمال قفقاسيا وحوالي بحر آزوف وهم من نسل حضارة (كاتاكومب Catacomb) وهي منفصلة عن حضارة (سروبا Srubna) التي تبدأ من الجهات التي تقع خلف نهر الفولغا^(٧). لذا يربط علماء الآثار المخلفات التي اكتشفت في شمال آزوف وفي مناطق نهر دنيبر السفلى من العصر الحجري الحديث - الدور البرونزي - بالكميريين، وما وجد من آثار القرون ١١ - ٧ ق.م في هذه المناطق سمي بالعاديات الكيميرية. وبسبب تواجدهم في أواسط قفقاسيا ارتبطت تسميتهم بآثار حضارة (كوبان Koban - القرون ١١ - ٨ ق.م) أيضاً. ترتبط كذلك هذه التسمية بآثار العصرين البرونزي والحديدي التي اكتشفت في أوكرانيا وغرب نهر الدنيبر (١٢٠٠ - ٧٠٠ ق.م) ويربط بعضهم الآثار التراقية - الكيميرية من القرنين ٨ - ٧ ق.م التي وجدت في جنوب غرب أوكرانيا وفي وسط أوروبا والتي ظلت معالمها ظاهرة في هنغاريا لحد عام ٥٠٠ ق.م بالكميريين واعتبروها من العاديات الكيميرية الغربية نسبة إلى الشرقية منها^(٨).

(٤) هيرودوت، التاريخ، الكتاب الرابع، الفصول ١١ - ١٣.

(٥) وهو المضيق الواقع بين بحر الأسود وبحر آزوف.

(٦) Strabo, Geography. XIV, 1, 40.

(٧) دائرة المعارف البريطانية، الجزء الخامس، ص ٧٧٣، مادة Cimmerians.

(٨) المصدر نفسه.

الكيميريون: لا يعرف بالتحديد الأصل العرقي للكيميريين، ولكن من الناحية اللغوية فإنهم كانوا يتكلمون بإحدى اللغات الآرية، تشير إلى ذلك أسماء ملوكهم مثل تيئوشبه Teuspa وتوكدامه Tugdamme (دونه هيرودوت بصيغة ليكداميس) وابنه سانداخساترا Sandakhsatra. لكنهم تأثروا أثناء توسعهم نحو الغرب بالتراقيين حضارة ولغة رغم ادعاء هيرودوت وغيره بأنهم وصلوا إلى شمال البحر الأسود من البلاد الشمالية التي تسمى (البونتيك Pontic). ويقول دياكونوف:

«إنه لا توجد أية دلائل تؤكد على كون الكيميريين قد شكلوا الأغلبية الأساسية لسكان البحر الأسود أو أنهم عاشوا في المناطق المحيطة بمضيق كيرج (كيرجين). واعتمد هيرودوت في حينه على التسمية التويونوميكية (المكانية) لهذه المنطقة التي اشتهرت بسفور الكيميريين، وشكل مضيق كيرجين قسماً منها بجانب منطقة كيميري - التي لم يحددها هيرودوت بالضبط - مع حصون الكيميريين أيضاً»^(٩).

ولكن الواقع الجغرافي - البشري للكيميريين كان قد حدد تسمية الأماكن في شمال البحر الأسود. لذا فإن اسم مدينة (كيميريك أو كيميريدو) في ثمان وقرم، وثم جبل (كيميري) اللذين ذكرهما سترابو^(١٠) دليل على انتشار الكيميريين في هذه المناطق. وإن تسمية (بسفور الكيميريين) لم تطلق لتمييزه عن بسفور التراقي (في تركيا الحالية) كما يدعي دياكونوف^(١١)، وإنما كانت لتواجد الكيميريين

= أما حول تاريخ وحضارة السكيث والسمرات انظر المصادر التالية:

Rudenko (Sergey Ivanovich)., *Kultura Naseleniya Centralnogo Altaya v Skifskoe Vremya*. M. 1860.
Rice (Tamara Talbot)., *The Scythians* (London, 1957); Rostsvtsev M.I., *Ellinstvo I Iranstvo Na Yuge Rossii*. (Pg. 1925), and Terenokhin A.I., *Skifskaya Kultura*. M. 1971.

(٩) ي. م. دياكونوف، تاريخ الميديين، ص ٢٣٠ الطبعة الروسية.

(١٠) سترابو، الجغرافية، الكتاب الثامن، الفقرات ٣، ٤ والكتاب التاسع الفقرات ٢، ٥. الترجمة الانكليزية.

(١١) ي. م. دياكونوف، المصدر نفسه.

في المناطق التي تحيط به بكثرة، وكذلك ليس لأن الاسم عند السكان المحليين كان (بانتي كابا Pantikapa) الذي يعني (طريق السمك) الذي بنيت عليه مدينة بالاسم نفسه بانتي كابي (كيرج الحالية). وإذا كانت كلمة - بانتي Panti - تعني في اللغات الآرية مفهوم - الطريق - وكلمة كابا Kapa تعني - السمك - فلا شك أن الاسم الثاني هو إما كيميري أو سكيثي. وهذه الحقيقة لا تتعارض مع المحور الذي سلكه الكيميريون أثناء هجرتهم إلى آسيا الصغرى إذ أنهم قبل هذه الهجرة كانوا سكان القسم الغربي من شمال قفقاسيا ومن ضمنها منطقة (تامان) وكانوا كذلك يشكلون أكثرية السكان في (تاورام) داخل شبه جزيرة القرم. وفي الواقع أن جميع هذه المناطق تقع شمال البحر الأسود بلا شك، وما تسمية قرم (كرم) كشبه جزيرة إلا الصيغة الجغرافية النهائية للتسمية القومية للكيميريين الذين سادوا في تلك الأنحاء.

يقول سترابو:

«أن الكيميريين في زمن هوميروس أو قبل ذلك الزمن بقليل كانوا يصلون إلى مناطق أثوليد وإيونيه في آسيا الصغرى»^(١٢).

وكانوا يهاجمون سكان المناطق الجنوبية للبحر الأسود ولحد إيونيه في غرب آسيا الصغرى، وحتى أنهم احتلوا مناطق (سارديس) بعدما دخلوا (بفلاكونيا) في الأناضول جنوبي البحر الأسود و(فريشيا) في أواسط الأناضول عقب غزوهم مع (الترين) غربي آسيا في وقت متأخر. وبعد أن انتصروا على الليديين ونهبوا عاصمتهم (سارد) عام ٦٥٤ ق.م طلب ابن الملك المقتول (كيكي) المدعو (أرديس) العون من الآشوريين، وكان هؤلاء في صراع شديد مع الكيميريين في هذه الآونة.

لقد اشتهر الكيميريون في الشرق - الكتابات البابلية - ب(أومان مازدا) الذين تحالفوا مع أورارتو، الدولة التي سيطرت على مقاطعات

(١٢) سترابو، المصدر نفسه.

كردستان وأرمينيا في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، واعتبر الآشوريون ذلك الحلف ضدهم في الوقت الذي كانوا هم في حلف مع السكيث بقيادة ملكهم (بارتاتوا) وابنه ماديا (ميدياس) الذي استطاع ان يقتل ملك الكيميريين (ليكدام) في معارك قيليقيا التي اشتهرت بانتصار آشور على الكيميريين.

السكيث: وعلى العموم فإن السهول التي تقع إلى الشمال من البحر الأسود، وبغض النظر عن سكنها، فإن اليونانيين أطلقوا عليها تسمية سكيثيا (سكيثاي) وكانت تمتد من كراباثيا - في يوغوسلافيا الحالية - إلى نهر الدون (الاسم الآلاني الذي يعني الماء عندهم) وكانت القبائل السكيثية سائدة هنا^(١٣)، وأن هذه السيادة أدت ومنذ القرن السابع قبل الميلاد إلى ان يضم مفهوم سكيثيا أو سكوديا بلاد سرماتيا أيضاً، حتى انه شمل سهل دوبروجة الحالية في شمال بلغاريا الذي اشتهر بـ(سكيثيا السفلى) في وقت متأخر، واستمرت هذه الشهرة حتى في الأزمنة البيزنطية.

ومن جهة أخرى، فقد سميت المناطق الشمالية لقارة آسيا بـ(سكيثيا الشرقية)^(١٤)، ولكن سكيثيا عند الكتاب الكلاسيكيين من اليونان والرومان كانت تعني عامة كل المناطق الشمالية والشمالية الشرقية للبحر الأسود، وكانوا يعتقدون بأن السكيث (Skuth) والأقوام البربرية الأخرى إنما يأتون من تلك المناطق. ويعتبر هيرودوت أن لسكيثيا (سكوثيا = سكوديا) مفهومين متضارين في المعنى. فالمفهوم الأول له علاقة بحملات داريوس (دارا) الإخميني على آسيا الصغرى وعبره المضيق الدردنيل ووصوله إلى بلاد سكيثيا، وذلك لتعقب السكيث ومحاربتهم في عقر دارهم. وحدد هيرودوت هذه البلاد في هذا الوقت بطول ٤٠٠٠ ستاد أي ما يساوي ٧٠٠ كم ٢ تتخللها أنهار عظيمة وهي إيستر (الدانوب) وتيراس (دنيستر) وكيانيس

(١٣) هيرودوت، التاريخ، الكتاب الرابع، الفصل الأول.

(١٤) دائرة المعارف البريطانية، مادة Skythia بالانكليزية.

(بوك) وبوريسفين (دنيير) وبالتيكاب وكيياكيريس وكيروس وتانايس (الدون). والسفر على حد قول هيرودوت في هذه البلاد يستغرق عشرين يوماً.

أما المفهوم الثاني فيتصل بمنطقة أولبيا Olbia والسكيث الذين عاشوا هناك فقط. لكن أضيفت على هذا المفهوم معلومات أخرى من قبل الرحالة اليونان كأريستياس بروكونيسوس Aristeeas of Proconnesus وغيره، وظهر أنه بدءاً من أولبيا في غرب سكيثيا، باتجاه الشمال، كانت تسكن قبائل كالبيداي Callipidae على نهر هيپانيس الأسفل (بوك) وكذلك سكنت قبائل آلازوني Alazones على نهر تيراس (دنيستر) وقبائل هيپانيس كانوا بين هؤلاء وبين قبائل أروتير Aroteres المزارعين في ناحية الشمال. وكانت التجارة في هذه النواحي نشطة عن طريق مائي، في حين كانت قبائل (كيوركى) تعيش شرقها لكنهم لم يمتنعوا الزراعة وإن كان موطنهم الواقع بين نهري اينكول وبوريستين Borysthenes (دنيير) مناطق زراعية. ويظهر أن القبيلة السكيثية التي انحدرت منها طبقة الملوك، وكذلك قبائل البدو السكيثية، كانوا يتخذون من المناطق التي تقع بين نهري بوريستين وتانايس (الدون) موطناً لهم. وكانت خلف هؤلاء تعيش قبائل غير سكيثية كقبائل أكاثيرسى في ترانسلفانيا (على نهر ماريس = ماروس) وقبائل نيورى في بودوليا وكييف، وكذلك قبائل أندروفاكي وميلانجلاني في مناطق بولتافا وريازان وتامبوف. ولكن في وديان نهر الدون الأسفل وعلى نهر الفولغا عاشت قبائل السمرات، وهم جماعة من السكيث. أما في أواسط الفولغا فكان البوديني يعيشون بالأخص في مدينة كيلونوس Gelonus التي اشتهرت بالأخشاب، وكان السكان هنا يشبهون اليونان. وكان الطريق التجاري الهام يمر من هذه المدينة ثم يخترق جبال الأورال ويصل إلى بلاد القرغيز، وكانت القبائل السكيثية البدوية الرحالة تسلكه في رحلاتها وتصل بواسطته إلى أواسط آسيا وحتى إلى شمال الصين، وقد سكن قسم من هذه القبائل في المناطق

القريبة من هذا الطريق الذي كان يؤدي بسالكيه أيضاً إلى أركيباي وأسيدونيس في حوض تاروم (الطرم).



محاربان سكيثان

وفي جنوب سكيثيا والقرم كان يسكن التاوري وهم من غير السكيت، ولكن السورومات الذين تغير اسمهم فيما بعد إلى السرقات فقد سكنوا هنا في وقت متأخر^(١٥). ويقول هيرودوت في هذا الصدد انه:

«يروى عن الساوروماتيين لما اشتبك الأغارقة في حرب مع شعب الأمازون أبحر الأغارقة بعد انتصارهم في المعركة؛ وأخذوا معهم ثلاثاً من سفنهم مليئة كلها بالنساء الأموزونيات اللواتي وقعن في الأسر. وما ان ابتعدت السفن عن اليابسة وصارت في وسط البحر حتى ثارت الأموزونيات على البحارة وقتلنهم جميعاً لآخر رجل ولما كن لا يعرفن شيئاً عن الملاحة ولا عن السفن؛ ولا يعرفن كيف يستخدمن الدفة ولا المجذاف ولا الشراع، ذهبن بعد موت الرجال إلى حيث ساقتهن الريح والأمواج وأخيراً وصلن إلى شواطئ بالوس مايوتس، إلى الموضع المسمى كرىمنى (أي الصخور) الواقع في أرض السكيثيين الأحرار فنزلن إلى البر وسرن صوب

(١٥) المصدر نفسه.

المناطق المسكونة. وعندما التقين بأول سرب من الخيول استولين عليه وامتطين ظهوره؛ وشرعن في نهب تلك المنطقة السكيثية.

ويستمر هيرودوت في قصته ويروي كيفية اختلاط الأموزونيات بالسكيث وتزواجهن برجالهم؛ ثم هجرة هؤلاء إلى ما وراء نهر تانايس (الدون) ويقول انهم بعد ان عبروه اتجهوا شمالاً إلى مسيرة ثلاثة أيام من بالوس مايوتيس، حيث وصلوا إلى المكان الذي كانوا يعيشون فيه في زمانه، أي القرن الخامس قبل الميلاد، ثم يشير إلى ان: «نساء الساوروماتيين لا يزلن محافظات على عاداتهن، يمارسن الصيد ومن على ظهور الخيل بصحبة أزواجهن وأحياناً وحدهن، وفي الحرب، ينزلن إلى معمعان القتال مرتديات الزي نفسه الذي يرتديه الرجال».

أما عن لغة الساورومات فيقول هيرودوت انهم كانوا:

«يتكلمون لغة سكيثيا، ولكنهم لا يتكلمونها صحيحة قط؛ إذ تعلمتها الأموزونيات سقيمة في أول الأمر».

وفي حديثه عن القبائل الأخرى يورد هيرودوت بعض مظاهر حياتها فمثلاً:

«كانت تقاليد الثاوريين تقضي بأن يضحوا للعدراء بجميع الأشخاص الناجين من السفن المحطمة. والأكاثورسيون قوم بالغو الترف مولعون أشد الولع بالتحلي بالذهب، وزوجاتهم مشاعات فيما بينهم جميعاً حتى يكونوا كلهم أخوة كأعضاء في أسرة واحدة. وعادات النوريين شبيهة بعادات السكيث. أما الأندروفاكيون فأشد وحشية من أي شعب آخر، فهم لا يعرفون العدالة ولا يخضعون لأية قوانين. إنهم قوم رحل، يلبسون الزي السكيثي ويتكلمون لغة غريبة عليهم هم أنفسهم وعلى خلاف أي شعب آخر في هذه المناطق، يأكلون لحوم البشر... ويلبس الميلانجلانيون (الميلانخلانيون) جميعاً عباءات سوداء، ومن هنا جاء اسمهم، وعاداتهم سكيثية. والبودينيون أمة ضخمة قوية؛ عيونهم جميعاً زرقاء وشعورهم حمراء زاهية اللون. ويتكلم أولئك القوم لغة

نصفها اغريقي ونصفها الآخر سكيثي، ولا يتكلم البودينيون اللغة نفسها التي يتكلمها الكيلونيون؛ كما انهم يختلفون عنهم في طريقة معيشتهم. انهم السكان الأصليون لهذه المنطقة، وهم شعب رحل. وعلى خلاف كل جيرانهم يأكلون القمل. أما الكيلونيون فعلى عكس ذلك يفلحون الأرض ويأكلون الخبز، ولديهم حدائق ويختلفون عن البودينيين في كل من الهيئة ولون البشرة.

وفي الواقع أن أقدم الأخبار عن هذه القبائل البدوية التي وردت في الكتابات اليونانية كانت في ألياذة هوميروس لكنه لم يذكرهم بالاسم، إلا أنه وصفهم كرعاة يحلبون الأفراس ويشربون حليبها ولا بد أنه قصد بهؤلاء القبائل السكيثية^(١٦).

وهكذا فالاغريق القدامى وبعض العلماء المعاصرين استعملوا تسمية (السكيت) بمفهومين: الأول جغرافي بشري قصدوا به السكان القدماء للمناطق الشمالية للبحر الأسود التي سميت بـ(سكيثيا). والثاني اثنوگرافي يعني كل القبائل الرحالة التي تجول بين نهر الدانوب وبين المناطق الشمالية للصين^(١٧). وفي الواقع إن الأعمال الفنية التي اكتشفت في هذه المناطق هي ذات نمط واحد وذات أصل سكيثي. كما وجدت بعض هذه الأعمال حوالى جبال الأورال تعود للسرقات واكتشفت مثيلاتها في أواسط آسيا وفي شمال آلتاي وجنوب سيبيريا وشمال منغوليا، وتعتبر المكتشفات من مخلفات قبائل الساكا (سكيثو آسيا). وفي العصر الهليني توسع مفهوم السكيت بحيث أصبح يشمل أقواماً متعددة وخاصة الرعوية منهم وفي مقدمتهم السرقات.

تطرق بعض الكتاب المعاصرين لهيرودوت إلى أخبار السكيت، وهذا ما نجده في أقوال المعلم العظيم هيبوكراتيس (٤٦٠ - ٣٧٧ ق.م)

(١٦) انظر كل من: هيرودوت، الكتاب الرابع، الفصل ٣٠، وهوميروس، الإلياذة، الكتاب الثامن، الفصول ١ - ٧.

A.M. Khazanov., Op. Cit. P. 12.

(١٧)

عندما يتكلم عن الهواء والماء والمناطق الجغرافية التي تحدد البناء الطبيعي للإنسان، ويعطي بلاد السكيث والساورومات أو السورمات (السرمات) ومناخها الجيد مثلاً لآرائه. لذا فهو يرى أن جمال الطبيعة يمكن أن نراه من خلال الحياة البدوية للسكيث والساورومات. وقد وصف هيبوكراتيس مناطق سكنى هؤلاء على أنها تقع على الساحل الأيمن لنهر تانائيس (الدون).

ومن جهة أخرى فقد ذكر كتاب التراجيديا الأثينيون الثلاثة إسخيل وسوفوكل وأوريبيد شيئاً عن بلاد سكيثيا والسكيث في تراجيدياتهم. فقد وضح إسخيل (٥٢٥ - ٤٥٦ ق.م) موقع السكيث الساكنين حوالى بحر آزوف، كما أطلق على القوقاز اسم - طريق السكيث - وذلك لهجرات بعضهم إليها فصلياً وليس لتوطنهم فيها. وقد اعتبر (الخاليب) وهم قوم عاشوا في آسيا الصغرى من السكيث.

حدد سوفوكل (٤٩٦ - ٤٠٦ ق.م) قسماً من أسطوره لتراجيديا الكولخيدات والسكيث والثنينين. أما أوريبيد (٤٨٠ - ٤٠٦ ق.م) فقد صاغ أخبارهم على شكل أسطورة في تراجيديا (إفيكينا في تراقيدا). وهناك أخبار طريفة عن السكيث في تراجيديا Res تشير إلى العداء بين التراقيين والسكيث. وفي كوميدا (الفكاهة Komuka) لأرستوفان (٤٥٠ - ٣٨٥ ق.م) إشارات إلى حملة القوس والسهم من السكيث في مدينة أثينا مع ذكر وجود معبد سكيثي هناك. أما الشاعر بيندار (٥٢٢ - ٤٤٢ ق.م) فقد أشار مرة وبواقعية إلى السكيث، لكنه دوّن بعض أخبارهم على صورة أسطورة. ثم تحدث عنهم ثوكيديوس (٤٧٠ - ٤٠٠ ق.م) وأشار إلى قوة مملكتي أودريس والسكيث وما لهما من حوادث ونزاع وحروب جرت في شمال البحر الأسود.

لقد دوّن أخبار سكيثيا، في القرن الخامس قبل الميلاد، كتاب عديدون آخرون، لكننا نود القول هنا أن هذا الاهتمام ببلاد السكيث قلّ بصورة عامة في القرن الرابع قبل الميلاد وخاصة عندما بدأت حروب فيليب والاسكندر المقدونيين، أما أفور Ephor (٤٠٥ - ٣٣٠ ق.م)

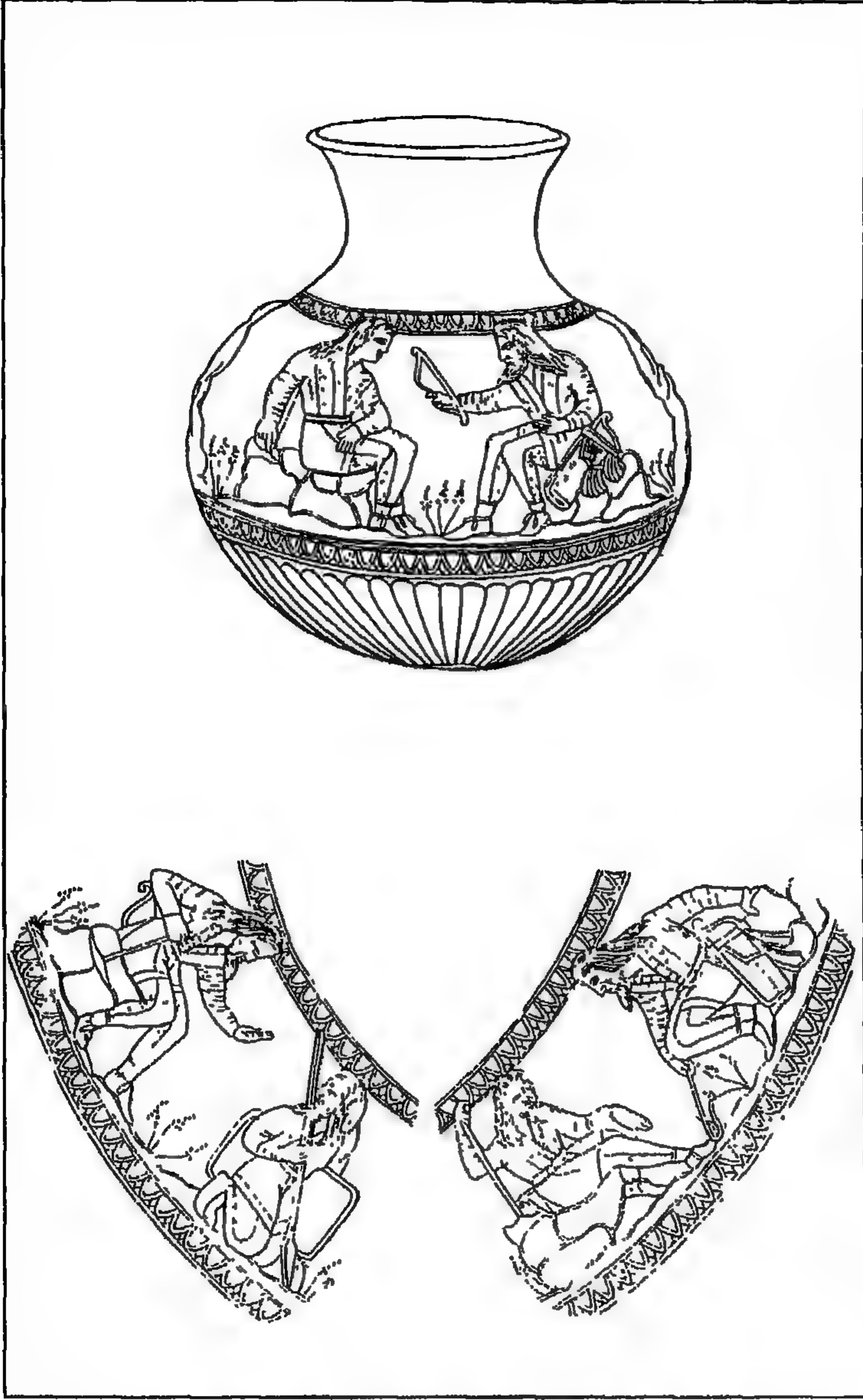
المؤرخ والاثنوغراف فقد ذكرهم في زمانه ونستطيع ان نتعرف إلى آرائه بصورة متقطعة في أقوال الجغرافي اليوناني سترابو Strabo الذي أشار إلى الأماكن الصحيحة لسكنى هؤلاء وعيّن بلادهم بدقة، واستقت المصادر أخباراً عن السكيث في زمن ميثرادات السادس ملك البنطس ويوليوس قيصر وأخذها ديودورس الصقلي، المؤرخ الروماني، من مدونات البسفور وظلت أساساً لسترابو إلى جانب تطرقه في الحديث إلى عادات وتقاليده السكيث والسرمان. وبالرغم من انه يورد اسم السكيث نادراً إلا أن أخباره مستقاة من هيرودوت وأفور وغيرهما بعد أكثر من ثلاثة قرون (وعاش فيما بين ٦٣ ق.م - ٢٣ م) (١٨).

أما ما يتصل بقضية أصل السكيث وبنائهم الاجتماعي والثقافي فلا يعتبر من الأمور الهينة بل يحتاج إلى دراسات واسعة وجدية. وبقي لنا من أقوال هيرودوت ما رواه حول هذا الموضوع مشيراً إلى الأساطير الثلاث حول أصل السكيث، وتختلف الواحدة عن الأخرى كلياً. ففي الاسطورة الأولى يقول مؤرخنا اليوناني ان السكيث كانوا قوماً يافعين عاشوا على الأرض بعدما انحدروا من صلب (تاركيث) بن الإله (زفس) وابنته (بورسفينا) وهي دنيير إلهة الأنهار (١٩). أما الاسطورة الثانية فمفادها ان الموطن القديم للسكيث كان (كيليا) مناطق الأحراج الكثيفة في المناطق السفلى لنهر دنيير وقد انحدروا من

(١٨) حول تفصيلات هذه المعلومات انظر بالروسية:

V.N. Gragov., Skifi. M. 1977, Str. 7.

(١٩) وتقول الاسطورة ان أبا البشر خلق من الإله زفس في أرض السكيث وكان يسمى (أركيتاي) وخلف فيما بعد أولاداً ثلاثة وهم ليوكساي وأريوكساي وكولوكساي ونزل عليهم من السماء الذهب والمخراش والبلطة والقدح، ولم يستطع الولدان الكيبران ان يقبضوا هذه المواد لذا احترقوا فجأة، إلا ان الصغير قبض الهدايا الجميلة من السماء، وبذلك أهدى له الحكم الملكي. فمن نسل الإبن الأكبر خرج بطن عشيرة أفخاكي. ومن المتوسط خرجت عشيرة كاتياراي وتراسبي. ومن الصغير ظهرت عشيرة بارالاتي، وهنا يقول هيرودوت ان الاسم العام لهؤلاء جميعاً سكولوتي Skoloti لكن الاغريق أسمتهم بالسكيث كما أسمتهم الفرس بالسাকা.



اناء فضي من المجموعة التي اكتشفت في منطقة كورغان
بقفقاسيا يظهر عليه بعض جوانب الحياة العامة عند السكيث.

سكيث بن هرقل وإلهة الشعبان (ايخيدنا). والاسطورة الثالثة تقترب من الواقع عندما تصفهم كبدو رحل وصلوا إلى شمال البحر الأسود من آسيا بعدما طردتهم قبائل أخرى غريبة غير معروفة.

بناءً على ما جاء لا يمكن استنتاج الحقيقة من هذه الأقوال إلا بالاستناد إلى ما اكتشف من آثار مادية ولغوية، وعلى ضوءها يمكن تعديل وتنظيم ما جاء في الأسطورة الثالثة من أقوال هيرودوت. واعتماداً على ما اكتشف لحد الآن من عادات السكيث ومن خلال آراء هيرودوت يمكن استنتاج ما يلي:

١ - ان ظهور السكيث في التاريخ هو نتيجة لاختلاط السكان المحليين القدماء لشمال البحر الأسود مع قبائل رحل من العرق الآري وصلت إلى هنا من جهات نهر الفولغا كونت الطبقة السائدة للمجتمعات المحلية. وتؤكد هذه الظاهرة الأعمال البرونزية التي اكتشفت حوالى المحاور التي سلكتها تلك القبائل بين المنطقتين. وعلى الأغلب ان تلك الهجرات البدوية للقبائل الآرية وتمازجهم بالسكان المحليين جرت في الألف الثاني قبل الميلاد، وظلت في بداية الألف الأول منه مستمرة.

٢ - لقد تحرك السكيث من شمال البحر الأسود وشمال غرب قفقاسيا ودخلت قبائلهم إلى آسيا في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد من خلال الممرات القفقاسية بعدما طردوا الكيميريين من سهول سكيثيا، وان أخبار هذه المرحلة موضحة في أكثر من مصدر ومتقاربة في حقائق أحداثها وخاصة الآشورية منها.

وعلى هذا الأساس فقد أورد هيرودوت بعض كلمات سكيثية ترجع في الأصل إلى العالم الإيراني، أما أسماء المعبودات فكان أصلها أوكرى. وفي كل الحالات إن الكيميريين كانوا من أصل إيراني. لذلك فإن خصوصيات اللغات الإيرانية تظهر في اللغة السكيثية لأنها ترجع في الأصل إلى قبائل كانت تعيش في منطقة خوارزم كما يقول

ذلك كراكوف المتخصص السوفياتي في تأريخ السكيث. ثم ان كثيراً من الكلمات وأسماء الملوك مثل آرياييف وأوكتاماساد وسائتافيرن وغيرها عند البدو منهم والمستقرين فجميعها من ذلك العالم. وقد أكد كثير من المؤلفين القدماء أن اللغة السكيثية كانت قريبة من اللغة الميدية، ودخلت فيها أثناء الهجرات بعض الكلمات الفريكية في آسيا الصغرى أو التراقية في البلقان^(٢٠).

وفي القرن الرابع قبل الميلاد عبر السمرات نهر تانايس (الدون) وبقي السكيث على نهر الدانوب حتى دفعهم فيليب الثاني المقدوني في معركة ضارية وذبح ملكهم أتياس Ateas عام ٣٣٩ ق.م، ونتيجة لذلك قلّ تواجد السكيث في هذه المناطق وظلوا حوالى نهر أولبيا يشكلون الأكثرية وخطراً على الآخرين، كما كانوا كذلك في منطقة تومي Tomi، ثم أسسوا هنا دولة، وفي النصف الثاني من القرن الثاني ق.م غدت هذه الدولة نواة لمملكة عظيمة تحت قيادة سكيلوروس Scilurus الاسم الذي يظهر في النقود المعدنية التي اكتشفت في أولبيا، وكان هذا يهدد شبه جزيرة القرم في حينه، ثم وقف أمام قوة ميثرادات السادس ملك بنطس الذي دمر قواته. وظل بعض السكيث أحياء إلى ان توجهوا نحو الغرب بعد ان دفعتهم أقوام جديدة يسوقهم الهون من الخلف. ثم استوطنت فيما بعد قبائل اليزكيت والروخسلانيين (الآلان البيض) السكيثية بعد انفصالها عن القبائل الأخرى في مناطق أوكرانيا القريبة من بحر آزوف وأخذت تسمية سكيثيا تختفي تدريجياً.

لقد قسم هيرودوت في القرن الخامس المجتمع السكيثي إلى مزارعين، منهم المستقرون كالبيداي وآلازوني وأروتيري وكيوركى الذين سكنوا في القسم الغربي من سكيثيا. أما قبيلة الملوك والرحل منهم فعاشوا في الشرق. وقد توزع الآخرون منهم في المناطق الأخرى واختلطوا بأجناس غريبة عنهم. فالسكولوتي، وهي تسمية محلية

(٢٠) كراكوف، السكيث (موسكو، ١٩٧٧)، ص ٢٢، باللغة الروسية.

للسكيث، كانوا يحملون أسماء علم إيرانية وهم من أصل سكيثي نقي، وأسطورة هيرودوت تربطهم بالمزارعين السكيث في أولبيا. وكانت العائلة الملكية ترتبط بالمجتمع البدوي. أما المجموعة الثالثة فكان أصحابها أولئك الذين نزحوا إلى آسيا بقيادة قبائل الماساكيث وعبروا نهر آراكس حسب تعبير هيرودوت ووصلوا إلى أرض الكيمايرين، وكان هؤلاء الكيمايريون متوجهين نحو جهتين، جهة الشرق وجهة الجنوب الغربي إلى جوار قبور ملوكهم على نهر تيراس (دنيستر) واختلطوا هناك مع التريز وعبروا الهلسبوننتوس (الدردنيل) إلى آسيا الصغرى حيث التقوا بمناطق نفوذ الآشوريين الذين سموهم بـ(كيمايري) كما اشتهروا في العهد القديم بـ(جومس)^(٢١) وفي القرآن الكريم بيأجوج ومأجوج.

وعلى العموم ففي المناطق المحيطة بنهري الدنيبر والدنيستر، بجانب الرعي وتربية الحيوان والزراعة التي حددت ظهور طبقات الكيمايرين الاجتماعية، ظهرت عندهم طبقة أرستقراطية عسكرية. وفي القرم وآزوف كان النظام الاجتماعي يستند على الانتماء القبلي البدوي. وعلى هذا الأساس بدأ النزوح إلى قفقاسيا تحت قيادة زعماء قبليين. وبمرور الزمن بدأ صراع بين المجتمعين الزراعي والبدوي على طول الخط في سهول سكيثيا وشمال بحري الأسود وقزوين. واستطاع سكيثيو شمال البحر الأسود تنظيم أنفسهم ضمن نظام سياسي ملكي

(٢١) وقد ورد اسم الكيمايرين في الإصحاح العاشر، من سفر التكوين في العهد القديم من الكتاب المقدس بصيغة جومر (كومر) والسكيث بصيغة أشكناز (وهذه مواليد بني نوح سام وحام ويافث. وولد لهم بنون بعد الطوفان بنو يافث جومر ومأجوج وماداي وياوان وتوئال وماشك وتيراس وبنوجومر أشكناز وريفاث ونوجرمه). وفي الإصحاح الخامس من سفر إرميا وردت أخبار عن خطورة هجراتهم إلى بلاد سوريا وفلسطين.

«ها أنذا أجلب عليكم أمة من بعد يا بيت إسرائيل يقول الرب. أمة قوية أمة منذ القديم أمة لا تعرف لسانها ولا تفهم ما تتكلم به جعلتهم كقبر مفتوح، كلهم جبابرة فيأكلون حصادك وخبزك الذي يأكله بتوك وبناتك يأكلون غنمك وبقرك، يأكلون جفتك وتينك، يهلكون بالسيف مدنك الحصينة التي أنت متكلم عليها».

وقف حائلاً دون توسع المدن اليونانية على حسابهم، وحتى ان ثقافتهم أثرت على التراقيين (سكان بلغاريا القدماء) في الغرب وظلت كلمة (سكيث) البلغارية إلى يومنا هذا تتداول عند البلغار كمفهوم عام لحياة القبائل السكيثية التي تعني اليوم في البلغارية الترحال والهروب والهجرة، كما أثرت هذه الثقافة في سكان حوض نهر الدانوب القدماء وكذلك في سكان كل من مولدايا وغرب أوكرانيا.

السرматы: وفي القرن الثاني الميلادي، عندما جاء السرматы إلى شمال البحر الأسود، كانت أغلبية القبائل البربرية التي عاشت على أنهار أولبيا وتانايس وبانتيكابايوم إيرانية ومن ضمنهم السرматы أنفسهم. ويقول بلينيوس ان السرматы انحدروا من الميديين، ويظهر ان اسلافهم من السورمات كانوا قبيلة نصف سكيثية وتكلموا نوعاً من لهجة جنوبية غير نقية للغة السكيثية حسب ادعاء صاحب مقال سكيثيا في دائرة المعارف البريطانية^(٢٢). وقد ادعى هيرودوت في حينه أيضاً بأن هؤلاء ليسوا بالسكيث الخالص، وإنما هم مختلطون من السكيث والأمازون، ويتكلمون بلهجات عديدة وتشترك نساؤهم في الحروب وهن متحركات بشكل كامل^(٢٣)، ولكن هيوكراتيس يعتبرهم من السكيث. والواقع ان الأسماء البربرية التي ظلت مدونة على اللوحات التي اكتشفت في مناطق أولبيا والتانايس هي من أصل إيراني وهي تخص أجداد الأوسيتيين المعاصرين أحفاد السرматы الذين يرتبطون بالآلان مباشرة ويعيشون الآن في قفقاسيا (جورجيا).

(٢٢) دائرة المعارف البريطانية، مادة سكيثيا.

(٢٣) هيرودت، الكتاب الرابع، الفصول ١١٠ - ١١٧.

لقد عاشت القبائل الرعوية للسورمات فيما بين القرن السابع والرابع قبل الميلاد في بوقلوييا وحوالي سهول الأورال وكانوا قريين من الساكا والسكيث لغة وحضارة وعرقاً. وقد أخبرنا كل من هيرودوت وهيوكراتيس وسكيلاك وأفدوكس وإيفور عن سيادة وحكم المرأة عند هؤلاء السورمات. وشوهدت هذه الحقيقة في آثارهم وصورهم التي وجدت في مستوطناتهم وفيها رسوم النساء حاملات الأسلحة وهن يركبن الخيول.

لقد سكن هؤلاء السرمت (وفي اليونانية سرماتاي Sarmatae أو Sauromatae) في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد في السهول الواقعة بين توبولا ونهر الدانوب على حدود قارتي آسيا وأوروبا. وإن التأريخ المبكر لهؤلاء مرتبط باسم السورمت الذين اندمجت قبائلهم المتعددة وبالأخص اليازيك والروخسلانيون منهم وكذلك السيراك وأورسا وغيرهم بالقبائل اللانية^(٢٤).

كانت العلاقات الاقتصادية للسرمت تستند بصورة رئيسية على تربية الحيوانات وحياة البداوة والرعي. وقد اشتغل بعضهم في الزراعة، وبالأخص هؤلاء الذين اتخذوا من المناطق الزراعية موطناً لهم. ولكن قبائلهم البدوية ظلت تعتمد على سلب ونهب القوافل في الطرق التجارية بين قارتي آسيا وأوروبا.

أما العلاقات الاجتماعية لهؤلاء فكانت قائمة على أساس النظام الاقطاعي العسكري البدوي وتربط أفرادها قرابة الدم تقودهم مجموعة من العائلات التي كانت تتزعم الاتحادات القبلية ويحيط بها الشباب الأقوياء من مختلف أسر النبلاء، وبمرور الزمن زالت عندهم سيادة الأمومة.

لقد بدأ أغلب السرمت يسكنون في جنوب إيروآسيا (الحدود الأوروبية الآسيوية) وذلك لوجود المراعي الجيدة فيها التي تؤمن العلف الجيد لمواشيهم، ثم كانوا يحاولون التقرب من المدن المنتشرة هناك، وكان سكان هذه المدن يعملون في التجارة على العموم. وفي وقت متأخر توزع السرمت في سهول بوفلوتها الواقعة جنوب جبال الأورال وكازخستان، ثم توجه بعضهم، وخاصة السيراك وأورس منهم إلى سهول قفقاسيا. أما اليازيك والروخسلانيون فقد نرحوا إلى مناطق الدون وثبتوا سيادتهم على السهول الواقعة شمال البحر الأسود. ثم استطاع السرمت بصورة عامة تكوين علاقات قوية مع السكان المحليين لهذه المناطق عن طريق التجارة والتعامل، واندمجوا

(٢٤) دائرة المعارف التاريخية السوفياتية، المجلد ١٢، مادة السرمت.

بهم لغوياً وحضارياً، بالإضافة إلى أنهم لعبوا دوراً سياسياً نشيطاً في هذا الجزء من العالم. وفي نهاية القرن الثاني قبل الميلاد أصبح السرمات حلفاء للسكيث في حروبهم أمام ديوفانتا، ثم شاركوا في أغلب المعارك التي جرت بين السلالات الحاكمة على البسفور الكيميري (كيرجين) وسكنوا تدريجياً في مدينة البسفور التي كانت الحضارة اليونانية - البربرية متمازجة فيها. وفي عام ١٧٩ ق.م عقد الملك السرماتي كاتال حلفاً مع دولة آسيا الصغرى وأصبحوا حلفاء ملك بنطس ميثرادات السادس عندما كان يحارب الامبراطورية الرومانية في القرن الأول قبل الميلاد. وفي هذا العصر بالذات أخذت المناطق الرئيسية لبلاد السكيث تعرف عند الجغرافيين القدماء ببلاد سمراتيتي^(٢٥)، كما عرفت بولونيا - بولنده - في القرون الوسطى ببلاد سمراتيا، ثم ظلت تسمية السرمات الآن كلمة في اللغة البولونية وتعني (البدوي، القاتل). أما الفرع الشرقي للقبائل السمراتية فكان أغلبه في علاقة اقتصادية وسياسية مع مجتمعات الدول التي ظهرت في أواسط آسيا وخاصة في خوارزم. وفي بداية القرن الأول الميلادي قام السرمات بحملات حربية على البلاد الواقعة فيما وراء القفقاس (أرمينيا واذربيجان وكردستان) وقضوا على الوحدات الحكومية التي ظهرت هناك. وظهروا أيضاً على نهر الدانوب، واقترب قسم منهم، وخاصة البازيك والروخسلانيين، من حدود الامبراطورية الرومانية ووقعت بينهم حروب عديدة، ثم أخذوا يغيرون مع الآلان على عساكر الروم، ووطدوا بذلك القوات والامكانيات العسكرية للآلان في تلك الجهات.

انهارت الزعامة أو القيادة السياسية للسرمات في شمال البحر الأسود خلال القرن الثالث الميلادي وذلك اثر الهجمات التي قامت بها قبائل القوط (كوث Goth) الجرمانية. وما ان جاء القرن الرابع الميلادي حتى كانت القبائل السمراتية - الآلانية قد انحلت سياسياً وتحطمت قواها العسكرية أمام الهون، ثم خضعت للرومان وأصبحت تشكل

(٢٥) المصدر نفسه.

فيما بعد جنباً إلى جنب مع القوط والهون القاعدة الأساسية المسودة للنظام العبودي في غرب أوروبا. وبعدها هرب قسم من الآلان إلى شمال إفريقيا، اندمج كثيرون منهم في المجتمعات السلافية في جنوب روسيا الحالية وفي المجتمعات الأخرى لشرقي أوروبا. ويعتقد فيرناندسكي بأنه في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ظهر الاتحاد الآلاني - السلافي (دولة الآس) في مناطق أزوف وتحالفت مع الخزر وكانت بينهم علاقات طيبة^(٢٦). وفي قارة آسيا توحدوا مع قبائل ذات لغات تركية فيما بعد وأصبحوا يشكلون جزءاً من الشعوب الناطقة بالتركية.

ظلت اللغة السرماتية محتفظة بخواصها عند الآلان (اللان) في قفقاسيا واستمرت حية في أفواه الشعب الذين يسميه الروس الآن بـ(أوسيتيني)^(٢٧)، وهؤلاء هم الآلان الذين بقوا تحت حكم الهون، ثم تجمعوا في هذه المناطق^(٢٨).

■ طبائع وعادات السكيث

العلاقات المادية والروحية

يبلغنا هيرودوت بشكل جيد عن عادات السكيث^(٢٩)، وتظهر أنها غالباً تتعلق بالطبقات الحاكمة. وبناء على أساس حياتهم الرعوية وما تنتجه مواشيهم وخيولهم فإن غذاءهم الرئيسي كان لحوم الخيول التي كانوا يطبخونها في مراجل خاصة بالاضافة إلى استعمالهم لحليب الأفراس الذي صنعوا منه أيضاً الجبن والزبد، أي ما يشبه الحليب المزبد المتخمر. وقد عنى السكيث جميع عبيدهم كي يستخدموهم في

(٢٦) وكان هؤلاء من الآس البيض (روكساس = روخس آس). حول التفاصيل أنظر: G. Vernandsky, *Ancient Russia* (New Haven, 1944), and G. Vernandsky., *Origin of Russia* (Oxford, 1959).

(٢٧) دائرة المعارف التاريخية السوفياتية، مادة السرقات.

(٢٨) دائرة المعارف البريطانية، الجزء الأول، مادة الآلان، ص ٤٩٣.

(٢٩) هيرودوت، الكتاب الرابع، الفصل ٢٨.

إعداد ألبانهم، والطريقة التي اتبعوها هي انهم كانوا يدفعون أنبوبة من العظم - لا تختلف عن الأنابيب الموسيقية - في الفتحة التناسلية للفرس، ثم ينفخون في الأنابيب بأفواههم، فيحلب بعضهم اللبن، من تأثير نفخ بعضهم الآخر، وقالوا انهم فعلوا ذلك لأنه إذا ما امتلأت أوردة الفرس بالهواء ضغطت على الضرع وجعلته يهبط إلى أسفل. وكان يوضع اللبن الذي يحصل عليه بهذه الكيفية في جففات من الخشب يقف حولها العبيد ليقبلوا اللبن. وتعتبر طبقة اللبن التي تطفو على السطح خير الأجزاء جميعاً، وما تحتها أقل أهمية. هذا هو السبب حسب ادعاء هيرودوت الذي من أجله كان السكيث يعمون جميع أسراهم في الحروب.

كان السكيث في رحلات دائمة للحصول على مراعى نضرة خضراء، وقد عاشوا خلال الربيع والخريف في العراء والسهول. أما في فصلي الشتاء والصيف فكانوا يستقرون على الأنهر. وكان رجالهم يتجولون على الخيول كثيراً، ونسائهم كن يقضين أغلب أوقاتهم داخل عربات مستورة عادة بغلاف من لباد كان يصنع من جلود مواشيهم. لذا كانت العربات تعتبر مسكناً خاصاً لكل عائلة سكيثية مستقلة.

خضعت المرأة بصورة عامة للرجل عند السكيث على غير عادة السرماط وكانت ظاهرة تعدد الزوجات شائعة لديهم، وتجملت المرأة عندهم ببعض المواد الطبيعية، وكان جميعهم يستحمون في العراء. أما ملابس السكيث فتظهر معالمها بصورة مفصلة في آثارهم، ولعل ما اكتشف في (كول أوبا Kul Oba) وما وجد في أعمالهم الفنية المتأثرة بالطراز اليوناني، وخاصة الصور التي ظهرت على الأقسام العلوية لبعض الأوعية، تصور لنا ذلك الجانب من حياتهم. فكان الرجال يلبسون على العموم بدلة مشدودة بحزام مع سروال طويل مطوي على أحذية ناعمة مع قلنسوة مرفوعة على الرأس، وظلت معالم هذه الملابس عند الفرث قديماً والكرد في القسم الشمالي لكرديستان وبعض الشعوب القفقاسية حالياً.

أما النساء فكان يلبسن روباً طويلاً مع حجاب يستر أجسامهن. وكان

أفراد كلا الجنسين يطرزون ملابسهم بأشكال صحون مذهبة، ويزينون خيولهم مع سروجها بالأشكال نفسها وكانت تصنع عادة من الأقمشة.

انقسمت عامة السكيث أثناء الحرب إلى ثلاث ممالك صغيرة وكانت تنقسم هذه الممالك بدورها إلى مجموعات صغيرة، وكل مجموعة يقودها قائد. وكانت تقام ولائم سنوية على شرف شجاعة القواد الذين قاموا بذبح الأعداء، ويتبعها عادة توزيع الغنائم بينهم. والمحارب السكيثي كان يشرب دم أول رجل يصرعه في الحرب كما يقول هيرودوت، ويشير إلى أنه مهما بلغ عدد الذين يقتلهم فإنه يقطع رؤوسهم جميعاً ويحملها إلى الملك، وبذا يكون له الحق في اقتسام الغنائم وإلا يفقد حقوقه في ذلك. ولكي يسلخ جلد الرأس، يقطع حزاماً حول الرأس فوق الأذنين ثم يمسك بفروة الرأس ويقذف بالجمجمة بعيداً، بعد ذلك يأخذ ضلع ثور ويكشط به ظهر الفروة حتى ينظفها تماماً من اللحم، ثم يطريها بأن يدعكها بين يديه، ويستعملها فوطاً بعد ذلك. ويفخر السكيثي بفروات رؤوس القتلى هذه ويلقها بعنان حصانه. وكلما كان عدد الفروات التي يعرضها كبيراً، عظمت منزلته بين مواطنيه، ويصنع كثير منهم لنفسه معطفاً من هذه الفراء أشبه بعباءات فلاحي الاغريق، وذلك بأن يخيظ عدداً من الفروات معاً، ومنهم من يسلخ جلد الأذرع اليمنى لاعدائهم القتلى ويصنع من الجلد الذي ينزع بما فيه الأظافر كسوة لجمجمة سهامه، وإن جلد الانسان لسميك ولامع ويفوق في بياضه سائر الجلود الأخرى تقريباً. وبعض منهم يسلخ جلد الجسم كله ويشده فوق إطار يحمله معه أينما ذهب.

وبالنسبة لجماجم الأعداء الذين يحمل السكيث لهم أعظم كراهية. فيقول هيرودوت أنه بعد أن يخيظوا أسفل الحواجب وينظفوا ما بداخل الجمجمة، يكسونها من الخارج بالجلد. هذا كل ما يفعله الرجل الفقير. أما الغني فيبطن داخل الجمجمة بالذهب، وفي كلتا الحالتين، تستعمل الجمجمة كأساً يشربون بها، كذلك يفعلون الشيء

نفسه مع أصدقائهم وأقاربهم ان كان بينهم ثأر وهزموهم في حضور الملك. وعندما يزورهم الأعراب يطلعونهم على هذه الجماجم. ويشرح لهم المضيف علاقة أصحابها به، وكيف حدثت العداوة بينه وبينهم، وكيف تغلب عليهم، وذلك لأنهم يعتبرون كل هذه المظاهر من إمارات الشجاعة. ولإثبات شجاعته كان المحارب السكيثي الاعتيادي يحاول إعطاء الدليل على تلك الشجاعة أمام الملك. ولكي يحصل على نصيبه من الغنائم كان يقوم بسلخ جلد العدو ويزخرف به لجام خيله مع ما نهبه من الأعداء، ثم يرفع جمجمة عدوه بيده.

كانت الخطط الحربية لدى السكيث بشكل عام قبلية وذلك بإزعاج العدو عن طريق إظهار تقهقرهم وتراجعهم ثم انسحابهم من ساحة المعركة وهروبهم، ثم العودة إلى التصادم وضربه على مراحل. وكانت أسلحة السكيث القوس والسهم بالإضافة إلى سيوف قصيرة وحربة بجانب طبر أو فأس، وكان الفن السكيثي يظهر بصورة خاصة ضمن هذه الأسلحة. وإن ما شوهد في المدافن المكتشفة في بلاد سكيثيا القديمة كان بالتأكيد أنماطاً خاصة لأعمال سكيثية. والخناجر والسيوف القصيرة التي تميزت بنصابتها ونصلها وغمدتها الخاص من أغلب الطرائف في هذه الأعمال. وعلى طرف واحد من هذه الأسلحة تشاهد نتوءات مثلثة وهي من الطرق الغريبة التي احتاجها تعليق الخنجر والسيوف لديهم بواسطة ربطتين (عقدتين)، حتى لا يعيق فرسانهم أثناء حركاتهم على الخيول. ولقد استعمل هذا النوع من السيوف في إيران/ كردستان وشوهدت نماذجها في لوحات مدينة برسيبوليس، وعلى ما يظهر فإن أصل هذا النمط من السيوف شرقي من دون ريب. وكانت هناك أكياس القوس والسهم من النوع المقوس القصير ومن نمط خاص، إضافة إلى مرجل غريب الشكل موضوع على قاعدة مخروطية الشكل كانت توقد النار تحتها وقد وضعوا بجانبها كوباً ذا قعر مدور.

ظهرت ملامح آشورية ويونانية في الواقع في أعمال الفنانين السكيث الذين استخدموا في صنع أدواتهم بعض الزخارف ذات الأصول

الأجنبية، ولكنهم مع ذلك حافظوا على منهجهم المحلي الذي كان يتطور ذاتياً بمرور الزمن. أما جوهر هذا الفن فكان يظهر في رسوم الحيوانات كالآيل والغزلان والديبة ورؤوس الطيور التي زينوا بها أسلحتهم وقبورهم وفخارهم وسروج خيولهم. وعلى كل حال فإن مواضع هذه الزخرفة كانت تعبر عن التصورات السائدة عندهم، إضافة إلى البواعث العديدة الكثيرة التي تمازجت باعتقادات اسطورية. لذا نشاهد صور بعض الحيوانات الخيالية في هذه الأعمال. ومن جهة أخرى يظهر الطابع الشرقي في الفن السكيثي بشكل عام متأثراً بالفن الاغريقي بشكل خاص، وترجع معالم بعض هذه الفنون إلى عصور سحيقة في القدم وتعكس بعض جوانب الحياة عند الشعوب البدائية، وخاصة ما يتعلق بصيد الحيوانات في سهول وغابات التندرا في العصر المعدني، وساد هذا الفن بين النرويج شمالاً إلى حد شمال البحر الأسود جنوباً. وفي جنوب روسيا كانت صور هذه الحيوانات في قالب اغريقي، إلا أن هذا الفن اختلط بالفن الايراني عقب وصول السرقات إلى هذه المناطق، وذلك بزيادة الزخرفة وتعدد الألوان وتنوع الحيوانات فيه. وقد توسعت رقعة هذا الفن المزدوج مع توسع حدود رحلاتهم وهجراتهم. وانتشر فيما بعد في قارة أوروبا خلال العصور الوسطى، وظهرت انعكاسات هذا الفن، عن طريق سيبيريا ورحلات السكيث خلالهما إلى حدود الصين في بداية عصرنا، وقد اثبتت اكتشافات بعض الأنواع من المنسوجات والسجاد في منغوليا من قبل كوزلوف وعليها تأثيرات فنية سكيثية ومصنوعة بديكورات من النسيج ذلك التوسع الكبير للفن السكيثي الذي وصل إلى بلاد الكرد أيضاً وظهرت معالمه في كنوز سفز.

وفي مجال البناء الروحي للمجتمع وخاصة الجانب الديني منه فكان أساسه عبادة ظواهر الطبيعة^(٣٠). وقد أورد هيرودوت أسماء مجموعة من الآلهة السكيثية كانت تشبه الآلهة الاغريقية من ناحية السلطة والسيطرة على ظواهر الطبيعة ومنها تاييتي وبابايوس وزوجته آلي (أي

(٣٠) حول تفصيلات هذا الموضوع أنظر المصدر نفسه، الفصل ٥٩.

زيوس وزوجته كي عند اليونان) ثم اويتوسوروس وكولتوروس (أي أبولو) وأركيمباسا (أفروديت أورانيا) وغيرهم. أما آثار هذه المعتقدات فقد ظلت في المعبد والهيكل والتماثيل التي تخص الإله (أريس). وللتعبير عن قوة هذا الإله ولتجسيد سلطته كان السكيث يجمعون كومة كبيرة من الحطب كل سنة وينصبون عليها سيفاً من سيوفهم في ١٥٠ موقعا ثم يصبون دماء أعدائهم من الأسرى والسبايا عليها قرباناً لذلك الإله. ويظهر ان هذه العادة كانت شائعة بين المزارعين السكيث وذلك لكثرة الأخشاب لديهم في غابات الاستبس.

بالإضافة إلى ما ورد من اعتقادات دينية، فقد كان السكيث يؤمنون ببعض القوى السحرية، ويعالجون مرضاهم بالقيام ببعض الأعمال التي لها علاقة بهذه القوى. فإذا مرض الملك السكيثي أرسل في طلب ثلاثة من أشهر العرافين في عصره، فيتكهنون له هكذا يقولون: عادة ان الملك مريض لأن فلاناً، ويذكرون اسمه قد أقسم يميناً كاذبة بالوطيس الملكي. وهذا هو القسم العادي الذي يحلف به السكيثيون عندما يقسمون اليمين على أمر هام. وعندئذ يقبض على من اتهمه العرافون بالحلف كذباً، ويؤتى به أمام الملك، فيخبره العرافون بأنهم علموا أنه قد أقسم كذباً بالوطيس الملكي، وبهذا كان سبباً في مرض الملك، فينكر الرجل التهمة، ويحتج بشدة، ويؤكد انه لم يحلف قط يميناً كاذبة، ويعلن شكواه بصوت عال ويتمسك بأنه مظلوم. عند ذلك يرسل الملك في طلب ستة عرافين جدد يحكمون في الأمر بواسطة العرافة، فإذا وجد هؤلاء أن الرجل مذنب فيما نسب إليه، قطع رأسه في الحال بيد من اتهموه أولاً، واقتسموا أمواله وممتلكاته فيما بينهم. أما إذا برأه هؤلاء، جيء بعرافين غيرهم، ثم غيرهم، للتكهن في هذا الأمر. فإن برأته الغالبية العظمى منهم، أعدم من أدانوه أولاً. أما طريقة إعدامهم فكانت ان تملأ عربة بالحطب، وتربط اليها الثيران وتقيد أرجل العرافين معاً، وتربط أيديهم خلف ظهورهم، وتكتم أفواههم، ويلقون وسط الحطب ثم تشعل النار في الحطب وإذا تذر الثيران من اللهب تجري بالعربة. وغالباً ما تحرق النار العرافين

والثيران، بيد انه يحدث أحياناً ان يحترق عريش العربة فتفلت الثيران بعد إصابتها ببعض الحروق. كذلك يحرق الكهنة الكاذبون كما يسمون بهذه الطريقة لأسباب أخرى. وعندما يعدم الملك أحدهم، يحذر من بقاء أي ولد له حياً فيعدم جميع الأولاد الذكور مع أيهم، ولا يسمح بالبقاء على قيد الحياة لغير الإناث.

أما عن مراسيم دفن الموتى فإن هناك آثاراً كثيرة تلقي الضوء عليها، اكتشفت في مدافن بلاد سكيثيا. وتشير هذه الآثار إلى ان جثة الميت ذي المركز المتميز كانت تدفن بعد أربعين يوماً عقب حراستها من قبل أصدقاء المتوفى الذين لا ينامون لشرفه خلال هذه المدة. لكن ماتم الملوك كانت متقنة أكثر من غيرها، إذ كان السكيت يحيطون بالميت ويزيّنونه بكل ما كان يعتز به في حياته ثم يحددون قبره في منطقة (كيرهوس) قرب الانحناءات العظيمة لنهر دنيبر. وقد أشار هيرودوت إلى قبور ملوك سكيثيا في هذه المنطقة، أي أرض الكيريين المقيمين بأول موضع يصلح فيه نهر بوروشينيس للملاحة، فعندما يموت الملك يحفرون له قبراً مربع الشكل كبير الحجم. وبعد إعداد القبر، يأخذون جثة الملك بعد شق البطن وإخراج ما فيه وتنظيفه، وملئه بمخلوط من أوراق السنديان المغرية، واللبان الذكر، وبذور المقدونس، وبذور الأنيسون. ثم يخيطنون الفتحة ويغلقون الجثة بالشمع ويضعونها فوق عربة، ويطوفون بها على مختلف القبائل. وعندما تتسلم كل قبيلة جثة الملك تقلد ما فعله السكيثيون الملكيون في أول الأمر. فيقطع كل رجل قطعة من أذنه، ويقص شعره، ويحز حزاً حول ذراعه، ويشترط شقاً في جبهته وأنفه، ويغرس سهماً في يده اليسرى. بعد ذلك يقوم المكلفون بالجثة بنقلها إلى قبيلة أخرى من القبائل الخاضعة لحكم السكيت، ويتبعها أفراد القبيلة التي مرت عليهم الجثة أولاً. وبعد اتمام الطواف على القبائل التابعة لسلطات السكيت في دولة (كيرهوس) الواقعة في أقصى منطقة، يذهب القوم بها إلى مقابر الملوك حيث توضع جثة الملك في القبر الذي أعد لها، ممددة فوق خشبة. وتغرس الرماح في الأرض على كل من جانبي

الجثة. ثم توضع ألواح من الخشب فوق الرماح لتكون بمثابة سقف يغطي بأعواد الغاب. ويدفنون مع الملك إحدى محظياته بعد شنقها، وكذلك حامل كأسه وطاهيه وسائسه وخادمه الخاص وحامل رسائله، وبعض خيوله وأوائل ممتلكاته الأخرى، وبعض الكؤوس الذهبية لأنهم لم يستعملوا الفضة ولا النحاس. بعد ذلك يشرعون في عمل كومة فوق القبر، ويتبارى كل منهم في جعلها مرتفعة قدر المستطاع.

بعد مرور عام على موت الملك، تقام احتفالات أخرى. فيؤخذ خمسون شاباً من خيرة خدم الملك المتوفى، وكلهم من السكيثيين الوطنيين، ولما كان شراء العبيد غير معروف في هذه البلاد، فإن ملوك سكيثيا يختارون من يريدون من رعاياهم ليقوموا بخدمتهم، يؤخذ خمسون من هؤلاء ويشنقون، كما يقتل خمسون جواداً من أجمل الخيول، ثم تفتح بطونها وتخرج أحشاؤها وينظف التجويف ويملأ بالتبن ويخاط الشق ثانية. وبعد الانتهاء من هذا ترفع عدة أعمدة على الأرض زوجين زوجين ويوضع نصف إطار عجلة فوق كل زوجين من هذه الأعمدة، حتى يتكون ما يشبه القبو. ثم ترفع سيقان قوية في أجسام الخيول بطولها، من الذيل إلى الرقبة، ثم ترفع الخيول فوق إطارات العجلات بحيث تستند كتفا الحصان على إطار العجلة الأمامي. ويسند الاطار الخلفي البطن والفخذين الخلفيين. أما القوائم فتتدلى في الهواء. ويوضع في فم كل حصان لجام وعنان، ويسط الأخير أمام الحصان ويربط في وتد ثم يؤتى بالخمسين شاباً المشنوقين؛ ويوضعون في الخمسين حصاناً، ولعمل هذا تدفع ساق أخرى في جسم كل شاب بطول السلسلة الفقرية حتى الرقبة. ويرز طرفها السفلي من الجسم، ويوضع في حفرة بالساق التي في جسم الحصان، وهكذا يرص الخمسون راكباً في دائرة حول القبر؛ ويتركون على هذه الصورة. ويمكن ان ترينا بقايا المدافن السكيثية الوصف العام لطريقة حفر القبور والأضرحة. ومع انه لم يتفق لحد الآن على وحدة معالم هذه المدافن، فإن التفاصيل تظهر على الأغلب متعلقة بعضها

بعضها الآخر وتشابه فيما بينها. والمواد الظاهرة للعيان عامة هي فضية ونحاسية، وقد سرقت أغلبها على مر القرون، وأن نسبة المواد التي صنعت من الذهب عجيبة وتجلب الانتباه. وتؤكد كل هذه المواد على أن ملوك السكيت كانوا يسيطرون على موارد الرزق في بلاد الألطاي. وتظهر هذه المواد بصورة مدهشة ومثيرة في مدافن أفراد الطبقات العليا للقبائل. ومما يلفت النظر هو تفوق السكيت على جيرانهم في عمل نوع بسيط من العظام الملونة وذلك بصبغها بمغرة حمراء على الطريقة البدائية. أما أثاث المدفن فكان مجرد بعض أباريق فضية الصنع وأدوات من حجر الصوان والصخور أو النحاس مع زخارف فضية ونحاسية. وكانت هذه المدافن تحفر تحت روابٍ عالية وتحتوي على حجرات فيها شيء من الاتقان وضعوا فيها محتويات متعددة. ويحتمل أن بعضها كانت تخص الكيميريين.

أما تخطيط المدافن فيمكن أن يقال أنه كان صورة مشوهة للتخطيط الاغريقي فيما بين القرون ٧ - ٢ ق.م وأكثر هذه المدافن اكتشفت في الانحناءات الكبيرة لنهر الدنيير (بلاد كيرهوس) كما اكتشفت في الجنوب الغربي لمركز موطنهم وكذلك في مملكتي كييف وبولتافا مع بعض الاختلافات. أي كانت نسبة عدد الخيول فيها قليلة. وتؤكد هذه المدافن على أن السكيت كانوا قد توطنوا هنا وتوزع آخرون منهم في السهول الشمالية للقرم حتى منطقة كيرج وكول أوبا التي امتزج فيها الفن السكيثي باليوناني. وعلى العموم فإن هذا الفن كان يونانياً في الظاهر وبربرياً في المحتوى. وفي شرق ماثيوتيس، وعلى طول نهر كوبان تنتشر مجموعة من الروابي هنا وهناك وهي جزء من آثار الحضارة التي كانت في كيرهوس ولكن بشكل أقل اتقاناً. ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نرى مدفناً واحداً متكامل الأدوات، إلا أن رايبة (جيرتوملك) يمكن أن تكون نموذجاً لهذا النوع من المدافن، وكان ارتفاع الرايبة ٦٠ قدماً ومحيطها ١١٠٠ قدم وقد بنيت قاعدتها ومشاها من الحجر وفيها بعض الحجرات، وفي الحجرة المركزية كان كل شيء مرتباً، ولكن كان الملك هنا يظهر ممدداً على

نعش، كما اكتشفت ممتلكاته وقد جمعت بجانب المكان وتشتمل على كيس القوس والسهم مع غمد سيفه بالإضافة إلى بعض الصحن الذهبية ذات معالم يونانية، ووجدت كذلك هناك ثلاثة سيوف بثُصِبَ ذهبية مع سوط ورؤوس سهام عديدة بجانب أدوات أخرى مصنوعة من الذهب.

أما في الحجرة الشمالية الغربية فقد وجد هيكل عظمي لامرأة مع مجوهراتها الشخصية وهي في الغالب أعمال يونانية، وكانت المرأة ممددة بجانب رجل. وفي الحجرات الأخرى دفن ثلاثة رجال آخرون وُجِّهُوا بأسلحة بسيطة وبعض الزخارف وكانت ملابسهم مزر كشة بصور مئات الأوعية الذهبية وبأشكال مختلفة وبجانب كل هيكل عظمي وضعت كؤوس شراب مع ست جرار حفظت فيها ذخيرة شراب العنب. وكانت هناك آثار لعظام الضأن لا تزال تشاهد في مرجلين برونزين، وأبدع أثر ضمن مخلفات هذا المدفن كان مزهرتين ارتفاعهما ثلاثة أقدام وهما للتعليق، وكان أجمل شيء في المزهريتين هو صور النباتات ذات الأشواك بأوراقها الخضراء، وعلى كتفي المزهريتين نوع من الأفريز يصور بعض البدو من السكيث يصيدون أفراساً وحشية، وهذا النوع من الصيد كان مألوفاً وشائعاً عندهم.

وعلى غرب المدفن المذكور كانت هناك ثلاث حفر مربعة فيها بقايا عظام الخيول مع أدواتها وسروجها. ووضعت هياكل بشرية في حفرتين أخريين بجانب تلك الحفر الثلاث. ومن خلال الأشكال الفنية ذات النمط الإغريقي في هذه المواد نرى أنها ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد. وفي الكسندربول وسولوخا الواقعتين في المنطقة نفسها، اكتشفت مدافن مشابهة كان بعضها غنياً بالآثار، ولعل أشهرها مدفن (ملكونوف) الذي اكتشف عام ١٧٦٠م وقد ظهرت فيما بين موادها أعمال متأثرة بالفن الآشوري واليوناني يرجع زمنها إلى القرن السادس قبل الميلاد، كما كان الحال في مدفن كول أوبا. وتعتبر هذه المواد عن بعض العلاقات الاجتماعية عند طبقة الملوك.

فكان للملك على ما يظهر زوجة خاصة وخادم خاص وخيل خاصة وجرة خاصة للشراب مع مرجل خاص لطبخ لحم الضأن مثلما تشير إليه آثار عظام هذا الحيوان. هذا بالإضافة إلى الكؤوس الخاصة بالشراب وأسلحة الملك الشخصية. وكل هذه المواد مصنوعة بصورة بدائية.

أما في شرق ماثيوتيس وعلى نهر كوبان فتمة مدافن عديدة وأشهرها مجموعة تشتهر باسم (الآخوان السبعة) وكذلك مدافن كوستروسكايا وأول وكليرمس وغيرها.

من كل ما جاء تعرفنا على المراحل والأوضاع التاريخية التي وصلتها المجتمعات السكيثية، ومن ضمنهم الكيميريون والسرقات، وأحفادهم من الآلان بعدما شاهدت قبائلهم البدوية المحن والأهوال أثناء هجراتها في مساحات شاسعة بين ثلاث قارات آسيا، أوروبا وأفريقيا، واستطاع قسم منها الاستقرار النسبي في شمال كل من قفقاسيا والبحر الأسود، لكن الباقين ظلوا في طريقهم نحو ممرات قفقاسيا واحتكوا بمراكز الحضارة في شمال بلاد ما بين النهرين وكردستان حيث تأثروا بها كثيراً ونقلوا بعض معالمها إلى بلادهم الأصلية سكيثيا.

الفصل الرابع

مظاهر لقاء الأسلاف

■ أ - اللقاء على المستوى القومي
في عصر ما بعد الميلاد

أشرنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب الى أن قسماً من اللان (الآلان) ظهوروا في قفقاسيا، وحاولوا العبور نحو الجنوب، وكان لهم شأن فيها في وقت من الأوقات. وقد تحدث عنهم المؤرخ الأرمني موسى الخوريني في القرن الخامس الميلادي بالاضافة الى أنهم ذكروا في الأغاني الملحمية الأرمنية. لذلك فلا غرابة من أن تلك البلاد التي اشتهرت في العصر الاسلامي بالثغور، عرفت في الأصل بباب اللان (دريال Darial).

ذكر ابن العبري، المؤرخ الكنسي المشهور بيار هيرايوس ١٢٢٦م - ١٢٨٦م، أخباراً حقيقية عن نزوح هؤلاء الآلان نحو الجهات الجنوبية من قفقاسيا، تشمل البلاد الآذرية والأرمنية والكردية آنئذ، وذلك خلال النصف الأول من القرن العاشر الميلادي حيث يقول:

«توغل الآلان مع الصقالبة واللاظ الى أذربيجان خلال حكم الخليفة المستكفي ابن المكتفي واستولوا على مدينة بردعه وقتلوا ما يقارب عشرين ألف رجل»^(١).

(١) The Chronography of Bar Hebraeus. Vol. I, p. 163.

والواقع أن المستكفي بالله (عبد بن علي) هو ابن الخليفة المكتفي (٣٣٢هـ - ٣٣٤هـ المصادف ٩٤٤م - ٩٤٥م) عزله معز الدولة البويهى ومات سجيناً في بغداد.

وكانت ظاهرة التوغل من الممرات القفقاسية نحو تلك البلاد من الأمور السائدة منذ أقدم الأزمنة، وتصدى للأمم المتوغلة الأكاسرة والقياصرة مراراً، إلا أن مدينة برذعه، وكذلك الاقليم الذي اشتهر باسم (أَرَان)، وهو بلاد أذربيجان السوفياتية سابقاً، مع مدن دوين وآني ونشوى وغيرها أصبحت ومنذ هذا الوقت واسعة وقاعدة لنظام سياسي كردي ذات طابع اسلامي اشتهرت بالدولة الشدادية. لذلك أشار أحمد بن لطف الله منجم باشي الى أن:

«أَرَان هو إقليم مشهور يتاخم أذربيجان من جهة الغرب منها ويحدّها من الغرب حدود أرمينية ومن الشرق والجنوب أذربيجان ومن الشمال جبال القبق ومن قواعدها نشوى وهي نقجوان وباب الأبواب يقال لها في زماننا هذا باب الحديد عبارة عن ناحية واسعة لها حكام مستقلون ومن قواعدها كنجه... ومن مدن أَرَان المشهورة تفليس وشمكور والبيلقان وسرير اللان».

ويضيف منجم باشي قائلاً:

«... إن بني شداد حكام أَرَان الأكراد كان دار ملكهم مدينة دَبِيل ثم جنزه (كنجه) وابتداء ظهورهم ٣٤٠هـ/٩٥١م وانقراضهم في سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م ومدة امارتهم ١٣٨ سنة»^(٢).

(٢) انظر الفقرة الرابعة من (باب الشدادية) لكتاب: جامع الدول، تحقيق مينورسكي. ويعتقد أن مدينة جنزه (كنجه) هي مدينة دوين (Divin) التي سكنها أيوب والد صلاح الدين الأيوبي مع أهله عندما التجأوا الى عند الشداديين، وكانت هذه المدينة العاصمة القديمة للأرمن ثم جعلها الشداديون عاصمة لدولتهم الكردية الاسلامية قبل أن ينتقلوا الى عاصمتهم الثانية (آني). ويقول ياقوت الحموي بأن «دوين بلدة من نواحي أَرَان في آخر حدود أذربيجان بقرب من تفليس منها ملوك الشام بنو أيوب»، انظر: المعجم، مادة دوين والحقيقة أن هذه المدينة لم تكن قرب تفليس التي غدت فيما بعد عاصمة لجيورجيا. ويضيف ياقوت قائلاً أن «أَرَان اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة. منها جنزه وهي التي تسميها العامة كنجه، وبرذعه وشمكور وبيلقان. وبين أذربيجان وأَرَان نهر يقال له الرس (ويقصد آراس أو آراكس... ج.ر) كل ما جاوره من ناحية الغرب والشمال فهو من أَرَان، وما كان من جهة المشرق فهو من أذربيجان»، انظر: المعجم، مادة أَرَان.

وقد سبق المسعودي منجم باشي بعدة قرون عندما حدد بعض جهات هذه البلاد مشيراً إلى مناطق سكنى اللان حيث يقول:

«بعد مملكة السرير تلي مملكة اللان وملكها يقال له كركنداج هذا الاسم الأعم لسائر ملوكهم، وكذلك فيلان شاه، فهو الاسم الأعم لسائر ملوك السرير ودار مملكة اللان يقال لها معص (والصحيح مخص = مكس... ج.ر) وتفسير ذلك الديانة [الدماثة] (والصحيح الذبابة... ج.ر) وبينه وبين صاحب السرير مصاهرة في هذا الوقت... وبين مملكة اللان وجبل القبخ قلعة وقنطرة على وادي عظيم يقال لهذه القلعة قلعة باب اللان»^(٣).

= تعرف جنزة عند الروس ومنذ عام ١٨٠٤م باسم يليساوتبول Jelisawetpol ولا يزال سكان المدينة يعرفونها باسمها القديم (كنجه). ويذكر موسى كالانكاكاسي المؤرخ الأرمني أنها أسست في عهد الحكم الاسلامي عام ٨٥٤م. أما حمدالله القزويني فيذكر أنها أسست عام ٣٩ هجري ويوافق سنة ٨٥٣ - ٨٥٤ ميلادية. ولم يذكر البلدانون المتقدمون المسلمون مثل ابن خردادبه واليعقوبي شيئاً عن هذه المدينة. ويظهر أن جنزه اشتقت اسمها من عاصمة آذربيجانية كانت قائمة قبل ظهور الاسلام وهي تشاهد الآن من خلال ضرائبها المعروفة بتخت سليمان. واقتصر الاصطخري على القول بأنها بلدة صغيرة على الطريق من برذعه إلى تفليس. وأصبحت هذه المدينة قصبة أران بعد اضمحلال برذعه واتخذها البيت الشدادي مقراً لحكمه حوالي عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١م ثم قضى السلطان ملك شاه (٤٦٥هـ - ٤٨٥هـ المصادف ١٠٧٢م - ١٠٩٢م) على الحكم الشدادي فيها ثم أقطع ولده محمد مدينة جنزه. وفي عام ١١٣٨م - ١١٣٩م (على رأي عمادالدين الأصفهاني) وفي ١١٣٩م - ١١٤٠م (على رأي ابن الأثير) حدث زلزال دمر هذه المدينة ومات بسببه ٣٠٠ ألف نسمة. وقد نهب ديمتريوس ملك الكرج (الجيورجيين) مدينة جنزه المخربة وحمل معه أحد أبوابها... وكانت تعد في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) من أجمل المدن في آسيا الغربية. وقد عاش الشاعر نظامي كنجوي (وهو من أب تركي وأم كردية) في ذلك العهد. ولم يجسر المغول عندما ظهروا أمام جنزه عام ٦١٨هـ/ ١٢٢١م على مواجهة حصونها المنيع، وقد برهن سكانها على شجاعتهم في عدة وقائع نشبت بينهم وبين الكرج. وفي عام ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م استولى جلال الدين خوارزمشاه على جنزه، واستولى المغول على المدينة في سنة ١٢٣٥م ثم أحرقوها. دائرة المعارف الاسلامية، مادة جنزه.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، الجزء الأول، ص ١٩٨ (طبعة بيروت، ١٩٦٥). وقد ذكر ياقوت الحموي دار ملك اللان بصيغة (مخص). انظر: معجم البلدان، =

وهكذا فإن هذه المناطق كانت نقطة تماس بين اللان والكرد. وإذا كان الكرد لم يتوغلوا أكثر شمالاً فإن اللان استطاعوا اختراق المجتمعات الكردية جنوباً، حتى انهم أتوا من ممرات الدريال وهاجموا اقليم أران في أعوام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م و٤٥٧هـ/١٠٦٥م^(٤). ومن خلال ما أبقوه من تسمية قومية وتراث لغوي وأدبي في بلاد الكرد يمكن أن نعتقد بأن مجموعات من هؤلاء اللان قد انتشروا بين القبائل الكردية. ففي قفقاسيا ظل الأوسيتيون هم الوحيدين في العالم الذين يتميزون بمحافظتهم على اللغة الآلانية التي كانت تتداولها مجموعات كبيرة من القبائل عاشت في رقعة واسعة بين قارتي آسيا وأوروبا ولمدة غير قصيرة كما توضح في الفصل السابق، لكن البقية الباقية منهم تسكن الآن في أواسط قفقاسيا، ولغتها تتفرع الى لهجتين شرقية وغربية أي الإيرونية والديكورونية^(٥)، وقد جاءت تسميتهم متطورة من اسم (ياس) الذي ظهر في المصادر الروسية القديمة وهو مشتق من (آس) الجيورجية^(٦).

= مادة اللان. والحقيقة أن الاسم في الأصل هو (مكس) في الكردية والآلانية واللغات الإيرانية الأخرى ويعني (الدبابه) وليس (الدماثة أو الديانة) التي نسخها الناسخ خطأ في كتاب المعجم. ويذكر الدكتور فريخ بأن هناك قصبة كردية باسم (مكس) واقعة في ولاية (وان) يسكن حوالها بعض من عشائر الشكاك الكردية. انظر: الدكتور فريخ، كردلر (استنبول، ١٣٣٤)، ص ٦٣، بالتركية العثمانية كما أن هناك قضاء آخر بنفس الاسم في ولاية هيكاري الكردية في جنوب شرق تركيا، ولد فيه الشاعر الكردي فقي طيران عام ٧٠٢هـ المصادف ١٣٠٢م - ١٣٠٣م.

(٤) انظر كتاب: مينورسكي، فصول من تاريخ الباب وشروان، ص ١٤٥ من النسخة الروسية وكذلك ص ١٠٧ من الترجمة الانكليزية.

(٥) وقد جاوروا التتر من الشرق كما سكنوا على نهر الدون. للمزيد من المعلومات حول هؤلاء انظر:

Mullenhoff, Über Die Herkunft Und Sprache Der Pontischen Skythen und Sarmaten. Monatsbericht Der K. Pr. AK. d.w., (1866), p. 549 ff.

(٦) دائرة المعارف التاريخية السوفياتية، الجزء الأول، ص ٣٣٠، مادة الآلان ويقول بارثولد بأن تسمية (آس) دونت في الكتابات الشرقية فقط، أما عند الرحالة الأوروبيين والبعثات التبشيرية فكان هؤلاء معروفين بـ(آلاني Allani). وفي زمن الفتوحات المغولية أصبحت مناطق سكنى اللان شمال دربند (الباب)، انظر دائرة المعارف الاسلامية، الجزء الأول (لندن؛ ليدن، ١٩١٣)، ص ٣١٢.

أما بين الكرد فقد ظل اسم الآلان كما هو بالمعنى الأثني العشائري ويشكلون الآن بطناً من بطون قبيلة (سوسني) التي تنقسم إلى عشيرتي برياجي وميلكاري اللتين تسكنان بين منطقتي سردشت ووزنه. وظل هذا الاسم كذلك بمفهوم جغرافي في المنطقة الكردية الواقعة على الحدود العراقية - الإيرانية قرب كه لادزي (قلعة دزه). هذا بالإضافة إلى أن مناطق سنندج (ولاية كردستان بإيران) تسمى لحد الآن محلياً بأردلان (أي أرض اللان). وهنا أيضاً منطقة باسم آلان وسيويل تقع جنوب السليمانية في منطقة شهرزور وتشتمل الآن منطقة آلان في الحدود العراقية - الإيرانية على قرى عديدة منها بيزو Beju وبيتوش Betush وكرماوان Garmawan وأشكان وميركاسه Mergasa ومزناوه ودولكه وكرويس Girwess وهرزني Harzane وغيرها، وتسكنها عشائر مراودلي وباير أغالي ومجموعات أخرى. وهناك في مقاطعة درسيم بكرستان/ تركيا وفي وسط الزازا الكرد، الآلان كعشيرة كردية معروفة عاشت في منطقة نظامية (قزل كيلسه = الكنيسة الحمراء)^(٧). ويرى فلجيفسكي المتخصص السوفياتي في الأثنوغرافيا الكردية أن: «هؤلاء الآلان كانوا قد سكنوا في منطقة موكران الكردية خلال القرن الحادي عشر الميلادي».

وبالرغم من هذه الحقيقة فإنه أخطأ عندما أشار إلى تطور اسم الآلان من الكلمة السريانية (عالو) التي تعني القلعة أو الحصن، لكنه أوضح قائلاً أن:

«أصل الآلان في قفقاسيا وأولئك في موكران الكردية هم الألبان القدماء الذين سكنوا على سواحل بحر الخزر... وتطورت تسمية آزان في القرون الوسطى من مصطلح آري». ومع صحة أقواله الأخيرة فإن بعض حججه غير مؤكدة لتبريرها كلياً^(٨).

(٧) بالتركية Dr. Vet. M. Nuri Dersimi, Kurdistan Tarihinde Dersim (Helep, 1952), S. 56.

O. Vilghevsky, Kurdi, M (1961), Str. 136.

(٨) انظر بالروسية:

وهناك حقيقة تاريخية تشير الى أن المقاطعة الواقعة غربي تبريز حالياً المشهورة بـ(كوني Guni) دونت اسمها في الوثائق القديمة وخاصة المالية منها باسم (آرونق) وقد دُوّن خطأ بصيغة (أزُونَق). والاسم آرونق هو صيغة عربية اسلامية لـ(آرانك) أي أَرَان الصغرى وكانت تشكل جزءاً من أَرَان الكبرى التي شملت بلاد أذربيجان وكانت توأماً لها اسماً. وبما أن هناك تبايناً في المناخ بين الشمال والجنوب بأذربيجان، فقد أصبحت آرانك اصطلاحاً مرادفاً للمنطقة الحارة في العصرين المغولي والتركي، لذلك فالكلمة التركية المحلية (آرانلوق) حالياً تعني في أذربيجان معنى المناطق الحارة.

أطلق الرومان اسم ألبانيا على بلاد أَرَان، وشوهد في المدونات الأرمنية بصيغة (آغوان) وقرىء كذلك (آلوان)، وكل هذه الصيغ لها علاقة باصطلاح آر Ar (أير Er) نسبة الى الآرين وبالذقة قبائل آري زانت الميديّة التي انتشرت هنا في مطلع الألف الأول قبل الميلاد.

ترسخت آثار الأحداث التاريخية في التراث اللغوي والأدبي والأثنوغرافي للشعوب تناقلتها الأجيال لتظهر فيما بعد بشكل وبآخر أساساً من الأسس الذاتية القومية في زماننا سواء عند الكرد أو الأرمن أو الأذربيجانيين، فالمغنون في منطقة (كوختانا) يسردون أخباراً عن هجمات الآلان على أرمينيا، كما يتغزلون بجمال الملكة الآلانية (ساتينيك)، ويتحدثون في أغانيهم عن زواجها من (أرتاشيز ملك أيكازيان)^(٩). وبالرغم من أن الآلان وأسلافهم من السكيث والسرمت لم يخلفوا لنا نصوصاً مكتوبة ذات أهمية، إلا أن ألقاب شخصياتهم البارزة وأسماء قبائلهم التي دونت في مصادر مختلفة، توضح مدى تأثيرهم وتأثيرهم لغوياً ليس بلغات شعوب جنوب غرب آسيا من أرمن وكرد وآذر فحسب، وإنما في جميع اللغات السلافية وبالأخص الروسية والبلغارية والبولونية، حتى إننا نشاهد ذلك في

(٩) انظر مقال نالبنديان باللغة الروسية:

G. M. Nalbandiyan., «Armiyanskie Lichniye Imena skifo - Alano - Osetinskogo Proiskhojdeniya. Akademiya Nauk Gruzinskoy Ssr Yugo - osetinskiy Nauchho - Isslodavatelskii Filologii» (Tbilisi, 1977), Str. 260.

اللغة المجرية (الهنگارية) أيضاً التي لا تدخل ضمن اللغات الهندية الأوروبية وهي غريبة عنها. ومن المفيد الإشارة هنا الى أن أشهر زعيم للاتحاد القبلي البلغاري الذي قاد البلغار القدماء الى شبه جزيرة البلقان (بلغاريا حالياً) من موطنهم الأصلي على نهر الفولغا، كان يحمل اسماً آلايياً وهو الخان (أسبروخ Asparukh) وكوّن البلغار بذلك دولتين في أوائل القرون الوسطى، احدهما على نهر إيتل (الفولغا) والأخرى على الدانوب شمال بلغاريا^(١٠). وتأثر البلغار الذين هاجروا

(١٠) انظر: دائرة المعارف الاسلامية، مادة البلغار. والواقع أن بلغار اسم شعب لا يعرف أصله على وجه التحقيق، تكونت منه دولتان في أوائل القرون الوسطى احدهما على نهر إيتل (الفولغا) والأخرى على نهر الدانوب. وقد ورد اسم البلغار لأول مرة في القرن السادس الميلادي في التأريخ الكنسي لتركيا الخطيب حوالي ٥٥٥م بين قبائل القوقاز الرحل الذين يسكنون الخيام ويقتاتون لحوم الماشية والأسماك. انظر:

F. J. Hamilton, and E. W. Brooks., *The Syriac Chronicle Known as that of Zachariah of Myrtilene Anecdota Syriaca* (London, 1899), P. 328.

ويذكر يوحنا الأفسوسي حوالي عام ٥٨٥م قصة ورد فيها اسما بلكاريوز Bulgarioz وخزريج Khazarig الذين انحدر من صلبهما البلغار والخزر على أنهما أخوان. ويقول الاصطخري (طبعة كويه، ص ٢٢٥) أن لغة البلغار في مناطق أثيل تشبه لغة الخزر. وهذه الرواية على جانب كبير من الأهمية، ذلك لأن هذا الجغرافي يؤكد وحدة اللغة بين جميع الشعوب التركية من الخرخيز (القرغين) والتغزغز في الشرق الى الغز في الغرب، ووحدة الأصل التركي للبخناك أو البشناك. ولا يمكن أن تكون لغة الخزر والبلغار هي عين لغة الترك والروس عامة - والصورة التي رسمها ابن فضلان للبلغار وبلادهم أكمل من سواها - وما هو جدير بالذكر أنه اطلق اسم الصقالبة على بلغار نهر أثيل، وقد قطع ابن فضلان المسافة من الجرجانية بالقرب من المدينة الحديثة المعروفة بـ (كنية أو كنج) في خيوة الى حاضرة البلغار في سبعين يوماً. وتحدد خرائب بلدة بلكارسكوي أو أوسينسكوي في مركز سيسك من أعمال قازان موقع الحاضرة (بلغار)، وهذه الخرائب على مسيرة ٢/١ كم من الضفة اليسرى لنهر أثيل. وهذا يتفق تماماً ورواية ابن فضلان. ونستنتج من ذلك أن المدينة ومجرى النهر لم يتغير موضعهما منذ القرن العاشر الميلادي. ولا يوجد وصف سوى هذا في رسالة ابن فضلان ولا فيما نقله عنه ياقوت الحموي، كما أنهما لم يتعرضا لمدين أخرى في هذا الاقليم. وقد ذكر الاصطخري مدينتي بلغار وسوار وهما قريتان أحدهما عن الأخرى وخرائبهما اليوم بالقرب من (كوزنجيخة) وكان بكل منهما مسجد. ولا بد أن يكون انفصال البلغار عن الخزر قد تم قبل قيام الحكم الخزري في أوروبا الشرقية. واعتاد ملك البلغار على الإيتل أن يسير راكباً خلال عاصمته =

الى جهات نهر الدانوب واحتلوا المناطق الجنوبية منه في القرن السابع الميلادي باللغات السلافية كلياً بعدما تركوا لغتهم الأصلية التي كانت من صنف اللغة الخزرية أصلاً^(١١)، لكنهم، في الوقت نفسه، حافظوا على مفردات كثيرة آلائية وسرماتية التي تشترك معها اللغة

= بمفرده من غير أن يصحبه أحد من حرسه وكلما رآه أفراد رعيته قاموا عن مقاعدهم وكشفوا عن رؤوسهم. وكان البلغار كأهل خوارزم يغطون رؤوسهم بالقبعات المرتفعة التي يسميها العرب القلائس.

ومهما يكن من أمر، فإن علاقة بلغار إيتيل ببغداد لم تنقطع. ويقول المسعودي في: مروج الذهب (الجزء الثاني، ص ١٦) ان أحد أبناء ملك البلغار حج الى مكة في عهد المقتدر، أي قبل عام ٩٣٢/٩٣٢م وأنه اهتبل الفرصة ومر على بغداد وقدم فروض الطاعة للخليفة. وكان البلغار أكثر اتصالاً بمملكة السامانيين لأسباب جغرافية. وهناك سكة فضية تحمل اسم الأمير البلغاري طالب بن أحمد ضربت في سوار عام ٩٣٨/٩٤٩م - ٩٥٠م وكذلك في ٩٤٠/٩٥١م. كما أن هناك سكة للمأمون بن أحمد، ويحتمل أن يكون أخا طالب وخلفه الذي كان أيام الخليفة المطيع الى عام ٩٦٣/٩٧٤م، وكان للمأمون بن الحسن أمير البلغار في عهد الخليفة الطائع حق ضرب السكة.

ويقال ان الروس غزوا أراضي البلغار والبرطاس والخزر كلها وتركوها خراباً بلقياً خلال القرن العاشر الميلادي وفر الذين نجوا من القتل الى شبه جزيرة سياه كوه (منغشلق) وباب الأبواب في بحر الخزر. ويقول المؤرخون المسلمون أن سقوط مملكة البلغار النهائي وتدمير عاصمتها حدث في خريف عام ١٢٣٦م بينما يروي مؤرخو الروس أن ذلك حدث عام ١٢٣٧م. وقد زار يوليان المجري الدومنيكي بلغاريا الكبرى عام ١٢٣٤م وعاد الى المجر عام ١٢٣٦م وبعد أن ضم المغول مملكة البلغار على نهر إيتيل الى مملكتهم القبلية الذهبية يظهر أن العاصمة (مدينة بلغار) استعادت بعض ما كان لها من ازدهار بعد ذلك بقليل. والروس خربوا بلاد البلغار بعد ذلك عام ١٢٩٩م، ومن المحتمل أن تكون هذه المدينة قد تأثرت أكثر من ذلك بظهور مدينة قازان التي أسسها قبيل ذلك (باتوخان). ويقول بارثولد بأن اللغة البلغارية صلة بلغة الخزر واللغات التركية والفنية وهي لغة البرطاس أحسن تفسير، والمعروف أن الجواش هي لغة تركية ولكنها غير مفهومة من الشعوب الأخرى التي تتكلم التركية، وعلى هذا الأساس أن الجواش المحدثون لم ينحدروا من سكان نهر أيتيل، ولكنهم انحدروا من جماعات بلغارية كانت تعيش دائماً في الغابات، ولم تتأثر بالثقافة الحضرية الإسلامية إلا قليلاً. للاستزادة من هذا الموضوع انظر دائرة المعارف الإسلامية، مادة البلغار.

(١١) انظر المصدر نفسه، وانظر أيضاً الى: رحلة ابن فضلان، تحقيق زكي وليدي طوغان.

الكردية أثناء عبورهم سهول سكيثيا القديمة. ومن جهة أخرى لا ريب في أن الأعداد Ezer ١٠٠٠، Sata ١٠٠، Dasa ١٠، Het ٧ «الألف، المائة، العشرة والسبعة» في اللغتين الهنغارية (المجرية) والفنلندية وفي غيرهما من لغات مجموعة الأوكرو-الفنية مشتقة من الآلانية التي تقابل (هزار، ست، ده، هفت) في الكردية.

ثم ان المفردات الكردية ره سه ن Rasan (أصيل)، جو Jo (شعير)، مير Mer أو ميرد Merd (رجل) وكورك Gurg (الذئب) تقابلها في الآلانية (راسين، جو Jaw أو جيفا Jiva، مورت، وورك أو فورك^(١٢)).

وعلى ما جاء من حقائق، نستطيع القول ان الآلان الذين ارتحلوا نحو البلاد الكردية، وإن تمازجوا لغوياً وعرقياً مع الكرد ونسوا لغتهم الأصلية التي كانت تتقارب مع الكردية، إلا أن اسمهم ظل مستعملاً في تلك البلاد الى يومنا هذا. وان التقارب اللغوي بين هذين الشعبين (الكرد والآلان) ليس بظاهرة جديدة، وإنما ترجع الى مراحل مبكرة من العصر الميلادي. فمثلاً كانت الأسماء المركبة مع لفظة (أسب Asp) التي تعني الخيل في الكردية سائدة في السكيثية والآلانية واللغات التي تأثرت بها. فنرى زعيماً في شمال قفقاسيا يشتهر باسم (أسبوراك Asporak) عاش في القرن الرابع الميلادي ودون اسمه عند الأرمن^(١٣). كما اشتهر أسباروخ البلغاري في القرن السابع الميلادي في جهات البلقان دون اسمه في المؤلفات البيزنطية^(١٤)، وكذلك أسابار، الذي يعتبر أقدم اسم ميدي من العائلة الايرانية

(١٢) V. I. Abaev, K Voprosi o Prarodine I Drevneyshikh Migratsiyakh Indo-iranskikh Narodov. Drevnii Vostok I Antichni Mir. M. (1972), Str. 28, 30.

(١٣) G. M. Nalbandiyan., armyanski Lichnye Imena Skifo-Alano-Osetinskogo Proiskhojdeniya-Yugo-Osetinskiy Nauchno-Issledovatel'skii Institut an Gssp. Voprosi Iranskoy I Obshchey Filologii (1973), Str. 208.

N. Todorov, op. cit. p. 20.

(١٤)

وكان أحد زعماء مقاطعة إيليري في القرن الثامن قبل الميلاد في كردستان^(١٥)، دونه الآشوريون في لوحاتهم ويعني (الفارس). وقد ظل هذا الاسم بالصيغة نفسها عند الآلان، فترى (أسبابارا) في القرن الخامس الميلادي زعيماً آلامياً وقائداً رومانياً كاد أن يصبح صاحب الكلمة الأولى في العاصمة البيزنطية بعد موت مرقيان ٤٥٠ م - ٤٥٧ م^(١٦).

أما عند السكيث فاشتهرت أسماء من نمط أسباباروس Aspa - bar us - (وهو أسبابارا مع زيادة لاحقة يونانية - وس - على الاسم) وبوراسبوس Bor - asp - us وأسابخوس Aspa - xos وغيرها^(١٧). والواقع إن معاني هذه الأسماء في الكردية والآلامية - السكيثية هي الحصان الأبيض (أسباروخ) وحمل الخيل أي فارس (أسبابارا) وقد أخذ في الكردية الآن صيغة (سواره) التي تطورت عبر سباريه - سباريه - سواره واشتقت منها كلمة (سوبا) أي الجيش الذي تكون في الأصل من الفرسان. كما أن بوراسب بدون اللاحقة اليونانية يعني الآن في الكردية الحصان الرمادي Bor Asp أو Aspa Bor.

وهناك أسماء آلامية - سكيثية مثل بازوك وأمبازوك الأخوين الملكين الأوسيتيين اللذين حكما في قفقاسيا في القرنين الأول والثاني الميلاديين اشتقت من كلمة (بازو) التي تعني (العضد) بالكردية والآلامية، وقد ذكر هذا الاسم كذلك الأرمن^(١٨)، وتتداول الكلمة في الكردية وهي شائعة بصيغة (بازنك) أو (بازنه) بمعنى سوار

(١٥) وانظر الى ي. م. دياكونوف، تاريخ الميديين، (موسكو، ١٩٥٦ م).

(١٦) محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية (بيروت، ١٩٨١ م)، ص ٤٠.

(١٧) V. I. Abaev, Osetinskiy Yazik I Folklor. T.A.M-L, zd-vo an SSSR (1949), str. 157.

(١٨) G. Acharyan., Slovar Armyanskikh Lichnikh imen. T.I, str. 361.

وجمعها الأساور وهي بازو الأفغانية وبازك البلوجية وبازو الأوسيتية القديمة. وسمي أحد ملوك أربيك في أواخر العصر الوثني ومطلع العصر المسيحي باسم (مونو بازوس) وهو مونوباز شقيق وزوج الملكة هيلينا وهم من العوائل السكيثية التي حكمت منطقة أربيل الكردية في العصر الهليني.

وعلى هذا المنوال تتلاقى المفردات في اللغتين الآلانية - السكيثية والكردية فتكون مزده (البشرى) السكيثية بصيغة مزده Mijda الكردية وسادي (الفرح) بشكل شادي، لكن أخشين تتحول الى نخشين بمعنى السمرء وساوه الى سياه أي الأسود، ومن هذه الكلمة اشتقت التسمية العامة للسورمات (سرمات). كما شوهدت في المخطوطات التي ترجع الى القرن الخامس الميلادي اسم علم مذكر مشتق من هذه الكلمة بصيغة (سورماك)^(١٩). ولكن صيغتها المؤنثة شاعت بين الكرد بشكل سورما (سورماخانم) التي تعني أصلاً (الكحل) ولا تزال تستعمل بهذا المعنى في اللغة الكردية.

وهناك كلمات عديدة سكيثية تشبه مثيلاتها في الكردية منها: زوردو Zordo، بولون Bolon، ده رك Darg، أرويتين Oruytin، أونين Unin، خودين Khudin، زونين Zonin وأرازين Arazin، وتكون هذه الكلمات في الكردية بصيغة زراو (القلب)، به وراو (في لهجة الزازا)، دريز Drej (الطويل) وتكون ده رك Darg في لهجة الزازا، هناردن (الارسال)، بينين أو وينين (الرؤية)، كه وتن (الوقوع)، خنين (الابتسامة)، زانين أو زونين (المعرفة) ورازاندن (التجميل) وترجع أصول كل هذه المفردات الى لغة واحدة وهي الآرية القديمة.

أما من ناحية التراث الأدبي فيمكن الشعور بالارتباطات الكردية - الآلانية من خلال القصة الفولكلورية والأدبية الكردية ممي آلان Mam E Alan حيث كانت شائعة في بلاد الكرد منذ أزمنة قديمة

(١٩) المصدر نفسه، ص ٥٨٩.

وتروى شفاها ثم درست دراسة أدبية وليست تأريخية، وجاءت نتائجها ناقصة.

يقول روجيه ليسكو Roger Lescot أنه:

«في القرن السابع عشر عندما حاول أحمد خاني الشاعر الكردي أن يرفع من شأن لغة قومه الى مرتبة اللغة الأدبية الرفيعة نظم عملاً أدبياً من وحي كردي صرف واختار (ممي آلان) موضوعاً لقصيدته».

ولكنه يضيف:

«إننا نجد أمامنا قصيدتين متميزتين في روحهما وأسلوبهما وأحياناً في محتواهما المختلف تماماً وهما ممي آلان كما يرويها القصاصون و(مم وزين) لأحمد خاني».

لكن الدكتور عزالدين مصطفى رسول أشار الى أن الشاعر أحمد خاني (عاش فيما بين ١٦٥٠م - ١٧٠٦م، كان قد اقتبس حججه ومقدمة قصته الشعرية من هذه القصة الفولكلورية (أي ممي آلان) ويضيف إلى ذلك قوله ان:

«هناك صوراً أو روايات ممزوجة بين - مم وزين - خاني وقصة - ممي آلان» (٢٠).

وما تفسير حجة كون (مم) ابن ملك المغرب عند خاني غير تلك الحقيقة التي تؤكد على كون (مم) من أبناء الطبقة الأرستقراطية للآلان الغرباء الذين اعتقدت المجتمعات الكردية أنهم جاءوا من المغرب، أي

(٢٠) انظر: Roger Lescot., Mame Alan. Textes Kurdes, Deuxieme Partie.

(Beyrouth, 1942).

ود. عزالدين مصطفى رسول، أحمد خاني ١٦٥٠م - ١٧٠٧م شاعراً ومفكراً وفيلسوفاً ومتصوفاً (بغداد، ١٩٧٩م)، ص ٤٥، ٤٦.

وقد أعاد كل من المهندس صلاح سعدالله ود. بدرخان السندي أقوال جيروك نفيس نفسها الذي اقتبس بدوره أقوال روجر ليسكو. لكن من الواضح أن هذه القصة قديمة جداً ويرجع أصلها الى عهد السيد المسيح وأنها ظهرت بأشكال مختلفة واتخذت ألواناً متعددة بمرور الزمن، وإن أحمد خاني نفسه كان قد اقتبس موضوع قصة (مم وزين) من (ممي آلان).

من جهات الغرب وكانت هذه القصة متداولة على ألسن الكرد قبل أن يكتب خاني قصته (مم وزين) عام ١١٠٥ هجرية ويضعها في قالبها الشعري القصصي ويمنحها الخلود على حد قول الدكتور عزالدين مصطفى رسول^(٢١). ويظهر أن الناس ربطوا أصل بطلها بمناطق اللان في العصر الاسلامي، لذلك لجأ خاني في ملحمة الى ذكر نهري الكر وآراس اللذين يلتقيان في نقطة ليست بعيدة عن موطنه (بايزيد) ولا عن موطن اللان في شمال هذين النهرين. ولا غرابة في أن يصرح مم الآلاني انه لم ير بلاد جزيرة بوتان بالرغم من ادعائه انه من سليل سلاطين الكرد حينما يقول:

Bajare Ku Dibejy Bajare Cizyra Botana Mind
Umre Xuada Aw Na Diyab Chava Na Jy Bihy-
tiya B Guhana.

مدينة جزيرة بوتان لم أشهد لها ولم أسمع عنها طيلة عمري

J Min Ra Dibejin: «Chalang Mame Alana Xuwar-
zeye Shexy Gurayshyana».

يقولون عني مم آلان الشجاع أنا ابن أخت أمير القرشيين.

Amr Bage «Almas Bage Sultany Kurdana An Dar
Bajary Magribyana Bajary Magriby Bajaraky Ma-
zin» Pir Grana.

ابن أخ عمر بك وألماز بك سلاطين الكرد هنا مدينة المغرب
مدينة المغرب مدينة عظيمة حافلة.

(٢١) يعتقد أن أصل الشاعر أحمد خاني من منطقة الهيكاري، وهو من قبيلة خانيان قدم الى مدينة بايزيد عام ١٠٠٠هـ/١٥٩١ - ١٥٩٢ م وسكن فيها. انظر: معروف خزندار، مخطوطات فريدة ومطبوعات نادرة، الجزء الأول، (بغداد، ١٩٧٨ م)، ص ٧٣. ويقول خاني في فصل الختام من ملحمة (مم وزين) بصراحة انه قد ولد في العام ١٠٦١ الهجري (أحمد خاني، مم وزين (موسكو، ١٩٦٢ م)، ص ١٩٧، الهامش رقم ١) إلا أن جميع المصادر تكاد تؤكد ولادته في بايزيد ويبدو أن ذلك قد جاء اضافة على التواتر، من واقع أن خاني قد دفن في بايزيد الشرقية وأن ضريحه (لا يزال مزاراً للناس) فيها، غير أن واحداً من أحدث المصادر ينسب الى قرية (خان) قرب بايزيد. انظر باللغة التركية:

أحمد خاني، مم وزين، ترجمة م. أ. بوز أرسلان (استنبول، ١٩٦٨ م)، ص ١٤.

وفي نسخة أوسكارمان نجد أن مم آلاني هو أمير اليمن، لكن الشاعر أحمد الخاني يقول في ملحمة (مم وزين) ان مم هو من إحدى العوائل النبيلة في منطقة بوتان الكردية، غير أن هذا يشكل خرقاً كبيراً للأحاديث الشفوية المنقولة الأكثر دقة والأكثر انتشاراً حسب تعبير روجر ليسكو Roger Lescot حيث يقول متشائماً:

«انه يجد لزماً أن يعترف ان كل الأحداث لا تسمح بتكوين فرضية حول أصل بطل قصة مم آلاني»^(٢٢).

ومع انه لجأ الى مقارنة هذه القصة مع روايات أخرى واعتمد في الأخير على نص شاري دي ميتيلين Chares de Mytilene الذي يبدأ القصة بوجود أخوين هما هيسناسيس وزاربادريس، حكم أحدهما ميديا (وتشمل بالطبع كردستان وأذربيجان حالياً... ج.ر) وحكم الثاني الاقليم الواقع شمال بحر قزوين وحتى نهر تانايس (أي نهر الدون الذي هو مركز بلاد اللان)^(٢٣) لكنه لم يستطع تفسير تلك العلاقة التاريخية بين الكرد واللان (راجع تفصيل القصة في الهامش). فيقول ان القصتين مبنيتان على الموضوع نفسه ولو ان الحبكة فيهما تختلف وان الخاتمة فيهما مختلفة أيضاً. ويمكن ايجاد

(٢٢) انظر كل من:

مه مي تالان، جمع وتقديم جيروك نفيس، كتبها بالحروف العربية كل من صالح علي كوللي وأنور قادر محمد (بغداد: المجمع العلمي الكردي، ١٩٧٧)، ص ٥٠. كذلك انظر ترجمة الدكتور سعدي البرزنجي لمقدمة القصة التي كتبها ليسكو في الجزء الثاني لسلسلة نصوص كردية في بيروت عام ١٩٤٢: روجيه ليسكو، مه مي آلان Mame Alan. ترجم مقدمته د. سعدي اسماعيل البرزنجي، مجلة المجمع العلمي العراقي، هيئة اللغة الكردية (بغداد، ١٩٨٩م)، ص ٣٦٧ - ٣٨٣. وانظر أيضاً الى ترجمة النص الكامل للقصة بعنوان: الأسطورة الكردية المغناة مم آلاني، جمع روجر ليسكو، ترجمها عن الكردية، د. بدرخان السندي (بغداد، ١٩٨٥)، ص ١٦.

(٢٣) يقول إدوارد كيون بأن السهول الواقعة بين نهري الفولغا وتانايس (الدون) كانت مليئة بخيم ومساكن قبائل الآلان. حول تفاصيل هذا الموضوع انظر: إدوارد كيون، التحلل وسقوط الامبراطورية الرومانية، المجلد الأول (لندن، ١٩٥٢)، ص ٤١٧ باللغة الانكليزية.

شبه بين زاريادريس ومم دون عناء. فإذا كان الأول ابن كل من أفروديت وأدونيس فإن ولادة الثاني مقترنة أيضاً بمعجزة، وبوز Boz حصان مم حيوان خرافي خارج من البحار. وبين أوداتيس وزين، وبين هومارتيس وميرأزين، بين سائق العربى وبكلى. فقط الأشخاص الثانويون كملك الجن وبكو Beko وجلالي فقدوا في الرواية اليونانية المختصرة جداً في الحقيقة.

وفي الواقع ان أسماء الشخصيات في قصة الكاتب اليوناني شاري الميثليني جاءت في صيغ إيرانية وقد ربطها المؤرخ الدانماركي آرثر كريستنسن بالروايات التي جاءت عند الفردوسي والثعالبي فصار هيستاسبس فيشتاسيا وزاريادريس زاريفاري وكلاهما ابن لوهراسب، وبذلك فأصل القصة يرجع الى شرق إيران حيث حكمت أسرة هؤلاء الأمراء لا الى ميديا في الغرب التي حددتها رواية المسافر اليوناني بشكل تحكيمي كموطن لأملاك تلك الأسرة. لكننا نخالف رأي روجيه ليسكو عندما يقول أن كريستنسن استنتج بحق أنه حصل تغيير في المكان نحو الغرب يشبه ذلك التغيير الذي جرى في زمن ما لمسرح أحداث وشخصيات القسم الأعظم من الأساطير الإيرانية، فلا يوجد، والحالة هذه، ما يستبعد الاعتقاد بأن هذا التطوير قد تحقق بعد تبني الكرد للأسطورة الشعبية المحبوبة دائماً بين الأعاجم الساكنين في آسيا، وبأن زاريادريس قد تحول شيئاً فشيئاً الى ملك المغرب.

وحقيقة الأمر هي أن الأسماء الواردة في القصة هي آلانية (والأحرى سكيثية) واللغة السكيثية هي إحدى اللغات الإيرانية الشمالية الغربية بمفهومها الواسع التاريخي. وعلى هذا الأساس فأصل القصة يرجع الى العالم السكيثي عندما كان هؤلاء لا يزالون بدواً يتحلون فيما بين شمال البحر الأسود في الغرب الى حدود الصين في الشرق. وبذلك لا ريب في أن تنتقل القصة من الغرب الى الشرق وبالعكس. أما انتقالها الى الكرد فكان عن طريق الاحتكاك المباشر للآلان مع هؤلاء في العصر الاسلامي. لذلك فقد استطاع ليسكو أن يستنتج بتحفظ شيئاً من هذا

القبيل عندما أشار الى أن الأراضي التي حددت على أنها أراضي زاريادريس، وهي الموانيء القزوينية (القوقاس) وتانايس (الدون)، كانت في الواقع تلك الأراضي التي سكنها اللانيون في عصر أسبق، والحال أن اسم هذه العشيرة (آلان) لدى الكتاب الشرقيين يشبه بشكل جلي ذلك الذي ورد في رواية ممي آلان التي ليست كردية بحتة في الأصل. ولا شك أنه افتراض خطير أن يحول ملك الكرد هذا ملكاً للآلانيين ولكنه افتراض مفر على كل حال. ونحن نتفق معه على أن الآلان قاموا في عهد الساسانيين بغزوات عديدة لجنوب قزوين متصلين هكذا بسكان جبال زاكروس ويحتفظ الفولكلور الأرمني بكريات هذه العلاقات في أسطورة حب أنداشيز وأميرة اللانيين، كما احتفظ الكرد بقصتهم (ممي آلان)، والفرق هو أن الأميرة عند الأرمن كانت آلانية، لكن الأمير عند الكرد أصبح آلانياً.

لقد أورد كل من الدكتورين عزالدين مصطفى رسول وبدرخان السندي والمهندس صلاح سعدالله وجيرونك نفيس آراء روجيه ليسكو نفسها على أنه لا يمكن تحديد زمن هذه القصة حيث يرجع أصلها، على حد قولهم، الى عهد السيد المسيح^(٢٤)، وهذا إخفاق في البحث التاريخي.

(٢٤) انظر: ممي آلان: ملحمة فولكلورية كردية، ترجمة الدكتور عزالدين مصطفى رسول (بغداد، ١٩٨٤)، ص ١٨. وانظر أيضاً المصادر السابقة: ومع ذلك، وكعادته في الكتابات التاريخية والأدبية واللغوية، فقد أكد المهندس صلاح سعدالله بأن معرفته حول الآلان لا تتعدى مجرد التخمين. انظر: ممي آلان، بقلم جيرونك نفيس، ترجمة المهندس صلاح سعدالله. (بغداد، ١٩٧١)، ص ١٣. وقد اعتمد هذا المترجم في ايجاد أصل هذه القصة على أقوال أوردها المؤرخ الدانماركي آرثر كرستسن ووقع في أخطاء مقصودة، وهذا ما يعرف عنه. فمثلاً حدد المواقع الجغرافية في القصة، فغير اسم نهر تانايس (الدون) الى نهر دجلة وهذا ما لم يورد في أقوال كرستسن التي مفادها هو:

أن كاتباً يونانياً اسمه شاريس ميثليني

Chares de Mitylene, Fragment in F. Jacoby. Die Fragmente Der Griechischen Historiker (Berlin, 1921). I. II B, p. 660.

قد وضع قصة مماثلة قبل الميلاد بخمسة قرون وبتقلها كرستسن كما يلي: «كان يوجد شقيقان اسم الكبير هيستاسبي واسم الصغير زاريادريس ويقال انهما كانا من=

إذا كان الفولكلور الأرمني قد حفظ ذكرى هذه العلاقات في أسطورة الحب بين أنداشيز (والأصح أرتاشين) وساتانيك أميرة الآلان كما ذكر، فإن المصادر التاريخية قد حفظت حقيقة تلك الأحداث. ففي العصر الهليني حاول أنطيوخوس الثالث بن سلوقس الثاني والملقب بالكبير إنشاء إمبراطورية جديدة على غرار إمبراطورية الاسكندر المقدوني يكون هو حاكمها. وهكذا حاول فتح جوف سوريا ولكن بطليموس الرابع ملك مصر، أفسد خطته وهزمه في معركة رفع عام ٢١٧ قبل الميلاد،

= أبناء أدونيس وأفروديت. وكان الأخ الكبير يسيطر على ميديا والمناطق التي أسفلها (تحتها)، بينما كان زريادريس يحكم الأقليم الواقع في أعالي ميناء قزوين إلى نهر تانايس، في حين كان الملك هومارتيس Homartes يحكم في مناطق ماراثيس Marathes فيما وراء ذلك النهر وكانت له ابنة تدعى أوداتيس Odates.

يروى أن أوداتيس رأت زريادريس في حلمها وأحبته، وحلم زريادريس بأوداتيس وعشقها في حلمه، ووقع الاثنان في حب عميق وبقي مخلصين لحلمهما. كانت أوداتيس أجمل نساء آسيا وكان زريادريس مشهوراً بوسامته. بعث زريادريس رسالة إلى الملك هومارتيس والد الفتاة طالباً يدها، إلا أن الملك لم يوافق ورفض الطلب، فلم يكن له ورث للعرش وأراد أن يزوج ابنته من أحد أفراد أقاربه. وذات يوم، دعا هومارتيس أقرباءه من أمراء مملكته وأصدقائه وأقربائه وزعماء البلاد إلى اجتماع كبير بقصد تزويجها ولكن دون أن يفصح عن الشخص الذي اختاره زوجاً لابنته، وبعد انتهاء الضيوف من الأكل والشرب نادى الملك ابنته وقال لها بحضور الضيوف: ابنتي أوداتيس، نحن نحتفل بزواجك الليلة فانظري إلى الضيوف جيداً فتمعني في جميع الحاضرين، ثم خذي كأساً ذهبياً واملئي شراباً وناوليهما إلى الشخص الذي تختارينه زوجاً لك. تأملت أوداتيس في جميع الحاضرين، ثم انسحبت غارقة في البكاء. كانت تتحرق شوقاً لرؤية زريادريس وكانت قد أعلمته بأن زواجها قد اقترب، لذلك عسكر زريادريس في شاطئ تانايس. وفي الليل غادر مخيمه خلصة برفقة حوذيته فقط فوجه بسرعة نحو حبيته متكرراً، حيث رأى أوداتيس واقفة أمام الضيوف تملأ الكأس ببطء وتبكي فاقرب منها وهمس لها: أوداتيس، جميلتي ها أنا قد جئت طالباً يدك، أنا زريادريس. وبرؤية هذا الغريب البهي الطلعة الذي فيه ملامح الرجل الذي رأيته في حلمها طغت على الفتاة موجة من الفرح ثم ابتسمت وقدمت له كأس الشراب بسرور عظيم، فآخذ زريادريس الكأس ويرشف من شرابها ثم يمسك بلراع الفتاة ويخرجها من القصر ويضعها في عربته وينطلق. والضيوف والخدم الذين كانوا على علم بالحب بين هذين العاشقين تظاهروا بعدم المعرفة، وقد أجابوا على استجواب والد الفتاة بالتفي عن وجهة هروب الحبيين انظر:

A. Christensen, Les Gestes des Bols dans les Traditions de l'Iran Antique (Paris, 1936).

فيمم وجهه شطر الشرق والشمال، وقام بحملة عسكرية واسعة احتوت السنوات ٢١٢ - ٢٠٦ قبل الميلاد أعاد خلالها فتح أرمينيا وألحقها من جديد بالدولة السلوقية بعد أن أجرى مصاهرة مع ملكها أكسر كسيس Xerxes (خسرو) الذي تزوج بأخت أنطيوخوس الثالث نفسه وهو ينتمي الى الأسرة اليروانتية. وقد وصل حكم هذه الأسرة الى نهايته إثر مقتل ملكها الأخير يروانت الرابع، فإن أنطيوخوس نصب أرداشيس الأول حاكماً على أرمينيا الكبرى كخليفة للملك القليل. مناطق شرقي نهر الفرات ومنها مدن أرضروم وموش ووان واربان (يريفان) - كما عين زاريادريس حاكماً على مملكة سوفيني - المناطق التي تشمل مدن سيواس وأرزنجان وملاطية - ويشمل قسم كبير من هذه المناطق الآن بلاد الكرد. وعندما هزم أنطيوخوس الثالث في معركة ترموبيل ثم ماجنيسيا عام ١٩٠ (أو ١٨٩ قبل الميلاد)، أعلن أرداشيس الأول استقلال بلاده ونصب نفسه ملكاً عليها، وهو ما فعله زاريادريس أيضاً، حيث اعترفت روما بهذين الإعلانيين. ورغم أن محاولة الملك أرداشيس (أرتاشين) الأول (١٨٩ - ١٦٠ ق.م) محاصرة المناطق الكردية التي اشتهرت في التاريخ بأرمينيا الصغرى وضمها الى أملاكه، قد بدت غير موفقة، إلا أنه نجح من جهة أخرى، في جعل دولته تغطي كافة المرتفعات الأرمنية - الكردية التي تمتد من الفرات غرباً الى بحر قزوين شرقاً، ومن القفقاس شمالاً، وحتى جنوب طوروس جنوباً بالاضافة الى قسم من بلاد الكرج (جيورجيا). وقد أجرى أرداشيس (أرتاشين) تقسيمات إدارية، داخل دولته، ساعدت على تنظيمها وإعمارها. ثم ما عثم أن اهتم بالثقافة الهلينية فعمد الى نشرها وتعميمها بين مختلف الأوساط، بالاضافة الى نشاطه في المجال الاقتصادي حيث بنى الجسور والطرق، واعتنى بالزراعة وتنشيطها. كما صد غزوات قبائل الآلان التي هاجمت بلاده، وانتهى الأمر بينه وبينهم الى زواجه من ابنة ملكهم^(٢٥).

(٢٥) راجع تفاصيل هذا الموضوع في كتاب: الأرمن في التاريخ، لمؤلفه مروان المدور (بيروت، ١٩٨٢).

وهكذا فالواقع أن الأحداث المرتبطة بين قصة مم الآلان وقصة ميتيلني وشخصياتهما قد حدثت في البلاد الأرمنية والكردية، والمصاهرة حصلت فعلاً بين أرتاشيز والأميرة الآلانية، وإذا لم يكن التأريخ قد حفظ لنا خبراً عن زواج زاريادريس بأميرة آلانية فإن هذه القضية لم تكن مستحيلة في الحدوث آنئذ، إلا أن الأجيال اللاحقة وضعت فصول تلك الأحداث التأريخية ضمن قالب تراثي أسطوري تداولتها شعوب المنطقة فيما بعد على مر العصور.

ويتبين مما ذكر أن أصل القصة يرجع الى العصر الهليني، وبالتحديد القرن الثاني قبل الميلاد وليس كما ذهب اليه كل من د. عزالدين مصطفى رسول ود. بدرخان السندي والمهندس صلاح سعدالله وجيرونك نفيس (نورالدين زازا) على أنه لا يمكن تحديد زمن القصة، الكلام المقتبس من ليسكو نفسه. وقد أشار د. عزالدين مصطفى رسول الى موضوع القصة على أنه أقدم من زمن الشاعر أحمد الجزيري الذي عاش فيما بين ١٤٠٧م - ١٤٨١م الذي ذكر في أشعاره اسمي مم وزين قائلاً:

Muyaky Ay J Ta Na Dam B Du Sad Zyn u
Shirynrn Ch Dibit Gar Tu Hiseb Kay Ma B Far-
had u Mame.

أنا لن أبذل شعرة منك بمائتي زين وشيرين
ما الذي يحدث إن اعتبرني فرهاداً أم مم^(٢٦).
أو

شعرة منك توازي مائتي زين وشيرين
مثل فرهاد أو مم ما الضير لو حسبتني^(٢٧).

(٢٦) البيت الأول من العقد الجوهري في شرح ديوان الشيخ الجزيري، الجزء الثاني (القامشلي، ١٩٥٩م) ص ٦٨٦، الهامش رقم ٥.

ولقد ترجم الدكتور عزالدين مصطفى رسول في كتابه: ممى آلان، ملحمة فولكلورية كردية، ص ١٩ هذا البيت الى العربية كالتالي:

لن أبذل شعرة منك بمائتي زين وشيرين
فما لو حسبتني مثل فرهاد أو مم

(٢٧) ترجمة المهندس صلاح سعدالله، ممى آلان، ص ٨.

والدكتور عز الدين يعيد في هذا المجال آراء ليسكو التي استندت على أقوال كريستنسن مفادها أن قصة شبيهة بمم الآلان قد انتشرت بين الأمم الآرية قبل المسيح بألف عام، وهذا ما نراه في مؤلفات نورالدين زازا وبدرخان السندي وصلاح سعدالله ولم يضيفوا رأياً جديداً على ما قدمه ليسكو من قبلهم.

أما الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي فقد استطاع عام ١٩٥٧م وكذلك في ١٩٥٨م أن يترجم قصائد مم وزين نثراً إلى العربية في يوم كانت النزعة الأدبية تفيض في كيانها، حسب تعبيره، وقد أعاد طبع هذه الترجمة عام ١٩٧٧م وأبدع في عمله^(٢٨).

أصبحت هذه القصة الآلانية تشغل جزءاً من الفولكلور الكردي بعد نزوح قسم من الشعب الآلاني واستيطانه في كردستان في أواخر العصر الساساني وبداية العصر الإسلامي، ولكن القرابة التي تظهر بين فحوى هذه القصة وقصة روميو وجوليت في الأدب الانكليزي تأتي لتؤكد أصالة القصة عند قبائل الآلان ثم انتقالها عن طريقهم إلى الجزر البريطانية بعد أن ساقتهم الامبراطورية الرومانية إلى هناك في بداية العصر المسيحي، وانتشرت فيها كقصة فولكلورية إلى أن صاغها شكسبير (١٥٨٣م - ١٦١٦م) في قالب شعري قصصي تماماً كما فعل أحمد خاني (١٦٥٠م - ١٧٠٦م) ذلك في المرحلة نفسها تقريباً.

وإذا جرت حادثة من هذا القبيل في المجتمع الكردي فلا بد أن البطل كان شاباً آلانياً اسمه (مم) الشائع في البلاد القفقاسية وشمال إيران وانتشر بين الكرد والديلم، إما بالصيغة نفسها أو بصيغة مملان المركبة (مم + لان). ويظهر أن أجداد بطل قصة مم الآلان قد نزحوا من قفقاسيا إلى الديار الكردية وخاصة في الوقت الذي كان اللان موالين لبيزنطة سياسياً وللكنيسة الجيورجية مذهباً. وكما كانت قارة أوروبا،

(٢٨) أحمد الخاني، مم وزين: قصة حب بنت في الأرض وأبنت في السماء، نقلها إلى العربية وأقام بنيانها القصصي الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (دمشق، ١٩٧٧).

في أوائل العصر المسيحي، مسرحاً لنشاط القبائل البربرية ومنها القبائل اللاتية فإن الجبهة القفقاسية كانت لا تقل في هذه الآونة نشاطاً بهجرة هؤلاء نحو الجنوب. ولا يخفى على أحد من أن مدينة بايزيد، موطن الشاعر الكردي أحمد خاني صاحب القصة الشعرية (مم وزين) كانت ولا تزال تقع على التخوم القفقاسية.

وإذا أردنا أن نكون أكثر دقة، فيجب أن نقول ان الاسم (مملان) هو غير متطور من اسم (محمد) ولا هو تحوير له، وإنما هو من الأسماء المحلية الشائعة في العصر الساساني مثل بيرم (بير + مم). وقد اشتهر أحد أمراء الدولة الروادية الكردية في تبريز (أذربيجان) خلال القرن الحادي عشر الميلادي باسم مملان بن وهسوزان ٤٥٤هـ/١٠٦٢م. وما ذهب إليه الأستاذ أحمد كسروي تبريزي في ربط الاسم بمحمد وتبناه كل من مينورسكي والمؤرخ الكردي حسين حزني الموكرياني نتيجة لا يستند الى الواقع^(٢٩) لأن (محو) أو (حمو) أو (ممو) هي

(٢٩) راجع هذه الآراء في:

أحمد كسروي تبريزي، شهریاران کمنام (تهران، ١٩٢٨ - ١٩٣٠)، الجزء الثالث، ص ٩. وانظر كذلك الجزء الثاني من هذا الكتاب الصفحات ٤٤، ٤٥، باللغة الفارسية؛

ف. مينورسكي، دراسات حول تأريخ قفقاسيا (لندن، ١٩٥٣)، ص ١٦٩ بالانكليزية،

وحسين حزني موكرياني، كردستان موکریان یا آتروپاتین (رواندز، ١٩٣٨)، ص ٢٤٣ باللغة الكردية.

لقد أعاد الدكتور حسام الدين علي غالب النقشبندی في رسالته المقدمة الى كلية الآداب بجامعة بغداد للحصول على شهادة الدكتوراه والتي اطلعت عليها في حينه عندما كنت مدرساً للتأريخ القديم بقسم التأريخ في الكلية ذاتها الآراء نفسها الواردة في المصادر السابقة، وبالرغم من أنه استقى معلومات جيدة من الأجزاء الثلاثة لكتاب: شهریاران کمنام، لكنه لم يعط لصاحبه حقه حينما يشير الى أن كسروي تبريزي لم يفصل هذا التأريخ (ويقصد تأريخ الروادية والأحمديلية في أذربيجان) وذلك لقلة المصادر التي اعتمد عليها أولاً، حسب تعبيره، بعكس تقييم مينورسكي لهذا المصدر الذي أورده في بداية كتابه: دراسات حول تأريخ قفقاسيا. والواقع تعتبر أعمال العالم الجليل المرحوم كسروي تبريزي ولحد الآن من أبرز الدراسات التاريخية العلمية الجديدة في إيران وأبدعها.

الصيغ الكردية لمحمد، وإذا كان (محمد) أو (مهمت) هو الصيغة التركية للاسم فظهور (مملان) في المنطقة يسبق هجرة الترك إليها. قد استند السيد حسام علي غالب النقشبندي في رسالته المقدمة الى مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد لنيل شهادة الدكتوراه والموسومة بـ (أذربيجان ٤٢٠ - ٦٥٤ هـ / ١٠٢٩ - ١٢٥٦ م)^(٣٠)، على أقوال حسين حزني دون ذكر مرجعه فترجم العبارة الكردية الى العربية كما يلي:

«ويسمى محمد في أذربيجان (قمي) وأحياناً (ممل) على وزن (عمل) فالألف والنون في آخر الاسم (مملان) مزاده وكان شائعاً مثل هذا الاسم بين الإيرانيين آنذاك، ومن جملة ذلك: فيروزان، روزبهان، مهران، سهلان، فضلان... والأصل هي: فيروز، روزبه، مهر... إلخ ومن المحتمل أن جستان ووهسودان أيضاً يعتبران في عداد ذلك. وهكذا فمملان (بفتح الميم) محرف عن (محمد)....».

وهذا ما لا يجب أن يؤخذ به لأن محمداً لا يتحول الى (قمي) ولا الى (ممل) في التركية بتاتاً ولا (ال) مزاد لـ (مملان). ولكن الأستاذ أحمد كسروي تبريزي كان قد ذكر هذه العبارة بالفارسية في الجزء الثاني من كتابه شهرپاران كمنام^(٣١)، وكذلك في (الجزء الثالث)^(٣٢)، الخاص بتاريخ السلالة الشدادية الكردية التي حكمت في القفقاس قائلاً:

«ان محمد كان والد كل من مرزيان وفضلون سمي بـ (ممي Mame) لأن في أذربيجان يقال لمحمد (ممي)، وان هذا الاسم دوّن في المدونات الأرمنية بصيغة (مامي) وقد اختلط معنى هذا الاسم عند المؤرخ الأرمني وارتان Vartan (عاش في القرن الرابع عشر... ج.ر) وغيره فقصدوا به والدته كل من مرزيان وفضلون، لأن (مام) في الفارسية تعني الأم».

(٣٠) دراسة في أحوالها السياسية والحضارية، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٣٩.

(٣١) الحكام المنسيون، ص ٤٤، ٤٥.

(٣٢) المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص ٩.

وفي الكردية تعني العم. ولكن كل هذا لا ينفي كون (مملان) اسم علم مركب من مم وآلان في اللغة الكردية. وهذه الحقيقة تؤكد كون قصة (ممى آلان) ترجع أصولها الى عصر ما قبل الاسلام وقبل انتشار اسم محمد في كردستان وقفقاسيا. وهذا ما تؤكد أبيات هذه القصة التي تتعلق التسمية بالبطل ودوره فيها حيث يقول الراوي:

Ikhtyarak Hat, Go Hun Ch J Vy Kurke Dikhwa-
zin? Nave Wy Danen Mame Alan.

جاء الشيخ وقال ماذا تطلبون من هذا الطفل، لنسميّه ممى آلان.

وإذا كانت الأسماء العربية قد دخلت الى الكردية من الجنوب في العصر الاسلامي فان أسماء قفقاسية قد دخلتها من الشمال سواء قبل الاسلام أو بعد ظهوره، وأبقت علاقات الجوار بين الكرد وأقوام أخرى تسميات قومية كأسماء علم عند هؤلاء مثل (عرب شمو) و(جر كس بكاييف) وججان وكورج وغيرها، وهذه الظاهرة نشاهدها في العربية كأسماء (كريدي وتركبي وأرناؤطي) وغيرها وتعبّر عن دور كل هؤلاء، وفي وقت من الأوقات في التأثير على الأحداث التي مرت بالشعب الكردي في تأريخه الطويل.

ترسخ الأحداث التاريخية في عقول ووجدان أبناء الشعوب المختلفة والأجيال المتوالية لتظهر فيما بعد كجانب أو ركن من أركان القومية، ويمكن تلمسها في أدبهم أو لغتهم أو فنونهم الشعبية. وبناء على ما جاء فليس من الغريب أن يستشعر الكرد بصورة أو أخرى نوعاً من العلاقات التاريخية مع اللان. وقد كان المؤرخ الكردي الأمير شرف خان البدليسي قد أشار في حينه، ولأول مرة، في كتابه (الشرفنامه) الذي ألفه في أواخر عام ١٠٠٥هـ/١٥٩٧م الى هذا الموضوع، وصنف حكام وأمراء الكرد في جميع أنحاء كردستان وخصص فصلاً لذكر أمراء إيرون، وهي تسمية احدى لهجات اللغة اللانية (الأوسيتية) قائلاً:

«شعبة دويم در ذكر إيرون بالفعل مير ملك بن مير حسن از
أولاد مير شمس الدين بن مير حسن است كه قلعة إيرون را
يدرش درهنكام قسمت ولایت موروئي بمير شمس الدين

أرزاني داشته بود بطريق زعامت منصرفت وأو جوانيست در
ما بين كردستان بسمت شجاعت وسخاوت
معروف... (٣٣).

وقد نقل الدكتور فريج في أواخر العهد العثماني هذا النص ودونه في
كتابه (كردلر) باللغة التركية خلال حديثه عن أمراء شروان ويقول:
«مير حسنك أوغللرندن ديكر بريسي أولان مير شمس الدين
الدينك حصنه (إيرون Iroun) ناحية سي أصابت ايتمش
ايدي...»

ويضيف: ان ما يتعلق بهذه الناحية من أخبار ليس له أية معلومات
حولها (٣٤)، وفي الواقع فإن فصول هذا الكتاب ما هي إلا ترجمة
تركية لكتاب الشرفنامه مع مقدمة مختصرة حول منشأ الكرد ولغتهم
وآدابهم وتحليل تأريخي لأصل كلمة الكرد، وقد ترجم الأستاذ الملا
جميل بندي روزياني ذلك النص من الشرفنامه الى العربية كما يلي:

«الشعبة الثانية في ذكر ايرون

الأمير ملك بن الأمير حسن

ان الأمير ملك هذا من سلالة الأمير شمس الدين بن الأمير
حسن الذي منحه أبوه قلعة إيرون حين تقسيم ولايته الوراثية
بين أولاده، ويقوم الآن بتصرف هذه القلعة كزعامة، وهو
شاب جميل، اشتهر في جميع أنحاء كردستان بالشجاعة
والكرم الى جانب الزهد والتقوى وكثرة العبارة» (٣٥).

ويُحتمل أن قلعة إيرون التي قصدها الأمير شرف خان البديلي هي

(٣٣) راجع كتاب: الشرفنامه، تحقيق وليامينوف زرنوف:

Scheref - Nameh, ou Histoire des Kourdes par Scheref, Prince de Bidlis,
Publiée Pour la Première fois traduite et annotée par V. Veliaminof -
Zernof. Tom I, (st. Petersburg, 1860). Commissionnaires de l'Académie
Impériale des Sciences A St. Petersburg a Riga a Leipzig.

(٣٤) فريج كردلر، تأريخي واجتماعي لتدقيقات (استانبول، ١٣٣٤)، ص ٢٨، من
منشورات أكاديمية الشرق في برلين.

(٣٥) راجع كتاب: الشرفنامه، ترجمة وتعليق ملا جميل بندي روزياني (بغداد،
١٣٧٢هـ/١٩٥٣م)، ص ٢٤٣ بالعربية.

(ايرون Iroon) نفسها التي تتصل بـ(سي كوره) و(جوقور) التي ذكرها ريج Rich في رحلته عام ١٨٢٠م^(٣٦).

وأهم ظاهرة تاريخية ملفتة للنظر حول علاقة اللان بالكرد هي أن أولى الولايات لإقليم كردستان في التاريخ الذي نظم إدارياً زمن السلطان السلجوقي سنجر في القرن الثاني عشر الميلادي (توفي في سنة ١١٥٧م) كما دونها حمدالله المستوفي القزويني في كتابه (نزهة القلوب) كانت ولاية آلاني وبالشكل التالي:

«آلاني، أليشتر، بهار [قلعة بهار]، خفتيان، دربند تاج خاتون، دربند زنكي (زنكه نه؟)، دزبيل، دينور، سلطان آباد جمجمال، شهرزور، كرمشاه، كرندهوخوشان، كنكور [قصر اللصوص]، مايدشت، هرسين، وسطام»^(٣٧).

■ ب - اللقاء على المستوى القبلي في عصر ما قبل الميلاد

ومع ما ذكرنا من حقائق فإن العلاقة اللانية - الكردية لم تبدأ في العصر الاسلامي، وإنما ترجع جذور هذه العلاقة الى بداية الألف الأول قبل الميلاد عندما بدأ أسلاف اللان وطلائعهم يلتقون باسم السكيث والكيمايين بالميديين في البلاد الكردية ويضعون مع السكان القدماء لهذه البلاد البوادر القومية للشعب الكردي. والواقع إن هذه المسألة تتوزع إلى مرحلتين متميزتين، ولكل مرحلة ظروفها الخاصة. فالمرحلة الأولى تسبق حالة استقرار القبائل المهاجرة الى غرب آسيا وتأثيرها على السكان المحليين والتحويلات التي تشهدها المنطقة لغوياً ودينياً. ثم المرحلة الثانية التي تتعلق بظهور القوميات واستقرارها في بلادها المحدودة أثنوغرافياً وديموغرافياً والصراعات التي تظهر بين

(٣٦) رحلة ريج Rich، الجزء الأول، (بغداد، ١٩٥١)، ص ٣١٠ الترجمة العربية.

(٣٧) وقد أنهى القزويني كتابه في ٨٧٤/١٣٤٠م. راجع القزويني (حمدالله مستوفي) نزهة القلوب، المقالة الثالثة. تحقيق كاي ليسترايغ (طبعة ليدن، ١٩١٣م)، ص ١٠٨ وما بعدها. بالفارسية.

هذه القوميات على أساس الانتماء الديني الذي سيتوضح في الفصل التالي من هذا الكتاب.

لقد اتخذت مجموعة من الاتحادات القبلية ذات اللهجات المتقاربة التي عرفت بالقبائل الميديّة (ماد) من البلاد الواقعة حوالى بحر قزوين ومن جهة الجنوب والجنوب الغربي ثم غرب وشمال غربي إيران الحالية وطناً لها ومنتجعا ومراعى لمواشيها في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد. وعاش هؤلاء، فيما بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد في أعالي نهر (فيزل أوزن) لحد دشت كافر. وقد قسم الآشوريون هؤلاء الى صنفين، منهم الميديون الأقوياء (ماداي دانتوتي)، ومنهم الميديون البعيدون (ماداي روقوتي)، وجاءت أخبارهم لأول مرة في السجلات الآشورية أيام شلما نصر الثالث^(٣٨).

توجهت القبائل الميديّة من المناطق المذكورة نحو الجهات الشرقية لآسيا الصغرى من خلال مرورها في جبال زاكروس منذ النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، واشتدت حدة ذلك التوجه أثناء المعارك النهائية مع دولة آشور وسقوطها في نهاية القرن السابع قبل الميلاد بعد أن كانت دولة أورارتو سبقت آشور في السقوط ببعض الوقت. وزالت هاتان الدولتان لا بسبب هجرات الميديين والسكيث والكيمنيين وقيام الحروب بين هؤلاء جميعاً فحسب، وإنما كان الصراع الطويل الموجود بين الدولتين لأجل السيطرة على البلاد الكردية قبل وصول تلك القبائل هو من الأسباب الرئيسية لزوال الدولتين بيد هؤلاء.

سجل ملوك آشور منذ القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد أخباراً عن عدد من الملوك المتحالفين لبلاد نايرى (أورارتو) في جنوب

(٣٨) انظر حول هذا الموضوع الى المصادر التالية:

T. Cuyler. Young, Jr., «The Iranian Migration in to the Zagros» Iran. Journal of British Inst. of Persian Studies. vol. v, (1967), pp. 11-34;
I. M. Diyakonov, Istoriya Midii. M. (1956), p. 225;
O. Vilchevsky, Kurdi, M-L. (1961). P. 49, and
Horodotus., The History. I, 103, 104, 106.

بحيرة وان الحالية، وغدا هذا التحالف يعرف فيما بعد بدولة ملوك (بيايينا) واشتهرت عند الآشوريين بمملكة (أوروئاثري = أورارتو) وكانت حدودها تمتد الى جبال قفقاسيا شمالاً - جبال أرارات ووديان نهر أراكس (آراس) وبحيرة سيفان - كما امتدت غرباً نحو ميليتين (ملاطية حالياً). وفي الجنوب وصل نفوذ هذه الدولة الى (موساسير) مركز عبادة الههم الكبير (خالد) شمال شرق أربيل الحالية، قرب رواندز. ثم تداخل النفوذ الأورارتي في مصالح دولة (ماننا) المحلية التي ظهرت في جنوب بحيرة أورميا بکردستان/إيران. وفي نهاية القرن الثامن قبل الميلاد عصى حكام الأقاليم الأورارتية ضد الملك روسا الأول الأورارتي ٧٣٠ - ٧١٢ ق.م مما أدى الى ضعف سلطته، وفي هذا الوقت كانت آشور قد استرجعت قواها، وقام سرجون الثاني الآشوري بحملة قوية الى هذه البلاد عام ٧١٤ ق.م حيث قضى على الجيش الأورارتي قضاءً مبرماً، لكن الملكية الأورارتية ظلت الى زمن روسا الرابع ٩٥٩٠ - ٩٥٨٥ ق.م، لذلك فقد ورد في العهد القديم من الكتاب المقدس^(٣٩) خبر عن بابل يقول:

«قدسوا عليها الأمم نادوا عليها ممالك أرارات ومنى وأشكناز..
وقدسوا عليها الشعوب ملوك مادي».

وعني ممالك الأورارتيين والمانيين والسكيث والميديين.

وبعد زوال الأورارتيين والآشوريين أصبحت لهجات القبائل المادية منتشرة في أراضي الدولتين عن طريق الهيمنة السياسية والتسلط الديني مما فتح طريقاً للهجرة المباشرة لهذه القبائل واستيطانها في أذربيجان وكردستان وذلك على حساب السكان المحليين القدماء بالقضاء على لغاتهم تدريجياً وانصهار هؤلاء في المجتمع الجديد بتداخل مصالحهم الاقتصادية والسياسية في صفوف مصالح المهاجرين الجدد.

لقد صاحب توجه الميديين من الشرق الى جبال زاكروس وكردستان

(٣٩) الكتاب المقدس، الاصحاح ٥١.

هجرة السكيث والكيمايين إليها من الشمال والغرب وخاصة محور غربي قزوین وطريق باب الأبواب (الدربند) الذي يؤدي إلى أذربيجان وكردستان.

استطاع كل من الزعيمين السكيثيين (بارتاتوا) وابنه (ماديس) أن يحكما المناطق الواقعة جنوب بحيرة أورميا (موكریان) في كردستان/ إيران وتوسعت رقعة سلطتهما السياسية لحد نهر هاليس (قزل ایرمق حالياً) في أواسط آسيا الصغرى، وجعلا مدينة (سقز) الكردية في إيران عاصمة لهما^(٤٠). وقد أشار مينورسكي في تقريره المقدم إلى المؤتمر العالمي العشرين للاستشراق عام ١٩٣٨ م في بروكسل^(٤١) إلى:

«أن المصادر القديمة توضح ظهور الكيمايين والسكيث في بلاد الميدين والمائنا، وخاصة أثناء سقوط نينوى وآشور».

وأضاف على قوله موضوع الاصطلاح الآشوري العام (أومان ماندا) الذي قصدوا منه قبائل الكيمايين والسكيث^(٤٢). وقد دلت الآثار التي استخرجت في منطقة (كوبان) بقفقاسيا على تواجد السكيث هنا ومرورهم منها نحو المناطق الجنوبية.

■ حالة البلاد الكردية خلال هجرة الميدين والسكيث إليها

لو غَضَضْنَا النظر عن المستوى السياسي والعسكري والاقتصادي

(٤٠) انظر كل من: دائرة المعارف البريطانية الحديثة، ١٩٧٣، مادة سكيثيا، و

Horodotus, op. cit.

(٤١) V. Minorsky, «Les Origines des Kurdes». Travaux du XX Congrès des Orientalistes. (Bruxelles, 1938).

(٤٢) كان اصطلاح (أومان ماندا) يعني عند العراقيين القدماء مفهوم (ناس بعيدون أو غير معروفين) وقصدوا منهم البدو الشماليين من السكيث والكيمايين، قد ظل المفهوم نفسه يطلق على أحلافهم من اللان من قبل العراقيين بصيغة (العلان والفلتان). ومن جهة أخرى فقد ذكر هؤلاء في سفر التكوين (الاصحاح العاشر) من الكتاب المقدس: باسم جومر وأشكنار مثلما اشتهروا عند الآشوريين كـ(كيماي وشكوزاي).

الذي وصلت اليه الامبراطورية الآشورية خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، والدور الذي بدأت تلعبه القبائل الميمنية سياسياً وعسكرياً في القرون الأخيرة من حياة تلك الامبراطورية، بالإضافة الى الضغوط التي كانت تمارسها مملكة أورارتو على الآشوريين وغيرهم، فإن مملكة الرماننا اتخذت المكانة البارزة من بين جميع الممالك المحلية القديمة في بلاد الكرد من النواحي السياسية والحضارية، واقفة تصارع تلك الحالة غير الطبيعية بهجرة القبائل الرعوية الميمنية والسكيثية الى أراضيها. وفي أواخر القرن الثامن قبل الميلاد اتخذ قسم من بلاد زاموا القديمة (موطن اللولوبيين) الواقعة في منطقة السليمانية ولحد جنوب بحيرة أورميا تسمية (ماننا) سياسياً، ووقفت قبائل ماننية على رأس اتحادات قبلية قوية أخرى في تركيب اشتمل على عشائر السونديين والتيشوليين والداليين والكومورديين والميسيين، وكلهم سكان محليون ينتمون إما الى الكوتيين أو اللولوبيين القدماء.

كانت الزراعة في هذه البلاد متطورة اضافة الى تربية الماشية والخيول. وفي حملة الآشوريين على أورارتو عام ٧١٤ ق.م مؤن المانشيون جيش الآشوريين بالطحين والشراب. هذا بالإضافة الى تطور الحرف هناك الذي تشهد عليه مكتشفات سقز وزويوه بكردستان/إيران وهي نتاج صناع ماننيين محليين مهرة. وكانت الحضارة المادية في دولة ماننا بمستوى حضارة أورارتو. وكنوز زيويه التي ترجع الى القرنين ٩ - ٨ ق.م يقرب منها وأشكالها من فنون أورارتو وآشور، وتتشابه كذلك مع الكنوز السكيثية وخاصة القسم الذي يرجع زمنه الى القرن السادس قبل الميلاد والتي استخرجت منها في منطقة كوبانيا والبحر الأسود، ولا يزال بعض المتخصصين مهتمين بالتفتيش عن آثار دولة ماننا وأخصهم بالذكر الأخ م. يدرام المسؤول عن دائرة الثقافة والتراث بمدينة مهاباد الكردية في إيران وقد أسمعني بعض ملاحظاته المدونة والمنشورة بالفارسية عن اكتشافاته وآرائه الخاصة في شهر مايس من عام ١٩٩١ م.

لقد رفض فلجيفسكي في حينه أقوال دياكونوف كلياً التي تدعي بوجود مجتمع عبودي متطور في بلاد الماننا، لأن المعلومات والمصادر تؤكد على أن نظام هذا البلد، وخلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، كان بشكل يمكن وصفه بنظام قبلي، ولم يكن قد ظهر فيه النظام العبودي. ومن ذلك النظام القبلي تأسست الدولة الماننية، وكان يشبه النظام السائد في المملكة الحثية في الأناضول، ويمكن تعريفه بالأوليكركية الطبقة المبكرة، يحكم الملك مع أقربائه من الشيوخ المعروفين مع إمكانية إعطاء الحرية للسكان في نشاطهم ونضالهم مع الطبقة الحاكمة ضد الآشوريين^(٤٣).

ظهر اسم هذه المملكة في الكتابة المسمارية بصيغة (مانا، ماننا، موننا ومانناش) وفي العهد القديم من الكتاب المقدس بصيغة (مينني) واعتبرت إحدى الممالك القوية التي ظهرت في جنوب بحيرة أورميا. ويمكن اعتبار الدور الذي اضطلع به سكان هذه المملكة في تأريخ الشعب الكردي كدور الأورارتيين في تأريخ الشعب الأرمني. وكانت دولة الماننا تضم في البداية المقاطعات التي تشكل الآن حوض نهر (جغتو) وعاصمتها كانت مدينة إيزرتو (زيرتة) بکردستان/إيران.

ذكر الآشوريون بعض الأخبار عن هذه البلاد لأول مرة عام ٨٤٣ ق.م أثناء حملاتهم العسكرية نحوها. وفي خلال الحروب التي دارت بينهم وبين الأورارتيين، لأجل السيطرة على ممتلكات تلك البلاد، استطاعت المملكة الماننية المحافظة على شخصيتها الرسمية رغم محاولة الإمبراطوريتين التوسع على حسابها مراراً. وقد دخلت هذه المملكة الحرب مع آشور وأورارتو عدة مرات في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد ولم تهزم مع أية دولة منهما، وإن كانت أقل شهرة من الدول الكبرى في ذلك العصر، لكنها أصبحت فيما بعد عماد

(٤٣) ف. فلجيفسكي، المصدر نفسه، ص ٥٤، ٥٥ باللغة الروسية. وراجع أيضاً دائرة المعارف التاريخية السوفياتية، مادة ماننا. بالإضافة إلى هذين المرجعين، فقد استقيت أغلب المعلومات المتعلقة بتأريخ (الماننا) من كتابي: دياكونوف، تأريخ الميدين بالروسية وكريشمان (إيران؛ لندن، ١٩٥٤) بالانكليزية.

الامبراطورية الميديّة من الناحيتين الحضاريّة والاقتصاديّة في القرن السابع قبل الميلاد.

ان العلاقات الاقتصاديّة والبناء الاجتماعي في دولة الماننا، كانا لا يزالان قليين وفي طريقهما نحو التطور، والمجتمع المانني واجه أثناء هذا التطور وفي باكورة تنظيم نفسه سياسياً وحضارياً ضغوطاً قويّة من أربع جهات. آشور وأورارتو والميديون والسكيث، وكل الصراع كان في نقطة واحدة وهي المنطقة الكرديّة التي كانت دولة الماننا تتمركز فيها. ففي القرن التاسع قبل الميلاد مزق آشور ناصر بال ثلاثاً من ممالك زاموا الصغار، وهي دكارا التي كان يحكمها نور-أداد (في دربند بازيان) وبونايس التي كان يحكمها الملك موساسينا ولاربوسا التي حكمها الملك كيريتارا، وقد نهب جميع الأنعام فيها وفرض على سكانها الكثير من الضرائب كالأحصنة والمعادن من الذهب والفضة.

أما شالماناصار فقد أناط قيادة قواته بكل من نورتان ودايان آشور لمهاجمة المناطق الكرديّة ونهبها. فتوجه دايان آشور الى خوبوشكيا عن طريق سواحل نهر الزاب الكبير، وكانت هذه البلاد تقع جنوب بحيرة وان الحالية، وبعد أن عبر أراضي ماكدوبو-مالخيس اتجه نحو الجنوب الشرقي ودخل أراضي (أوثالكلي) ملك ماننا والتجأ هذا الى الجبال مع قبائله، ولكن الآشوريين نهبوا مواشي كثيرة كانت تعود للماننيين، وقد احتل المهاجمون مركز هذه البلاد الذي كان يسمى (ايذيرتو أو زيرتو) الحصن. ثم عبروا مملكة (خارون) التي كان يحكمها (شولوسونو) وكانت إحدى القواعد السياسيّة الماننيّة، وقد استطاع ملكها أن يتفق مع المحتلين بدفع الجزية لهم سنوياً وكانت عبارة عن أعداد كبيرة من الأحصنة الجيدة لجر العربات. وأخيراً دخلت القوات الآشوريّة بلاد (شوردورا) على السواحل العليا لنهر الزاب الصغير (مناطق سردشت وقلعة دزه) وكان يحكمها (أرتاسه رى) الذي دفع لهم ضرائب باهظة وهدايا ثمينة.

لقد كرر دايان آشور حملاته على هذه البلاد وجعل الآشوريون هذه المناطق على مر السنين بحيرة من دماء البشر. وبسبب معارك ٨٣٤ -

٨٢٧ ق.م غدت الأراضي والممتلكات الواقعة جنوب بحيرة أورميا تحت هيمنة ملوك محليين أقوياء مثل أوبو وكيلزان وأوثالكي وشولوسونو وأرتاسه رى وغيرهم. وقد تجمعت ممالك ينك ديارا وينك ديمنا ونينى وأريدو مع الممالك الأخرى في تجمع سياسي اشتهر بمملكة ماننا التي ظلت تصارع الأطماع الآشورية في بلادها لأكثر من قرن.

ومن جهة أخرى، تحالف حكام أقاليم زيكيورتو (وسكانها من القبائل الميدية البدوية) في أعوام ٧١٩ - ٧١٤ ق.م مع أورارتو ووقفوا بوجه ملوك الماننا، إلا أن هؤلاء الملوك استطاعوا في هذه الآونة جعل الآشوريين حلفاء لهم، وتمكنوا من القضاء على أعدائهم. وغداة الانتصار على أورارتو وعلى قبائل زيكيورتو الميدية علا شأن مملكة الماننا منذ عام ٧١٤ ق.م. وقد ضمّ الماننيون المقاطعات الواقعة بين شرقي بحيرة أورميا لحد نهر أراكس شمالاً إلى دولتهم. وفي النصف الأول من القرن السابع امتد حكم الماننا إلى الغرب ووصل إلى نهر الزاب الكبير، ومن جهة الشمال لحد المناطق الجنوبية الشرقية لقفقاسيا، وبذلك شملت أغلب البلاد الكردية الحالية.

بجانب مملكة الماننا، ومع بداية القرن الثامن قبل الميلاد وأثناء توسيع مملكة أورارتو لفتوحاتها على حساب آشور داخل المناطق الجبلية الكردية، ظهر فيها (أي في مملكة أورارتو) أسيا د جدد لعبوا دوراً بارزاً في المجالين السياسي والعسكري. فبالرغم من ندرة المصادر التي تطرقت إلى أخبارهم، أشارت الكتابات الأورارتية والآشورية إليهم وإلى قوتهم السياسية التي نورتها لوحة (كيله شين) التي نصبت في كردستان وعلى الحدود العراقية - الإيرانية قرب شنو (اشنويه)، والمدونة من قبل الملك الخلدي (أشبويني) وابنه (مينوا) الذي اشترك مع والده على العرش الأورارتي في حكم مملكة اشتهرت بمملكة الإله (خلدي) (٤٤) عام ٨١٠ ق.م.

(٤٤) خلد (خلدي) هو اسم كبير الآلهة عند الأورارتيين، وكان يتمثل على صورة رجل =

استطاع الملك (مينوا) الشاب أن يحتل جميع المناطق الواقعة على المجرى العلوي لنهري دجلة والزاب الكبير، وكذلك الأراضي التي كانت ضمن نفوذ الماننا في جنوب بحيرة أورميا. ثم بدأ ببناء مجموعة من الحصون والقلاع والمدن كحصن (موساسير) التي اعتبرت مركزاً سياسياً ودينياً رئيسياً مهماً في المنطقة الكردية الجنوبية آنذاك. واستمرراً مع فتوحاتهم في الجنوب، وكما كان في الشمال، فقد أسس كل من اشبويني ومينوا مملكة احتوت مساحة توازي مساحة الامبراطورية الآشورية وحتى انها تجاوزتها في الحدود على حد قول المؤرخ كريشمان^(٤٥). وقد خدما دولتهما بشق الطرق

= ذو لحية يقف على ظهر أسد أسطوري، واعتقد الناس بأن زوجته هي الإلهة أروباني (باكبارتو). وكان لهذا الإله معابد منتشرة في أرجاء مختلفة من الامبراطورية الأورارتية وأشهرها كان المعبد العظيم في موساسير الذي زاره وربما الملك مينوا ووالده أشبوني. وبشكل عام فإن الكتابات الأورارتية تتحدث غالباً عن الإله خلدي، ثم ان السكان في الامبراطورية عرفوا في التاريخ باسم الخلديين.
عن هذا الموضوع انظر:

دائرة المعارف السوفياتية الكبرى، مادة خلدي.

Bolshaya Sovetskaya Entsiklopediya, Khaldi.

R. Chrishman, (Iran, London, 1954), p. 93.

(٤٥)

تحمل مسلة (كيله شين) التي كانت قائمة على الحدود الإيرانية - العراقية في منطقة شنو (أشتويه) الكردية، وقد أقيمت من مكانها ورميت بباب متحف مدينة أورميا في السنين الأخيرة والمصنوعة من حجر البازلت الأسود وعلى وجهيها كتابة مسمارية باللغتين الأورارتية والآشورية (منها ٤١ سطراً بالأورارتية و٤٢ سطراً بالآشورية). أما طول المسلة فيقرب من مترين وعرضها ٦٠ سم ومسكها ٣٠ سم وقد ارتكزت على قاعدة مربعة الشكل كانت تقع في الفجوة الواقعة بين جبال سيكاو والمرتفعات الإيرانية وكانت منصوبة عند مدخل جبلي الذي يعتبر بداية وادي طويل للسلسلة الجبلية الممتدة نحو الشمال الغربي وقد أتلقت أغلب جوانبها بسبب اصابتها بطلقات نارية أثناء الحرب الكردية - العراقية.

كان البروفيسور م. شولتز M. Schlitz هو أول من تحدث حول هذه المسلة في المحافل العلمية، وقد كان موفداً من قبل الحكومة الفرنسية للتحقيقات العلمية في إيران ودراسة العاديات القديمة فيها، حيث وصل تبريز عام ١٨٢٩ م لكنه قتل أثناء تجواله في منطقة هيكاري الكردية داخل حدود الامبراطورية العثمانية.

= لقد كتب الميجر سير هنري ويلوك Major Sir Henry Willok الى الكابتن

والقنوات وتحويل مساحات واسعة من الأراضي الصخرية الى مناطق زراعية مثمرة في هذه البلاد الجبلية.

كانت موساسير من أقدم المراكز المقدسة لدى الأورارتيين ومقرّاً لعبادة الإله (خلدي) الذي كان يسمى محلياً (ألدي) وزوجته الإلهة (آروباني؟) التي اشتهرت فيما بعد باسمها الايراني (باكبارتو) مع اللاحقة الآشورية والذي استعمله قسم من الأورارتيين في لهجتهم المحلية، وموساسير تشتهر الآن في الكردية بصيغة (موجيسير) وهي قصبة تقع على بعد ١٨ كيلومتراً شمال رواندز وإلى غرب قرية طويزاوه. وخلف كل من اشبويني وابنه مينوا حوالى هذه المنطقة مجموعة من اللوحات الكتابية مؤكدين فيها أعمالهما الحربية وتوسيع رقعة مملكة الإله خلدي التي جاء اسمها في النصوص الآشورية كمملكة نايري وفي النصوص الخلدية كمملكة بياينا. وذكرنا الاصلاحات الدينية التي قاما بها من ترميم المعابد وزخرفتها برسوم الحيوانات والمزهرات والأعمدة النحاسية وخاصة معبدي الإله الكبير خلدي في موساسير ومدينة آرديني، أي مدينة الإله (آردي)

= هاركنيس Capitain Harkness خبر هذه الحادثة ثم ظهر كمقال (رقم ١٦) في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية عام ١٨٣٤م (J.R.A.S) يتهم كاتب المقال السكان المحليين في قيام هذا الحدث ويقول:

«استطعت الذهاب الى كردستان إثر مقتل هيسي Hesse في خريف من عام ١٨٢٩م ولم ير ثمرة جهوده حيث لم يطبع كتاباته، وكان يعمل في المجلة الملكية الآسيوية نفسها وكان له معلومات وافية عن آسيا... وعين شولتز من قبل الحكومة الفرنسية للتحقيقات العلمية في إيران ووصل تبريز في ١٨٢٩م وفي منطقة أورميا أوصاه الحاكم الرسمي عسكرياً بأن لا يثق مواطنيه (كذا) الذي يحكمه الأمير الأعظم ولكنه دخل الى كردستان بالرغم من ذلك». ومع أن الكاتب يشهد بالاستقبال الحيد الذي لاقاه هذا من قبل أهالي هيكاري لكنه يشير الى مقتله من قبل هؤلاء الذين وصفهم بـ(الوحوش). ومع الأسف فالكاتب لا يلفت أنظار القارئ الى الغرض الحقيقي الذي دفع هؤلاء بالتجوال في تلك المناطق، وكان في حقيقة الأمر دراسة الأوضاع السياسية والقومية والدينية في شرق الامبراطورية العثمانية والدخول اليها بطريقة غير رسمية من جهة إيران. حول هذا الموضوع انظر: المجلة الآسيوية الملكية البريطانية (١٨٣٨م).

الذي كان معبوداً بجانب الآلهة شيفيني وخليدي وتيشيا في المجمع الإلهي الأورارتي. وبالإضافة إلى هذه الأعمال خلف هذان الملكان بعض الأخبار على صخرة (ميهر كابوسو) على جبل زم زم داغ بتركيا الحالية ويوردان فيها موضوع عبادة ٦٩ إلهاً في بلاد أورارتو. ثم بنيا معبداً للإله خليدي في (أرناور تبه) شمال بحيرة وان، إضافة إلى بناء بعض القلاع في (زفستان) في جنوب شرق البحيرة نفسها، وفي (أنزني) على طريق مدينة خوي Khoy في غرب إيران. وهناك بعض الكتابات ترجع لهذه الملكين وجدت في منطقة (قلعة كاه) في جنوب بحيرة أورميا وكذلك في مياندواو (ميان دواب) بجانب المنحوتات التي صنعها في (قره كوندوز) قرب بحيرة (أرجك). شرقي وان. وبهذه الصورة كان الخليديون في صراع مع المانيين والآشوريين معاً.

وفي بداية القرن الثامن قبل الميلاد، وبالضبط أيام حكم الملك الأورارتي (أركيشتي) بن (مينوا) أغار هذا الملك ثلاث مرات على بلاد ماننا ودخل مناطق ئارسيتا ومدينتي بوشنو وباروتا في سنين ٧٧٥، ٧٧٤، ٧٧٢ ق.م واحتلها لبعض الوقت، ولم يمر وقت طويل إلا وانفصلت ماننا عن أورارتو واستطاعت أن تحكم كافة المناطق الواقعة حوالى بحيرة أورميا عدا الغربية والشمالية منها، ودخل المانيون في معارك شديدة مع الأورارتيين ووقفوا بوجههم بحزم بحيث لم يتمكن الأورارتيون بعد هذا التاريخ من اخضاع المانيين وجباية الضرائب منهم.

أما الملك ساردور بن أركيشتي فقد حاول خلال الأعوام ٧٥٠ - ٧٤٤ ق.م الانقضاض على الميديين عن طريق بلاد ماننا، فبذلك التقى في معركة بقوة الماننا وقد توقفت الحملات الأورارتية ضد ماننا بسبب النكسة التي أصابت الدولة الأورارتية من قبل تجلات بلاسر الثالث الآشوري عام ٧٤٣ قبل الميلاد. وهكذا أحرز المانيون سلسلة من الانتصارات على الآشوريين في بداية القرن السابع قبل الميلاد، لكن تحالف السكيث مع الآشوريين حوالى عام ٦٧١ - ٦٧٠ ق.م

عقد الظروف السياسية في البلاد الكردية، وخاصة عندما بدأت القبائل السكيثية تعادي المانيين وتعرض لهم بالهجرة الى أراضيهم.

وفي خلال عامي ٦٦٠ - ٦٥٩ ق.م تعقدت الأمور الى درجة كبيرة أدت الى قيام انتفاضة شعبية ضد السلطة الحاكمة في بلاد الماننا وكان من نتائجها مقتل الملك المانني (أخشيري)، كما التجأ ابنه (أواللي) الى الآشوريين لمساعدته في الرجوع الى السلطة مقابل دفعه لأتاوة محددة لهم. وبهذه الصورة غدت الماننا حليفة لآشور واشتركت معها في معاداة الدولة الكلدانية في بابل، هذا بالإضافة الى مواجهتها للمشاكل الداخلية وضغوط الميديين حلفاء البابليين من الشرق ومن الجنوب.

اندحرت قوات الماننا عام ٦١٦ ق.م بتحالفها السياسي والعسكري مع قوات آشور أمام قوات العاهل البابلي نابو بولاصر في معركة (كابلينا) على نهر الفرات. وخلال أعوام ٦١٥ - ٦١٠ ق.م سيطر الميديون على جميع بلاد الماننا ونهبوها، ثم خضعت لهم سياسياً. وخلال أعوام ٥٩٠ - ٥٨٠ ق.م أصبحت هذه البلاد تشكل جزءاً من الامبراطورية الميدية.

أما بالنسبة لسكان وأهالي دولة الماننا فقد درست أوضاعهم وتأريخهم نادر. وكانت مجموعات بشرية ذات لغات متباينة بعض الشيء تسكن في المناطق التي احتوتها الدولة الماننية على ما يظهر، وكان أغلبها ينحدر من الأقوام المحلية القديمة كالكوتيين واللوبيين وحتى الخوريين الذين خضعوا فيما بعد الى تحولات لغوية وحضارية بتأثير القبائل الميدية والسكيثية المحاربة التي طغت عليهم من الشمال والشرق وكونت لها مراكز تجمع سياسية في كل من سقز وهمدان وهما مستوطنتان ذواتا واقع مختلط يقول دياكونوف إن:

«الماننيين والكوتيين يرجعون الى المجموعة (الكاسبية أو

القزوينية) من ناحية اللغة، كما كانت لهم صلات لغوية مع الخوريين^(٤٦).

ولكن هذا الرأي لا يزال غير مؤكد في الواقع العملي وإنما هو نظرية مطروحة لا غير.

أما من ناحية البناء الاقتصادي القومي، فكان يتمثل الاقتصاد المائني في تربية الحيوانات والرعي وهما من الأمور التي كانت متطورة في بلاد المائنا، ومن ضمنها تربية الخيول. هذا بجانب إدارة المزارع والحقول المتطورة التي يشهد لها نوع القمح الذي اشتهر في ذلك الزمن بالحنطة المائنية^(٤٧). واكتشفت كذلك الآثار المعدنية التي كانت تعبر عن مدى رقي الصناعة في المدن المائنية وأظهرت مستوى جيداً لما وصله الفن هنا وهو يضاهي مثيله في بلاد آشور وأورارتو. ولعل ما اكتشف في مدينتي سقر وزويوه في كردستان/إيران من مخلفات المائنيين هو من أجمل ما تحتويه متاحف العالم من الآثار التابعة لهذه البلاد. وعلى بعد ٤٢ كيلومتراً من مدينة سقر شرقاً، كانت تقع مدن مائنية كبيرة، وكان سكانها يمتنون مختلف الحرف، حيث أصبحت تلك المدن بعد سقوط الدولة المائنية مراكز اقتصادية مهمة للدولة الميدية. ونتيجة لهذا التطور في العلاقات الاقتصادية داخل المدن المائنية، ظهرت في زمن الملكية المائنية طبقة أرستقراطية غنية إلى جانب الطبقات الاجتماعية الأخرى التي ساعدت على تفاقم التناقضات بينها من خلال الصراع الداخلي بين الطبقة الحاكمة والكتل الرئيسية والسكان الأحرار، وتدل على ذلك انتفاضة عامي ٦٦٠ - ٦٥٩ ق.م.

(٤٦) I. M. Dyakonov, «Narody Drevney Peredney Azii» Peredneaziatskiy Etnograficheskiy Sbornik I, M. 1958, Str. 23-38.

وراجع الفصل الثالث من رسالة دكتوراه جمال رشيد أحمد باللغة البلغارية الموسومة بـ(دراسات حول تاريخ كردستان قديماً) المجمع العلمي البلغاري، (صوفيا، ١٩٧٣م).

(٤٧) راجع الكتاب المقدس، الاصحاحات السابقة نفسها.

ومن مظاهر الحضارة عند المانيين الكتابة التي كانت من الأمور المعروفة في هذه البلاد، وتشبه ملامحها عند ظهورها مثيلتها في بلاد أورارتو وآشور بالإضافة الى تواجد صنف من الكتابة الرمزية (الهيروغليفية المحلية) التي اكتشف قسم منها ضمن آثار وكنوز مدينة سقز الكردية بإيران. وهنا يمكن القول ان الفنون الميديّة والإخمينية والسكثية فيما بعد مدينة بشكل أو بآخر لفن بلاد ماننا (أي فن كردستان الشرقية). وهكذا يظهر أن هذه البلاد كان يشع منها بريق حضارة مختلطة ومتأثرة بحضارة وادي الرافدين مع تمتعها بالسيادة المحلية. وكانت هذه الوضعية تميز بلاد الماننا عن المناطق الأخرى من كردستان وشمال بلاد ما بين النهرين التي ظهرت فيها أقوام كالميتانيين والخلديين والكردوخيين وغيرهم. وبتعبير آخر ان الواقع التاريخي للطبيعة القومية واللغوية والحضارية لسكان مناطق جنوب بحيرة أورميا (كردستان الشرقية) وسكان غرب هذه البحيرة (كردستان الوسطى) وكذلك سكان كردستان الجنوبية، ومع بداية النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، لم يكن ذا ارتباط قوي ومتجانس مثلما جرى ذلك الارتباط والتفاعل بعد سقوط دولة آشور في نهاية القرن السابع قبل الميلاد (عام ٦١٢ ق.م). وبالرغم من ذلك التفكك السياسي الذي جاء نتيجة لأطماع الطبقات السائدة والحاكمة في الامبراطوريات والممالك المحلية لشمال وادي الرافدين المتباينة، فإن الواقع الجغرافي والظروف الطبوغرافية التي تكون الجبال والوديان الوعرة طابعها الخاص حالت دون تحقيق اتصال بين هذه المناطق في الأزمنة القديمة، أو بالأحرى بين المنظومات الحكومية المحلية الصغيرة التي ظهرت في تلك المناطق. ومن جهة أخرى فقد حدد هذا الواقع محاور تحرك قوات آشور وأورارتو، ثم القبائل الرعوية القوية للميديين، عند توجههم نحو غرب إيران وجبال زاكروس. فبالإضافة الى كون بحيرة أورميا عارضاً طبيعياً فقد حددت توجه جموع الميديين نحو الغرب، وشكلت دولة الماننا من نفسها ساتراً قوياً ولعدة

قرون أمام هؤلاء لحساب آشور، كما شكلت مملكة أورارتو ساتراً آخر أمام قبائل السكيث والكيمايريين لصالح آشور أيضاً.

بناءً على ما جاء فإن الواقع يشير إلى أن الاتجاه الذي اتخذته قبائل اللان القدماء من السكيث والكيمايريين والآس نحو شمال بلاد ما بين النهرين منذ العصر الآشوري، كان من جهة الشمال (مروراً بقفقاسيا) نحو الجنوب، بينما اتجهت القبائل الميديّة من الشرق (مروراً بجنوب بحر قزوين) نحو الغرب إلى جبال زاكروس كما أشار إليه ملوك آشور في سجلاتهم. إن هذه المحاور لاتجاهات الهجرة حددتها الظروف الجغرافية الطبيعية، من بحر قزوين وصحراء لوط (دشت لوت) لتندفع قبائل بلاد الصغد وخوارزم باتجاه جبال زاكروس كما أكد تلك العلاقة بين سكان هذه المناطق البعيدة بعضها عن بعض العالم الإسلامي البيروني عبدالرحمن أيضاً^(٤٨).

إن أول خبر مدون عن وجود أسلاف اللان من السكيث في شمال وادي الرافدين وكردستان كان على لوحة الملك آشور ناصر بال الثاني في الربع الثاني من القرن التاسع قبل الميلاد^(٤٩). ومن بعد ذلك فقد تعرف الآشوريون على هذه القبائل باسم إشكوزاي وكيمايراي، أي السكيث والكيماير. ويعتقد المؤرخ كريشمان أن هؤلاء وصلوا هنا من القرم Crimea، ويضيف أن:

«هذين القومين كانا متلازمين وكان الناس غيرهم يتكلمون بلغة مشتركة واحدة وفي زمن الملك أسرحدون الثاني الآشوري، كانت بلاد أورارتو أولى البلدان التي عانت من غزوات الكيمايريين. وقد آلت البلاد إلى درجة من الظروف

W.B. Henning, «Mitteliranisch», in: B. Spuler, et Al., *Handbuch der Orientalistik*, BD. 4, AB. I, (Leiden, 1958), pp. 105 - 108.

T. Cuyler. Young. JR., op. cit. p. 20.

(٤٩)

وانظر أيضاً:

T. Suliminski., «Skythian Antiquities in Western Asia», 17, (1954), pp. 290 - 293.

السيئة، أدت بالنهاية الى انتحار الملك الأورارتي روساس الأول»^(٥٠).

يظهر أن السكيث، بعدما اخترقوا ممرات قفقاسيا، توجهوا الى جبهتين ضمن مجموعتين من الاتحادات القبلية. توجهت المجموعة الأولى، حسب أقوال كريشمان، نحو سواحل بحيرة اورميا، واحتكوا بالنفوذ الميدي مباشرة. أما المجموعة الثانية الكبيرة فقد استمرت في الهجرة في آسيا الصغرى نحو الغرب. ويعتقد كريشمان أنهم:

«استقروا في الجهات الجنوبية من البحر الأسود بجوار (سينوب) على مصب نهر هاليس لحقبة من الزمن».

ثم يضيف:

«بأنهم وضعوا النهاية للحكم الفريكي هناك وانتحر على إثره ملكهم (ميداس). ولم تكن بلاد ليديا أكثر حظاً، فبالرغم من دعم المدن اليونانية لها، فقد قتل ملكها كيكيس، لكن الملك الآشوري آشور بانيبال استطاع أن يهزمهم في مضائق قيليقيا والتحقت شراذمهم الباقية بالوحدات السكيثية الأخرى»^(٥١).

بما جاء أعلاه يجب الاقرار بحقيقة منطقية وهي أن السكيث جميعاً اتخذوا ممرات قفقاسيا محوراً لعبورهم الى آسيا الصغرى وشمال وادي الرافدين ولكن هذا المحور لم يكن خلال ممر واحد. فقد اتخذت المجموعة الأولى لفرسانهم الكيميريين زمن الملك الآشوري أسرحدون محور طريق همدان في غرب إيران واستقروا في حدود بلاد الماننا، كما جاءت أخبارهم بجانب أخبار الميديين والمانيين في حوليات ملوك آشور. وقد أشار كريشمان الى أن:

«الملوك ذكروا هؤلاء حينما غزوا مناطق سكناتهم لجلب الخيول منها وكانوا تحت راية ملكهم (بارتاتوا Partatua الذي سجل هيرودوت اسمه بصيغة (بروتوثيس Protothyes) وكانت مملكته تشمل القسم الأكبر من مقاطعة أتروباتيني

(٥٠) ر. كريشمان، المصدر نفسه.

(٥١) المصدر نفسه.

(کردستان/إيران) وكان مركزها يقع جنوب بحيرة أورميا (مقاطعة موكریان) وقد اعترف الملك المانني بسيادته^(٥٢).

وبكل تأكيد فإن السكيث المتواجدين هنا لابد وقد سلكوا الممر الواقع غربي بحر قزوين^(٥٣)، عابرين بلاد السريز، سالكين الدربند والدريال مخترقين نهري سامور (سمور) وقاسم كند وبلاد مسقط (مساكيت القديمة) نحو شروان وموكان، ومن خلال الطريق الرئيسي لمدينتي نخوى - أورميا متجهين نحو بلاد الماننا من جهة غربي بحيرة أورميا. وقد أشار هيرودوت الى هذا المحور بقوله:

«إن المسافة بين (بالوس مايوتيس) الى نهري فاسيس وإلى كولخيس هي ثلاثون يوماً من المشي نهاراً. ومن كولخيس الى ميديا لا يستغرق أكثر من هذا، ويخترق العابر أرض قوم واحد وهم (الساسير) ثم يجد نفسه في ميديا»^(٥٤).

ويقصد بالساسير الجيورجيون حالياً. ثم يتحدث هيرودوت بأسهاب عن مواطن المساكيت (وهم قسم من اللان سمي باسمهم مدينة مسقط) في شمال نهر أراكس (آراس) وغرب بحر قزوين وعلاقاتهم السياسية أيام ملكتهم (توميريس) مع الميديين ثم مع كورش الإخميني حوالى نهر أراكس^(٥٥). ومن الجدير بالذكر هنا هو أن قيام مملكة في أربيل وكر كوك خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد التي أسستها عائلة سكيثية عائلة كل من (مونوبازوس وإيزدين) واشتهر أفرادها بإيمانهم باليهودية ثم المسيحية عند أوائل عهدها، ما هو إلا امتداد لنفوذ القبائل السكيثية التي سكنت قبل هذا الوقت في جنوب أورميا

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٩٨.

والواقع فإن الاسم عند هيرودوت مدون بصيغة (Prtothyes).

انظر هيرودوت، التأريخ، الكتاب الأول، الفصل ١٠٣.

كما أشار الآشوريون الى (بارتاتو Partatua) بلقب (شارو) أي الملك. انظر: دياكونوف، تأريخ الميديين، ص ٢٨٠ باللغة الروسية.

(٥٣) وهذا ما يراه دياكونوف أيضاً. انظر: المصدر نفسه، ص ٢٣٠.

(٥٤) هيرودوت، الكتاب الأول، الفصل ١٠٤.

(٥٥) حول تفصيلات هذا الموضوع انظر: المصدر نفسه، الفقرة ٢٠١ وما بعدها.

(منطقة موكریان الحالية) التي تؤدي مسالكها مباشرة الى سهل أربيل في الجنوب الغربي، أي محور شنو - رواندز - أربيل ثم كركوك. أما الباقون من السكيث فقد سلكوا عمر شرق بحيرة أورميا فأدى بهم الطريق الى مناطق همدان مركز القبائل الميدية الرئيسي آنذاك.

وهكذا فليس من الغريب أن يعتبر كتاب اليونان بلاد (سكاسيني) أي بلاد السكس (السكيث)، الاسم الذي تحول الى شاكي (شكتي في المؤلفات العربية الإسلامية) وهي المنطقة التي كانت عاصمة الشداديين الكرد مدينة كنج (جنزه) واقعة فيها، من إحدى المقاطعات المتواجدة جنوب غرب بحر قزوين. ويقول أريانوس أن هؤلاء السكاسيني كانوا بالإضافة الى الكادوسيين والألبان متحالفين مع الميديين^(٥٦). ولكن لنا أن نسأل لماذا لم تنحرف هذه المجموعة مع القبائل السكيثية التي هاجرت نحو آسيا الصغرى عبر طريق خوى - قوتور - وان - الأناضول الحالية بعد أن عبروا ممرات قفقاسيا؟ ثم كيف استطاعت الدخول الى أراضي دولة الماننا واستقرت داخل حدودها مستقلة وأنشأت نظاماً ملكياً فيها لمدة قصيرة قبل سقوط نينوى عام ٦١٢ ق.م؟ هنا يمكن القول أن دولة أورارتو كانت قد وسعت آنذاك نفوذها في شمال آشور (وسط كردستان) منذ القرن الثامن قبل الميلاد، وهي مرحلة هجرة هذه القبائل ووصولها الى هذه المناطق، وأصبحت أورارتو سائراً قوياً أمام هجرة هؤلاء نحو الغرب، لأن طريق خوى - قوتور كان يؤدي مباشرة الى عاصمة أورارتو توشيه (وان الحالية).

أما بلاد الماننا فأصبح من المعروف قضية تشابك الوضع السياسي فيها خلال القرن السابع قبل الميلاد الى درجة كبيرة أدى الى قيام انتفاضة شعبية ضد السلطة الحاكمة، وكان من نتائجها مقتل الملك المانني (أنخشيري) كما ذكر - وفي هذه الحالة، وبتصاعد نفوذ السكيث لم يجد الملك الآشوري بداً من أن يزوج ابنته من ملك السكيث ليتقي

(٥٦) أريانوس، أناباسيس، الكتاب الثالث، الفصول ٤، ٨؛

Arr., anab. III, 8, 4.

شرهم وأن يحولهم الى حليف له، في مرحلة كانت امبراطوريته في بداية انهيارها، هذا بالرغم من وقوف الماننا بجانبهم بثبات لكي تصارع السكيث لمدة طويلة. ويأغداق الهدايا والجزية على السكيث استطاع أسرحدون الابقاء على الامبراطورية الآشورية سالمة لمدة طويلة معينة ويستشهد هيرودوت على ذلك بقوله:

«ان السكيث سلبوا جميع آسيا وأخذوا من شعوبها كل ما يملكون»^(٥٧).

ولا ريب أن هذين السلب والنهب شمالا حتى بلاد فلسطين.

وفي هذا الصدد يخبرنا أسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق.م) حوالى عام ٦٧٩ ق.م عندما حارب الكيميريين بالخبر التالي:

«تيوشب الكيميري الذي وطنه بعيد، قتله ودمرت عسكره».

ثم يسأل فيما بعد من الإله شمش أن يدعمه في أعماله ضد الكيمير (وفي الأصل كيميرا) الذين تحالفوا مع السكيث. وعلى حد قول كاتب سجلات الملك آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٨ ق.م) فإن أجداده «لم يخافوا ولم يتقاعسوا» ثم استمر هو في النضال ضد الكيميريين. وحاربهم في الوقت نفسه ملك ليديا المدعو كيكيث (وفي النص الآشوري كيك) عام ٦٦٠ ق.م، وحتى انه أسر زعيمين كيميريين وأرسلهما الى آشور بانيبال، إلا أن كيكيث قتل في المعارك التي جرت معهم واستولى الكيميريون على عاصمتهم (سارد). وفي زمن ابن كيكيث المدعو (أرديس) ٦٥٠ - ٦٢٥ ق.م دخلت ليديا تحت ضغط الكيميريين واستولوا على مدينة سارد مرة ثانية، ولكنهم واجهوا معركة قاسية في قيليقيا. وقد أشار كل من سترابو وبلوتارخ الى وصول هؤلاء الى آسيا الصغرى بقيادة ملكهم (ليكدام) ويحتمل أن التراقيين رافقوا هؤلاء الى قارة آسيا بعد أن عبروا هلسبوننتس (الدردنيل) وقد وقف أمامهم الملك الليدي أليات (٦١٥ - ٥٦٥ ق.م).

(٥٧) هيرودوت، التاريخ، الفصل الأول، ص ١٠٦.

في خضم هذه الأحداث، ومن خلال الوضع السياسي السائد في المنطقة، كان نجم الميديين قد سطع أكثر من أي شعب آخر على حساب الممالك القديمة، وقد رافق اندحار القوات العسكرية الماننية عام ٦١٦ ق.م جنباً إلى جنب مع قوات آشور أمام قوات نابو بولاصر البابلي على نهر الفرات، أعقبت دخول القبائل الميديّة في بلاد ماننا لكي تسيطر عليها كلياً، وفي هذا الوقت بالذات لم تكن هناك في بلاد الماننا أية سلطة محلية لها القدرة على وقف زحف السكيث إليها، أو نظام مستقر ليوقف حائلاً دون وصولهم إليها - لذلك ففي هذه المناطق الكردية (ساوج بولاق - سابلان - وسقز وزويوه) وفي الأراضي التي تتاخم الحدود العراقية الإيرانية من جهات (نغده - شنو)، رشح السكيث قاعدة بسيطة لنظام سياسي بعد زوال الحكم المانني فيها، دامت أكثر من ربع قرن كما ذكر سابقاً. ولكن هذا النظام سقط أمام قوة الميديين على حد قول هيرودوت:

«عندما دعا كي أكساريس زعماء السكيث إلى وليمة، أكلوا وشربوا حتى سكروا، ثم قتلهم جميعاً، وبذا حفظ الميديون مملكتهم، ورجع الباقون من السكيث إلى بلادهم في السهول المتاخمة للبحر الأسود من الشمال»^(٥٨).

وظهروا بعد ذلك في المنطقة المحصورة بين كوبان وجنوب روسيا واستقر قسم منهم بين أران وبحر قزوين. وفي شرق القزوين اشتهر قسم من هؤلاء باسم البرث حوالي القرن الرابع قبل الميلاد حيث نزحوا إلى الهند وشكلوا مملكة فيها^(٥٩). وباعتقادنا فإن بعضاً من هؤلاء السكيث ظلوا في المنطقة الكردية من إيران ولم يرجعوا نحو

(٥٨) المصدر نفسه. ويرى دياكونوف بأن حدود مملكة السكيث في هذه المناطق غير معروفة. وعلى كل حال فإنها لم تكن تماثل حدود مملكة آشور. ويعتقد أن تلك الدولة كانت قد تأسست في منطقة أوسع، أي من نهر الكر إلى مناطق في شمال بحيرة أورميا مثل منطقة قرداغ وسيلان داغ وفي المناطق التي عاش فيها أقوام مثل أونني والألبان والكاسيين، وكان هؤلاء سكان مملكة السكيث.

حول هذا الموضوع راجع دياكونوف، تاريخ الميديين، ص ٢٨٠، ٢٨١.

(٥٩) دائرة المعارف البريطانية الحديثة، مادة سكيثا.

قفقاسيا ثم نزحوا أمام قبائل أسكارتيا (زيكرتو أو زاكروتني) الميمنية فاستقروا في مناطق أرييل وكر كوك وحتى جبال حميرين، اشتهرت منهم العوائل الملكية لهيلينا وايزاتيس (عزة) ومونوباس وبيت يزدن في العهد السلوقي. وهناك مناطق لا تزال تحتفظ بأسماء جغرافية سكيثية في المناطق المذكورة.

بالإضافة الى ما جاء، فإن الآثار والكنوز التي استخرجت خصوصاً في منطقة سقز تؤكد بأن هؤلاء ظلوا هنا فترة تزيد بكثير عن مدة حكمهم لها، وقد صنفت هذه الكنوز في أربع وحدات فيما بعد وهي:

١ - كنوز ترجع جذورها الى أصول فنية آشورية.

٢ - كنوز سكيثية بحتة.

٣ - كنوز ذات مزيج من الفن الآشوري والسكيثي.

٤ - كنوز ذات أصل محلي وعلى أغلب الاحتمال ماننية.

وبناءً على هذه الظاهرة فقد أكد كريشمان:

«بأن الشواهد تؤدي بنا الى التصديق على كون سقز عاصمة السكيث وإن اسم المدينة مشتق من الصيغة الشرقية لاسمهم (سكس) لأن أسماء العواصم كانت من أسماء الأقوام آنذاك»^(٦٠).

وبالمقابل فقد نقل السكيث الذين رجعوا الى بلادهم بعض مظاهر حضارة غرب آسيا وخاصة من الشعب الأورارتي، شوهدت آثارها في القبور القديمة التي اكتشفت في المناطق الواقعة بين مدينة كييف وقريتي أوليفي ودونباس بأوكرانيا، وشوهدت أيضاً تأثيرات سكيثية في شمال قفقاسيا.

وبعكس ما جاء أعلاه، فقد ذكر فلجيفسكي في كتابه (الكرد) باللغة الروسية^(٦١):

(٦٠) كريشمان، المصدر نفسه، ص ١٠٧.

O. Vilchevsky, Kurdi, M-L (1961), Str. 80, 81.

(٦١)

«بأنه من الصعوبة مشاهدة آثار سكيثية أو كيميرية في شمال وادي الرافدين».

ويضيف:

«إن الآراء التي تشير، حسب أقوال بعض المتخصصين، إلى دور السكيث والكميريين في ظهور ملامح القومية الكردية شيء غير مقنع. لذلك يجب أن ينظر إلى تلك الظاهرة من خلال وصول الهجرات الإيرانية من ميديا إلى شمال وادي الرافدين وليس من خلال وصول السكس (السكيث) إليها».

ويستمر فلجيفسكي في حديثه طارحاً رأياً مناقضاً لرأيه السابق مفاده: «إن السكس انتشروا بين الكرد عن طريق الترك».

وفي هذا يعتمد على نظرية نيكولاي مار في مضمون (جمعياته) الأسطورة الأرمنية التي تتحدث عن منشأ الكرد مشيرة إلى:

«أنه في القرن العاشر الميلادي عندما ظهرت السلطة العربية في المناطق المذكورة فإن أمراء بلاد عديدة قتلوا، وشمل هذا الأمر كذلك السكس في تركمانيا ومناطق فارس وميديا، وقد أسلم كثيرون منهم. أما الذين كانوا أقرباء الأمراء الميديين فقد هربوا والتجأوا إلى (كوردوخ Kordukh) و (موك Mok) في أرمينية وسكنوا فيها، وأصبحوا يعرفون فيما بعد بالـ(كرد) وانتشروا بعد ذلك في بلاد ما بين النهرين وأرمينيا وسوريا حيث قبلوا النصرانية ديناً».

بما يؤخذ على قصة وأحداث هذه الأسطورة هو أنها تحدد مرحلة نشوء الكرد بعد القرن العاشر الميلادي، في حين كان الكرد هم الذين يمثلون القوة الإسلامية في كل من أذربيجان وأرمينيا وجيورجيا آنذاك. ثم جاء ذكر الكرد في الكتب الساسانية من القرن الثالث الميلادي (وبالأخص كتاب كارنامك أردشير بابكان) وكذلك الآرامية من القرن الخامس، ثم العربية الإسلامية من القرنين التاسع والعاشر الميلاديين. وعلى كل حال، فإذا كان بين الميديين والسكيث صراعٌ سياسي في القديم إلا أن هذا لا ينفي انتماءهم اللغوي الواحد ورجوعهم أصلاً إلى الموطن المشترك القديم حيث تركوه لفترات منذ

نهاية الألف الثالث قبل الميلاد. وكان الجغرافي اليوناني سترابو قد أشار في حينه الى تقارب لغات الميديين والفرس والصغد^(٦٢)، الرأي الذي اعتمد عليه المؤرخ السوفياتي دياكونوف قائلاً:

«ان هناك دلائل على تقارب لغة السكيث مع لغة الميديين»^(٦٣).

لأن سكان مملكتي ميديا والسكيث كانوا يتفاهمون معاً بكل سهولة. كما أشار الى تلك العلاقة أو القرابة كل من المؤرخين الرومانيين ديودور الصقلي^(٦٤) وبلينيوس^(٦٥). وقد تعلم الميديون من السكيث فنوناً حربية وقتلوا بعض أئباط أسلحتهم، وكانوا يرسلون أبناءهم الى السكيث لتعلم استعمال القوس والسهم حتى بعد سقوط دولتهم. ومن الجدير بالذكر إن الميديين كانوا قد اتخذوا محور شرق بحر قزوين في النزوح نحو إيران، أما السكيث فكانوا يسلكون طريق الممرات القفقاسية، أي غرب قزوين. وبما أن الديانتين المزدية والزرادشتية لم تظهرها بين القبائل السكيثية في أوطانها، وإنما بدأتا تنتشران بيد الميديين، لذلك يمكننا الإشارة هنا الى أن هاتين الديانتين ظهرتتا أو نظمت مبادئهما في غرب إيران (في كردستان بالذات) بعد أن تشبعت أصولهما بالأفكار الميثولوجية المحلية ذات الجذور القديمة في التاريخ، حيث لم تظهر آثارهما في بلاد سكيثيا شمال البحر الأسود، لكن الواقع إن اسم قبائل السرمات (الذي يتكون من سيريما + آريا + تورا) قد ورد في كتاب الآفيستا^(٦٦). الكتاب المقدس لزرادشت.

(٦٢) سترابو، الجغرافية، الكتاب العاشر، الفصول ٢، ٨، ١٤.

(٦٣) دياكونوف، المصدر السابق، ص ١٧٧.

(٦٤) ديودور الصقلي، الكتاب الثاني، الفقرة ٤٣.

(٦٥) بلينيوس، الكتاب السادس، الفقرة ١٩.

(٦٦) J. Marquart, Untersuchungen Zur Geschichte Von Eran (Leipzig, 1948), p. 78.

وقد ظهر هذا الاسم في الملاحم الايرانية بصيغة سالم. انظر:

C. P. Tolstov, Drevnii Khorezm. M. 1948, Str. 222.

بالرغم من أقوال هيرودوت وإشاراته الى دولة السكيث في آسيا التي دامت ٢٨ عاماً، لكن هذا الحكم لم يكن إلا مجرد مركز أو مجموعة من المستوطنات ينطلق منها السكيث للاعتداء على الممالك المجاورة وأخذ الجزية منها فاستغلّتهم آشور لصالحها، وبعد ظهور قوة الميديين وسيطرتها على بلاد آشور قفل قسم كبير من السكيث راجعاً الى بلاده الأصلية، لكن الدلائل أشارت الى أنهم لعبوا دوراً سياسياً في آسيا حتى بعد عصر هيرودوت نفسه عقب سقوط الامبراطوريتين الميديّة والإخمينية، وأصبح تأريخهم السياسي جانباً من التاريخ الحضاري ليهود ومسيحيي كردستان. وما حملة داريوش بن هيستاسبس الإخميني المشهورة عليهم في آسيا الصغرى خلال نهاية القرن السادس قبل الميلاد (٥١٢ ق.م) وتعبه لهم بسبعمئة ألف رجل، حسب قول هيرودوت^(٦٧)، إلا دليل على كثرة وقوة السكيث في آسيا، على الرغم من أن تلك الحملة كانت أشدّ ضربة لحقت بقباثلهم طوال تأريخهم الطويل. ومع ذلك لم يستطع دارا تحقيق مآربه في الانتصار عليهم بالمفهوم التعبوي للجيش المنظمة بالرغم من عبوره نهر الدانوب ووصوله الى بلاد سكيثيا شمال البحر الأسود. وبشهادة هيرودوت فإن السكيث كانوا يستعملون خطط حرب العصابات ويجرون قوات الإخمينيين الى حلقة فارغة الى أن أوصلوهم الى سهولهم الواسعة جداً في سكيثيا، وهي لحد أواروس Oarus (ويحتمل أنه نهر الفولغا) حسب قول هيرودوت؛ ثم رجعوا الى إستر (نهر الدانوب) في ستين يوماً مجبرين على التراجع يائسين، ثم أرسلوا لداريوس طيراً وفأرة وشفدعة مع خمسة سهام، وكان كل هذا يعني: أنكم أيها الفرس إذا لم تطيروا مثل هذا الطير في السماء، وإذا لم تختفوا مثل هذه الفأرة تحت الأرض، وإذا لم تقفزوا الى البحيرات مثل هذه الشفدعة، فإن هذه السهام تنتظركم إن لم ترجعوا الى بلادكم^(٦٨).

(٦٧) هيرودوت، الكتاب الأول، الفصول ١، ٢.

(٦٨) المصدر نفسه.

وبعد فقدته لعدد كثير من رجاله، قفل داريوس راجعاً إلى بلاده، وكان الاغريق (الإيونيون) يستعدون على نهر الدانوب لملاقاة قواته، ولكنه لم يعبر نهر تيراس (دنيستر) حيث كان السكيث هنا مختلطين بالأغريق وكانت التجارة بينهم في جميع منطقة أولبيا نشطة.

كان ملك السكيث أيام داريوس هو ايدانثيرسوس والد الملك آريابيثيس الذي تزوج من ثلاث نساء، إحداهن كانت يونانية من إيستروس وأخرى سكيثية والثالثة تراقية، وقد انتشر أبنائه في مناطق عديدة كل حسب انتماء والدته. ومات أحد أبنائه المدعو (أوكتاما ساديس) أيام هيروودوت في القرن الخامس قبل الميلاد وكان من زوجته الثالثة الذي حكم في ستيد Stead.

لقد حاول ملوك السكيث التعاون مع اليونان ضد الفرس الاخمينيين، لذلك قام الملك آريانتاس ببعض الإصلاحات في جمع رجال الجيش واستحداث أسلحة من البرونز، ثم بدأ الملوك من بعده التعاون مع الملك الاسبارطي كليومينيس الأول على أن يهاجموا الفرس من جهة فاسيس Phasis والاسبارطيون من جهة أفسوس Ephesus. وبمرور الزمن وقع السكيث في حروب مع قوى مختلفة عبر التاريخ، حيث وقع الملك أتبي السكيثي في حرب مع فيليب الثاني المقدوني، وهاجم زوبيريون، نائب الاسكندر المقدوني في تراقيا، عام ٣٣١ ق.م. السكيث الأوليفي إلا أن هؤلاء أبادوا جيشه. وفي النهاية تمازج هؤلاء مع السرمات في وقت متأخر، وفي الواقع لم يكن هؤلاء السرمات غرباء عنهم، لأنهم كانوا طائفة نصف سكيثية من ناحية اللغة ذات عرق هجين وعادات خاصة بها كتحكم النساء في السلطة ومشاركتهن في الأعمال الحربية وعدم زواجهن من الرجال الذين لم يقتلوا الأعداء. وقد ادعى بلينيوس أنهم انحدروا من الميديين^(٦٩) رغم ما ادعاه هيروودوت بأن السرمات ظهرت نتيجة زواج السكيث بالنساء الأمزونيات اللاتي جلبوهن في القوارب عبر نهر الدون^(٧٠).

(٦٩) دائرة المعارف التاريخية السوفياتية، مادة السكيث.

(٧٠) هيروودوت، الكتاب الأول، الفصل ١٤٣.

من كل ما جاء يتبين أن أسلاف اللان، وان تراجع أغلبهم أمام قوات داريوس الإخميني إلى بلاد سكيثيا، إلا أن اللقاء بينهم وبين الميديين في بلاد الكرد الحالية كان الأساس في التغييرات القومية التي حصلت داخل حدود ممالك آشور وأورارتو وماننا وكانت حصيلته نشوء بوادر القومية الكردية.

تقابل الأحفاد والولدان أو لقاء الكرد والآلان

توفرت الشروط الذاتية والموضوعية لتكامل القومية الكردية في شمال وادي الرافدين وغرب إيران قبل ميلاد السيد المسيح ببعض القرون، لعب أبنائها دوراً رئيسياً في تأريخ المنطقة المذكورة التي كانت دائماً العارض الطبيعي لنزوح الأقوام البدوية من إيران أو قفقاسيا نحو بلاد الرافدين على مر العصور. وقد اشتد هذ النزوح منذ انهيار الحكم الإخميني وبداية العصر الهليني في الشرق. وكان اللان (الآلان) من أوائل العناصر البدوية، قبل ظهور الترك، التي حاولت النزوح إلى كردستان عن طريق اذربيجان وأرمينيا، ودونت أخبارها في العصر الروماني بشكل جيد. دوّن بعض كتّاب الدولة الرومانية في أواخر الألف الأول قبل الميلاد، أخباراً عن الحالة السياسية في آسيا الصغرى وجهات قفقاسيا وذلك باشتراكهم في الأحداث التي تتعلق بالصراع الروماني - الفرثي، أو بالأخص أثناء حروب ميثرادات السادس المشهور بملك البنطس (١٣٢ - ٦٣ ق.م) وحملاته على السكيث والسرقات والآلان. وقد توسع مجال تدوين أخبار هذه البلاد عند وصول كل من القائدين الرومانيين لوكولوس Lucullus وبومبي Pompeyus مع القوات الرومانية إلى مشارف بحر قزوين والتخوم القفقاسية بعد ان أخضعوا آسيا الصغرى.

كان لوكولوس (نحو ١٠٩ - ٥٧ ق.م) قائداً لجيش روماني حارب ميثرادات السادس في آسيا الصغرى وأرمينيا، كما تعقب الملك

الأرمني تيكران الكبير، وحالف الملوك المحليين ومنهم ملك بلاد الكرد (كوردويني). ثم خلفه بومبي (١٠٦ - ٤٦ ق.م) في قيادة ذلك الجيش لمحاربة ميثرادات، وكان في الأصل أحد السياسيين والعسكريين المتميزين الرومان الذين وصلوا إلى مرتبة القنصل في روما^(١). وقد سجل المؤرخ والفيلسوف اليوناني بلوتارخوس (٥٠ م.

(١) هناك عدد من الملوك حملوا اسم ميثرادات (ويعني في اللغات الإيرانية عطاء ميثرا). فميثرادات الأول، ويعرف بعض المرات بالأرساكيس السادس هو ملك البرث الذي حكم بين ١٧١ - ١٣٨ ق.م وخلف أخاه فراهات الأول واستطاع استرجاع مقاطعة ميديا من يد القائد السلوقي تيمارخوس قبل عام ١٦٠ ق.م. أما في الشرق فقد استولى على تبوريا وتراكسيانا وسيطر كذلك على عيلام واحتل بابل في ١٤٢ أو ١٤١ ق.م، لكن ديمتريوس الثاني نيكاتور الملك السلوقي استعاد منه بابل. وقد اشتهر بحبه للهلية أي الحضارة اليونانية، لذلك اشتهر باسم فيلهيلين.

وميثرادات الثاني (توفي في ٨٨ ق.م) حكم الامبراطورية البرتية فيما بين ١٢٣ - ٨٨ ق.م وكان ابن وخليفة ارتبان الثاني. وقد استطاع ان يستعيد البلاد التي هيمن عليها السكيث (الساكا) في الحدود الشرقية لامبراطوريته البرتية. وغلب الملك أرتفاسدس الذي أصبح ابنه تيكران الأول ملك الأرمن قريه عن طريق الزواج بعدما تنازل الأول عن مقاطعة هفتادول (الوديان السبعون) للملك البرثي. ومن أشهر انتصارات ميثرادات الثاني هي حروبه ضد روما عام ٩٢ ق.م.

أما ميثرادات السادس الملقب بـ(أيوپاتور) فقد حكم بلاد البنطس Pontic فيما بين ١٢٠ - ٦٣ ق.م حوالي البحر الأسود (في باتيكابايوم وهي منطقة كرج المعاصرة في أوكرانيا الحالية) أي سكيثيا القديمة. عزل ميثرادات أمه التي حكمت محل والده بعد موته، ثم استولى على مقاطعات حوالي البحر الأسود، واشتهر كمحارب شديد وقف أمام الزحف الروماني في آسيا الصغرى. واستولى عام ٩٠ ق.م على بثينيا الواقعة بين بلاده ومناطق النفوذ الروماني في الأناضول الحالية. ثم استولى على كيدوكيا وتجمع تحت لوائه كثير من المدن الآغريقية في غرب وجنوب الأناضول. وخاض عدة معارك مع القوات الرومانية لكنه تراجع أخيراً إلى بلاده أمام قوات نيكوميديس الثالث ملك بثينيا المتحالفة مع الجيش الروماني. وبعد ثورة جنوده عليه أمرهم بأن يقتلوه. لقد كان ميثرادات السادس حماً للملك الأرمني تيكران الكبير المار الذكر. وعاش هذا الأخير فيما بين ١٤٠ - ٥٥ ق.م واشتهر كذلك بتيكران الأول بعدما أصبح ملكاً على الأرمن عام ٩٥ أو ٩٤ ق.م ووصلت المملكة الأرمنية في زمانه إلى عز قوتها لمدة قصيرة بعدما تحرر ورجع إلى بلاده مقابل مقاطعة هفتادول المارة الذكر التي كانت تقع على حدود ميديا، وبعد مدة قام تيكران بحملات على بلاد سوزيفيني (الواقعة على شرق نهر الفرات) وعقد حلفاً مع ميثرادات السادس ملك البنطس وتزوج ابنته المسماة كليوباترا وهاجماً معاً بلاد كيدوكيا في آسيا=

١٢٥ م) الذي جال في الشرق أخباراً طريفة عن دور الكرد في منطقة آميد (دياربكر الحالية) مركز بلاد كورديني (كوردويني) في ذلك الصراع الروماني - الفرثي - الأرمني - البنطسي؛ ويشير في كتاباته بإسهاب إلى اشتراك عدد آخر من السكان المحليين في شرق آسيا الصغرى وجنوب قفقاسيا المغلويين على أمرهم من قبل الملك الأرمني تيكران وحميه ميثرادات السادس في جميع المعارك التي دارت بين هؤلاء جميعاً ويقول انه:

«اقتيد هؤلاء عندما قهر تيكران آنذاك بعض المدن في فينيقيا، وقد كسب آتلي زعماء كثيرين إلى جانبه، وذلك باخضاعهم قسراً لمملكة أرمينية بدون ان يرغبوا في ذلك. ومن بين هؤلاء الزعماء كان (زاربيون Zarbienus) ملك الكورد Gordyenian، ووقفت إضافة على ذلك كل مدينة محتلة مع تيكران على حدة».

وبعد انتصار لوكولوس على تيكران، يضيف بلوتارخوس أنه:

«ذهب إلى تيكرانوكرتا (المدينة الكردية الحالية ميفارقين التي بناها تيكران في الأصل... ج.ر) وحاصرها، وكان فيها عدد كثير من اليونانيين الذين رحلوا إليها من قيليقيا. ولنفس السبب كان فيها البرابرة (غير اليونان... ج.ر) والكيدوكيون الذين دمرت مدنهم الأصلية».

ويستمر بلوتارخوس في كلامه قائلاً أن:

= الصغرى، ثم دخل في حرب مع البرت في جنوب بحر قزوين. وبعد موت ميثرادات الثاني البرثي استرجع مقاطعة هفتادول واستولى على مقاطعات كبيرة في ميديا وسمى نفسه بملك الملوك واعترف به كل من ملوك ايبيريا وألبانيا وانتصر على السلوقين بسوريا وبنى مدينة تيكرانوكرتا (ميفارقين الحالية).

أما لوكوللوس Lucullus (نحو ١٠٩ - ٥٧ ق.م) فكان قائداً رومانياً حارب ميثرادات وتعقب تيكران، لكن بومبي (١٠٦ - ٤٨ ق.م) أخذ مكانه بأمر من مجلس الشيوخ الروماني، فأصبح هذا أحد القناصلة الثلاثة الذين اشتهروا في التاريخ بالتحالف الثلاثي وحكموا الامبراطورية الرومانية. وقد حدث خلافات شديدة بين هؤلاء السياسيين والعسكريين وخاصة بعدما استولى بومبي على سوريا ودخل مصر، ثم رجع إلى روما حيث استقبل استقبالاً حافلاً مما أزعج منافسيه من السياسيين.

«كثيرين من الأرمن والكورد وجميع قوات الميديين وأهل الخدياب أتوا تحت قيادة ملوكهم إليه في حين وصل العرب عنده من جهات البحر الواقعة فيما وراء بابل. ومن جهات بحر قزوين جاء الألبان والايبيريون (الداغستانيون والجيورجيون... ج.ر) وما يجاورهم من الأقوام المستقلة التي تعيش حوالى نهر آراكس دون ملوكهم، وتوسلوا ان يستخدمهم كمرتزقة»^(٣).

ثم يقول بلوتارخوس ان الكورد:

«فضلوا ترك مواطنهم مع نسائهم وأطفالهم ليتبعوا لوكولوس، وكان صبر ملك الكورد زاريون قد نفذ من ظلم وطغيان الملك الأرمني تيكران، لذلك اتصل سراً بـ(أبيوس Apius) لكي يتحالف مع لوكولوس؛ إلا انه اكتشف امره عند تيكران، وقضى هذا عليه وعلى زوجه وأطفاله قبل وصول الرومان إلى أرمينية. وهكذا لم ينس لوكولوس هذا الحدث، فأقام بين الكورد احتفالاً مهيباً لشرف مراسيم دفن زاريون، وزين المآتم بأكداس من الألبسة والكسوة الملكية والذهب والفضة وأسلاف تيكران، وقد أوقد نار الاحتفال بنفسه، وشهد في قصر ملك الكورد كنوز هائلة من الذهب والفضة وغلال لا يقل عن ثلاثة ملايين وزنة من الحنطة والشعير»^(٣).

وفي نهاية هذه الحروب التي جرت في شرق آسيا الصغرى وفي بلاد الكورد لم يكن أمراً غريباً أن يوجد بين الأسرى الذين قبض عليهم بومبي بالإضافة إلى ابن تيكران وزوجه وابنته وزوسيم زوجة تيكران نفسه وكذلك شقيقة الامبراطور ميثرادات الفرثي مع أبنائها الخمسة، مجموعة من نساء السكيث (الآلان القدماء)^(٤) الذين كانوا يشكلون جزءاً من القوات الفرثية والأرمنية في تلك البلاد.

مهما يكن من أمر، فعندما حل بومبي مكان لوكولوس في قيادة

(٢) Plutarch, The Life of The Noble Grecians and Romans, «Lucullus», Encyclopaedia Britannica, Inc. P. 409, 412, 414.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٢٠.

القوات الرومانية في آسيا، تقدم الأول بهذه القوات نحو بحر قزوين بعد ان استطاع قطع مسافة طويلة خلال ثلاثة أيام لكنه رجع إلى أرمينيا بسبب انتشار ثعابين سامة في طريقه. وبينما كان هناك، أرسل كل من ملك العيلاميين وملك الميديين سفراءهم إليه حيث استقبلهم بترحاب. وكان ملك الفرث في هذا الوقت يغزو بلاد الكرد (كوردويني) كما نهب حاجيات تيكران، وقد لحقته قوة عسكرية بقيادة (أفران Afranius) ثم هزمه وطارده بومبي بعيداً لحد مقاطعة أريلا (أرييل).

في الواقع ان مقاطعة كوردويني كان قد حكمها خلال القرن الأول قبل الميلاد ملوك مستقلون. وأثناء الحرب الثالثة لميثرادات ملك البنطس، وعندما قاد لوكولوس عساكر الروم إلى هذه البلاد، كان يحكم هذه المقاطعة الملك زاريون كما ذكر، ثم تبعه الملك باسيلوس. ومن بعد تلك الحروب سلم الحكم هنا إلى أريوبارزان Ariobarzanes الأول الكيدوكي. وقد هاجم فرهاد الثالث الفرثي هذه المقاطعة، وبأمر من بومبي طرد أفران الذي بعث لتولي الحكم في هذه البلاد الكردية عام ٦٥ ق.م^(٥).

ومن جهة أخرى؛ ففي حوالي بداية العصر المسيحي غدا اسم الآلان معروفاً في شرق آسيا الصغرى، ويعتقد ان ظهورهم هنا كان انعكاساً لتحرك الكوشان من مواطنهم في أواسط آسيا حينما انقسمت السمرات إلى مجموعات، اللازكيون الذين سكنوا في الوديان السفلى لغرب نهر دنيبر، والروخسلانيون (روخس آلان) الذين عاشوا بين نهري الدنيبر والدون وظل الباقيون باسم الآلان الذين توغلوا في القرن الأول إلى جبال قفقاسيا^(٦). وبشهادة كل من المؤرخين الرومانيين ديون

(٥) حول هذا الموضوع انظر المصدر نفسه، ص ٥١٦ وما بعدها؛ انظر كذلك د. جمال رشيد أحمد، دراسات كردية في بلاد سوبارتو (بغداد، ١٩٨٤)، ص ٧٦، وحول الكردوخيين انظر:

F.H. Weissbach, «Kardukbob» Paulys R.E. X 2, (Stuttgart, 1919).

Colin MC Evedy, Op. Cit. p.68, 78.

(٦)

كاسيوس ويوسيفوس فلافيوس^(٧) وغيرهما، كانت القبائل الآلانية قد انتشرت من هنا في ميديا وآسيا الصغرى إلى داخل حدود الامبراطورية الرومانية. وقد بين بلينيوس (٢٣ - ٧٩ م)^(٨) بوضوح أن الآلان المساكيت كانوا سكان مدينة مساكيت (مسقط العصر الاسلامي) الواقعة في السواحل الغربية لبحر قزوين.

لقد استمر انتشار اللان في هذه المناطق حتى في العصرين الفرثي والساساني. وقد وصل الأمر بالملك الساساني (خسرو) إلى أن يعقد اتفاقاً مع الامبراطور البيزنطي جوستنيان يتقدمه بند يلتزم الفرس بموجبه بـ:

(عدم السماح لقبائل الهون والآلان بالتوغل في الامبراطورية الرومانية خلال ممرات الخزر)^(٩).

وان الرحلات الرعوية التي قامت بها القبائل الآلانية بشكل عام في المناطق المختلفة صورتهم المراجع المختلفة التي ترجع إلى القرون ١ - ٣ الميلادية كـ:

(٧) ديون كاسيوس، تاريخ روما، Dio. Cas. LXIX, 15 يوسف الفلاوي، الحرب اليهودية، Jus. Ant. VII, 4, 7.

انظر كذلك:

N.S. Debevoise, Political History of Parthia. (Chicago, 1983), p. 20FF;
F. Smirnov, Savromat. M. 1964, Str.3,

وانظر أيضاً: موسى الخوري، الكتاب الثاني، الفصل ٥.

(٨) بليني، التاريخ الطبيعي N.H.، الكتاب الثاني، الفصل ١٢. يعتبر بليني (بلينيوس) ٢٣ - ٧٩ م من علماء الطبيعة الرومان كاتباً وإدارياً معروفاً، ألف مجموعة من الكتب ضمن فيها أخبار قبائل مختلفة في أوروبا، ولكن لم يبق منها إلا مؤلفه الوحيد (التاريخ الطبيعي) وهو يتألف من ٣٧ جزءاً. اقرب من بركان فيزوف عند انفجاره ليتأمله عن كتب فاختنق.

(٩) أحمد عبدالقادر اليوسف، الامبراطورية البيزنطية؛ دائرة المعارف التاريخية السوفياتية، مادة الآلان؛ الدكتور جمال رشيد أحمد، دراسات كردية في بلاد سوبارتو، ص ٩٨، ٩٩ هـ. سانت ب. موس، ميلاد العصور الوسطى ٣٩٥ - ٨١٤ م، (القاهرة، ١٩٦٨) الترجمة العربية؛ الدكتور محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (بيروت، ١٩٨٢)، والدكتور محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية (بيروت، ١٩٨١).

«سكان سهول شمال قفقاسيا سواء كان هؤلاء قد ارتحلوا إلى أواسط آسيا أو إلى أماكن أخرى»^(١٠).

وفي القرن الرابع الميلادي وصفهم أميانوس مركلينوس^(١١) على أنهم قوم لا يعرفون الزراعة ولا العبودية وكانوا يعيشون في العربات التي كانت تنقلهم من مرعى إلى آخر تجرها الخيول التي امتازوا بها، وإن هذا النوع من الحياة الاقتصادية أدى إلى فقدان الاستقرار لديهم داخل المدن الكبيرة أو بجانب المراكز المقدسة أو المعابد الدينية. ويقول اقرار علفف:

«إن اللغة في أتروباتينا (اذربيجان... ج.ر) كانت في هذه المرحلة قريبة من اللغة الألبيرية. وفي نفس هذه المنطقة تواجدت القبائل السرماتية - الآلانية في وقت متأخر نوعاً ما. والمواد التي اكتشفت هنا تؤدي بنا إلى الاعتقاد بأنه خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين ظهر هؤلاء في اذربيجان ثم اتجهوا نحو إيران، وأكدت هذه الحقيقة لا المصادر الكتابية فحسب، وإنما النقوش والآثار التي اكتشفت هناك بالإضافة إلى الآثار المطمورة التي ترجع إلى القرنين الثاني والثالث الميلاديين أبقتها هذه القبائل في مناطق قفقاسيا. واستمر

(١٠) I. De Guignes, Op. Cit. p. 279.

(١١) أميانوس مركلينوس مؤرخ روماني شهير، وهو يوناني المنشأ، ولد في أنطاكية، وشارك في الحروب التي وقعت بين الرومان والإمبراطورية الساسانية ثم انتقل إلى روما حيث كتب مؤلفه (مأثر Res Gestae). وهناك نظرية تنسب إليه مفادها أن اسم الآلان ينحدر من اسم جبل في ألبانيا. انظر كتابه: الثلاثون، الفصل ٢٢، الفقرة ١٢. كان أميانوس آخر مؤرخ روماني رحىن ذا تفكير عميق وحاد، رغم أنه عاش في فترة بلغت فيها الثقافة درجة بالغة من الانحطاط. لقد امتعن الحياة العسكرية واشترك في عدة حملات إلى جانب الإمبراطور يوليانوس، وأطلع هكذا على أمور عديدة أثناء تنقلاته، وكان قد بلغ الستين من عمره عندما بدأ بتدوين مؤلفه (التأريخ) الذي ضم ٣١ جزءاً، وقد بدأ بتدوين الأحداث حيث كان قد توقف متقدمه المؤرخ تاكيثوس. حاول أميانوس أن يظل حيادياً وأميناً للحقيقة، ولا تقتصر مهمة التأريخ بالنسبة إليه على تعداد الوقائع بل يجب العمل على جمعها وربطها بالأحداث الكبرى، وحاول أن يهتدي إلى تفسير منطقي للتأريخ.

استيطان قبائل السرمات ومن بعدهم الآلان في هذه المناطق خلال القرون التي تلت هذه المرحلة^(١٢).

ثم انحدرت قبائل (ماساك - آلان) من خلال الدربند (مدينة الباب) في القرن الأول الميلادي إلى المناطق المحيطة ببحر قزوين وإلى أذربيجان. وتحدث كتاب الأرمن والعرب عن الـ(مزكوت Mazkut) كشعب يعيش حوالى بحر قزوين بجانب الألبان^(١٣). ويشير المؤرخ الأرمني موسى الخوريني إلى وصول هؤلاء إلى شمال غرب أذربيجان وعبرهم إلى ما وراء القفقاس عام ٧٢ الميلادي حينما أصبحوا حلفاء الملوك الأيبيريين مخترقين ممر الدريال بمجموعات هائلة نحو ميديا وأرمينيا^(١٤). ولاشك أنهم أثروا على سكان أذربيجان القدماء الذين كان أغلبهم ميديين وغيرهم يتداولون لغات تنتمي إلى العالم الإيراني الذي هو عالم اللغة الآلانية، وقد اشتهرت منطقة (كامبيسي Kambisene) التي دون اسمها من قبل المؤلفين القدامى على أنها مركز تجمع الآلان منذ السبعينات من القرن الأول الميلادي كما كان الحال مع منطقة سكاسيني (شاكى) بالنسبة لأسلافهم السكيث. وقد أدت هذه الحقيقة ببطوليمي (بطليموس) إلى أن يفهم من (السرمات الآسيوي) كل المناطق الواقعة على بحر قزوين بدءاً من نهر فولغا إلى نهر الكر^(١٥). وفي بداية السبعينات من القرن العشرين، وجدت بعثة الآثار اليابانية في منطقة (ديلماني) بعض المدافن التي كانت تحتوي مواد تشير إلى تقاليد سرماتية - آلانية لمراسيم الدفن.

وبمرور الزمن أصبح الآلان يشكلون خطراً يهدد مصالح الفرث والرومان في جهات قفقاسيا التي كانت تمثل نقطة الصراع بين

(١٢) Igrar Aliev, Istoriya Iranskogo Gosudarstva I Kulturi M. (1971), Str. 199, 200.

(١٣) مينورسكي، فصول من تاريخ الباب وشيرون، ص ٦٤.

(١٤) موسى الخوريني، المصدر نفسه.

(١٥) إقرار عليف، تاريخ الدول والحضارات الإيرانية، ص ٢٠٥.

الامبراطوريتين الشرقية والغربية. وكانت كل منهما تحاول ان تستغلهم لصالحها في القضاء على النفوذ السياسي للجانب الآخر هناك. وقد ظل هذا الصراع قائماً بين الامبراطوريتين الى أواخر عهدهما، واستمر في العصر الساساني البيزنطي، لكن حدث تغيير في موقف اللان عندما مالوا نحو المسيحية بتأثير الكنيسة الجيورجية في القرن السابع الميلادي^(١٦). وغدت بلاد الثغور (الاصطلاح العربي الاسلامي لقفقاسيا) وارمينيا وحتى جيورجيا موضع خلاف دائم بين ملوك آل ساسان وأباطرة بيزنطة. وقد اشتد ذلك الصراع بعد انتشار المسيحية في تلك البلدان واتخاذ قياصرة القسطنطينية من الدفاع عن الأقوام المسيحية هناك حجة لتحقيق مقاصدهم الأخرى. وكانت الخلافات بين القوتين تؤدي أحياناً إلى نزوح بعض الأقوام نحو الجنوب من خلال الممرات القفقاسية. لذلك أغضى كسرى أنوشروان على ما كان من أعمال، حسب قول الطبري الذي يشير إلى ان:

«أمة أبخز وأمة يقال لها خزر وأمة يقال لها اللان حينما تماثلوا على غزو بلاده وأقبلوا على أرمينيا ليغيروا على أهلها... وحتى إذا تمكنوا في بلاده وتجه إليهم جنوداً فقاتلوهم واصطلموهم ما عدا عشرة آلاف رجل منهم أسروا فأسكنوا في اذربيجان ومادالاها»^(١٧).

وعلى هذا الأساس:

«ففي مدينة الشابران ومسقط، وفي مدينة باب الأبواب (دربند) الحصينة، أسكن كسرى قوماً سماهم

(١٦) دائرة المعارف التاريخية السوفياتية، مادة الآلان.

(١٧) راجع الطبري، تحقيق نولدكه، ص ٨٩٥، ١٥٧ وما بعدها. وجاء القول نفسه في النسخة العربية لكتاب آرثر كرستنس، إيران في عهد الساسانيين (القاهرة، ١٩٥٧)، ص ٣٥٤، كذلك انظر: فتوح البلدان للبلاذري، نشر دي كويه، ص ١٩٤ - ١٩٥ طبعة شتوتكارت ١٩٢٣م.

السياسيين^(١٨)، وأقام من هؤلاء القوم حاميات في مناطق عديدة من البلاد الأرمنية التي أخذها من الرومان. وبنى بأرض جرزان (جيورجيا... ج.ر) مدينة يقال لها صفدييل وأنزلها قوماً من الصفد وأبناء فارس وجعلها مسلحة^(١٩).

وكان:

«مبعوثو بلاد الخزر وآلاني ينتظرون في مدينة باب الأبواب (در بند) عند قدومهم إلى بلاط الملك الساساني».

على حد قول آرثر كريستنسن المتخصص الدانماركي في التاريخ الساساني. وقد ذكر هذا القول في حينه ابن خردادبه أيضاً بقوله:

«وكان كسرى يحجب من خمسة وجوه يحجب عنه من قدم من الشام من هيث ومن قدم من الحجاز من العذيب ومن قدم من فارس من حريفين، ومن قدم من الترك من حلوان، ومن

(١٨) أشار ابن خردادبه إلى هذا الاسم بصيغة سيسجان كمناطق جغرافية (انظر: ابن خردادبه، المسالك والممالك (لیدن: بريل، ١٨٨٩، ص ١٢٢). وقد ذكر ابن الأثير خبراً عن السياسيين حينما أشار إلى أن «حبيب بن مسلمة نزل على نهر ديل وأتى سيسجان فحاربه أهلها فهزمهم وسار إلى جرزان... الخ». انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء الثالث (لیدن: بريل، ١٨٦٨)، ص ٦٦. ومن جهة أخرى فقد أشار إليهم ابن الفقيه أثناء حديثه عن أزان وارمينيا بصيغة السياسيين (وهم في الواقع السياسيين) ويقول: «وجعل أنوشيروان في الفراسخ السبعة سبعة مسالك. على كل ملك منها مدينة قد رتب فيها قوم من المقاتلة الفرس يقال لهم السياسيين». انظر: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان (لیدن: بريل، ١٣٠٢ هـ/ ١٨٨٥)، ص ٣٩١، كما اعتبر ابن رسته سيسجان إحدى كور اذربيجان. انظر: ابن رسته، الأعلام النفيسة (لیدن، ١٨٩١)، ص ١٠٦. وراجع بعض التوضيحات لهذا الاسم عند مينورسكي، فصول من تاريخ الباب وشيروان (موسكو، ١٩٦٣)، ص ٣١، النسخة الروسية.

أما البلاذري فيقول في هذا الصدد ما يلي:

«أنوشروان كسرى بن قباد بنى مدينة الشاهران ومدينة مسقط ثم بنى مدينة الباب والأبواب، وإنما سميت أبواباً لأنها بنيت على طريق في الجبل وأسكن ما بنى من هذه المواضع قوماً سماهم السياسيين» ثم يضيف قائلاً: «أنه بنى قلاعاً بأرض سيسجان منها قلعة الكلاب وساهيونس وأسكن هذه الحصون والقلاع ذوي البأس والنجدة من سياسية» انظر: البلاذري، فتوح البلدان (القاهرة، ١٩٥٩)، ص ١٩٨.

(١٩) الطبري، المصدر نفسه، كذلك البلاذري، المصدر نفسه.

قدم من الخزر واللان من الباب والأبواب ويكتب بأخبارهم
ويقيمون إلى ان يرد أمره فيهم»^(٢٠).

ثم أدى الصراع الساساني - البيزنطي في النهاية إلى ان:

«يوقف هرقل الزحف الذي قامت به جيوش الفرس فاستعاد
آسيا الصغرى، وتقدم طارداً جيوش كسرى في ارمينيا
واذربيجان واستولى سنة ٦٢٣ وسنة ٦٢٤م على مدينة
جنزك Ganzak (وهي كنجه أو جنزه عاصمة الدولة
الشدادية الكردية في القرن العاشر الميلادي... ج.ر). وفي
السنوات التالية استولى الخزر على دربند وتحالفوا مع
الامبراطور، ثم غزا هذا وادي دجلة واستولى سنة ٦٢٨م
على قصر الملك الساساني في دستكرد واستعد لحصار
المدائن»^(٢١).

ومع اطلالة القرن السابع ولحد القرن العاشر الميلاديين دخل اللان
الساكنون في داغستان إلى كوبان (وهي الآن تابعة إلى مقاطعة
كراسنودار في شرق بحر آزوف وعلى مشارف قفقاسيا من جهة
الشمال الغربي في روسيا الاتحادية... ج.ر) ضمن السلطة الخاقانية
الخرزية، ثم بدأوا يحاربون الخلافة الاسلامية العربية والامبراطورية
البيزنطية والسلطة الخاقانية الخزرية. وقد اكتشفت آثار تخص هؤلاء
وترجع إلى القرون ٨ - ١١ الميلادية في مدن مثل أرخييسكو
وجولات العليا والسفلى وتلال أرخون بالتا وجيم وغيرها. وخلال
القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ساد بين آلانيي قفقاسيا النظام
الاقطاعي ونضج هذا النظام حتى غدا عند تطوره خطراً على الخزر
والأنظمة الاسلامية التي ظهرت على تخوم البلاد القفقاسية ومنها
الدولة الشدادية الكردية، وخاصة عندما اتحدت القبائل اللانية في
وحدات قوية كبيرة خلال القرن العاشر ولحد الثاني عشر الميلاديين

(٢٠) ابن خرداذبه، المصدر نفسه، ص ١٧٣، وانظر كذلك: أ. كرمستن، المصدر نفسه،
الصفحات ٣٥٤، ٣٩٩، ٤٣١.

(٢١) كرمستن، المصدر نفسه.

حيث ظهرت هذه الوحدات بمظهر دولة^(٢٢)، وقد سرد ابن رسته في هذا الوقت (٣٠٠هـ/٩١٢م) بعض جوانب نظامهم قائلًا:

«تخرج عن يسار ملك السرير فتسير في جبال ومروج مسيرة ثلاثة أيام فتصير إلى ملك اللان. وملك اللان في نفسه نصراني، وعامة أهل مملكته كفار يعبدون الأصنام، ثم تسير مسيرة عشرة أيام بين أنهار وأشجار حتى تنتهي إلى قلعة يقال لها باب اللان وهي على رأس جبل وأسفل الجبل طريق وحواليه جبال شاهقة ويحرس سور هذه القلعة كل يوم ألف رجل من أهلها مرتبون بالليل والنهار، واللان أربع قبائل، فالشرف، الملك منهم في قبيلة يقال لها دحساس (الخطأ من الناسخ، والصحيح هو روخساس أي الآس البيض... ج. ر.) وملك اللان يقال له بغاير اسم لكل من ملك عليهم، ومدينة الباب والأبواب ممدودة من رأس جبل القيق أي بحر الخزر ويدخل في البحر ثلاثة أميال»^(٢٣).

وعلى ما يظهر من أقوال ابن رسته وغيره من البلدانين المسلمين فإن

(٢٢) يقول الدكتور حسين قاسم العزيز بأن «العبودية كانت تسود بلاد أذربيجان وأرمينيا حتى القرن الرابع الميلادي وقد عانت بلاد القفقاس من الاستغلال الطبقي في عهد العبودية بالإضافة إلى أنها كانت مسرحاً للحروب الرومانية - الإيرانية وكان أهل البلاد من جراء ذلك عرضة للقتل والسلب والنهب وكانوا تحت قبضة السادة ملاك العبيد والمغتصبين الأجانب، غير أن تطور الزراعة واستخدام المعادن بكثرة ونمو التجارة في القفقاس أوجد الامكانيات للانتقال إلى العهد الجديد - عهد الاقطاع - وذلك بخلق الأزمة لمجتمع العبيد، عندما أصبح هناك تعارض بين القوى المنتجة وبين العلاقات الانتاجية، ولقد اختلق في رحم مجتمع العبيد - نواة النظام الجديد - المجتمع الاقطاعي، بنشوء السادة ملاك الأراضي - الاقطاعيين - وبظهور الفلاحين الفاقدين لحريةهم وأراضيهم وذلك لتطور الزراعة وخاصة زراعة الكروم في أذربيجان (ألبانيا) وتطور الحرف وانتشار التجارة في أرمينيا خلق الظروف لنشوء المجتمع الاقطاعي... وكان الأحرار في أرمينيا وألبانيا يطلق عليهم (آزاتي) وغير الأحرار يطلق عليهم (أنازاتي)». حول تفصيلات هذا الموضوع انظر:

حسين قاسم العزيز، البابكية أو النفاضة الشعب الأذربيجاني ضد الخلافة العباسية (رسالة دكتوراه من جامعة موسكو عام ١٩٦٦. بيروت، ١٩٧٤)، ص ٤٦، ٤٧ الترجمة العربية.

(٢٣) ابن رسته، الأعلام النفيسة، ص ١٤٨.

المسيحية كانت في هذه المرحلة هي الديانة الرسمية للطبقات الحاكمة للآلان، ويرجع الفضل إليها في انتشار الكتابة بينهم والتي استندت في الأصل على الخط اليوناني، كما تطور عندهم الفن بمختلف مجالاته، وأسسوا المعابد والكنائس ونحتوا تماثيل جميلة، كما كان لهم أيضاً شأن في الأدب والملاحم، وغدا هذا جزءاً من تراث الأوسيتين اليوم في قفقاسيا.

كان للآلان، فيما بين القرون ١٠ - ١٣ الميلادية، علاقات سياسية مع الجيورجيين والروس وبيزنطة، لكن القومية الآلانية - الأوسكية (الأوسيتية) ومقوماتها تكاملت في الواقع فيما بين القرون ٨ - ١٢ الميلادية^(٢٤). أما بعد القرن الثاني عشر فظهرت عندهم الحياة الحضارية وأصبحوا شعباً معروفاً، بدأ بتدوين ملحمة بطولية متفوقة، ثم دامت مظاهر تلك الحضارة المتطورة لهذا الشعب إلى حد الغزو التتري - المغولي وفتوحاتهم في جهات قفقاسيا عام ١٢٢٢ م. ومع اطلالة القرن الرابع عشر انتشر بين الآلان الدين الاسلامي وأصبح اسمهم لحد القرن التاسع عشر يعني الصديق أو الجار عند شعوب شمال قفقاسيا^(٢٥). وقبل أفول نجم الآلان في العالم القفقاسي بسبب تلك الغزوات، كان أغلب هؤلاء يمتنعون الرعي وقليلاً من الزراعة والصناعة البسيطة وكانوا في علاقات اجتماعية تستند على نوع من الاتحادات القبلية التي يقف على رأسها زعماء قبليون، يجاورون الكرد على مشارف قفقاسيا من جهة الجنوب، وكان الكرد في هذه المرحلة يعيشون داخل نظام سياسي كردي اسلامي يمثلهم بالدرجة الأولى أمراء الأسرة الشدادية ثم الروادية في كل من كنج و تبريز، وكان هذان الشعبان مرتبطين ببعض الروابط اللغوية في الأصل قبل أية رابطة أخرى، مما سهّل عليهما سبل اللقاء المباشر، وخاصة بين مجتمعاتهما البدوية قبل استقرار القبائل وظهور التشكيلات السياسية

(٢٤) دائرة المعارف التاريخية السوفياتية، مادة الآلان.

(٢٥) المصدر نفسه.

والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي للشعبين. وفي خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين تصدر اللقاء المباشر بين الاتحادات القبلية ذات النظام الانتاجي المتشابه في القاعدة الاقتصادية للشعبين تباين في قواهما السياسية، وأصبح الكرد يشكلون الطبقات السائدة في اذربيجان وقفقاسيا وبلاد أخرى. فبالإضافة إلى الحكم الأيوبي الكردي في كل من سوريا ومصر وشمال وادي الرافدين، فقد ظهرت الدولة المروانية الكردية في ميفارقين (تيكرانوكرتا القديمة) وآميد (دياربكر الحالية)، كما سيطر الرواديون الكرد على مناطق واسعة من اذربيجان وتمرکزوا في تبريز، ثم علا شأن الشداديين الكرد في مدينة كنجة (جنزه) وحواليها ثم سيطروا على أقسام كبيرة من أرمينيا وجيورجيا حيث نقلوا عاصمتهم فيما بعد إلى (آني) بجيورجيا الحالية، وقد تضاءلت هذه السيادة الكردية على هذه المناطق، إضافة إلى مقاومة النصاري المحليين، بسبب ظهور قوة القبائل البدوية التركية من الشرق بعد قرن وربع القرن من الحكم الكردي في هذه البلاد.

ومع اطلالة القرن العاشر الميلادي؛ بدأت حركات سياسية واسعة في مناطق جيلان (كيلان) و الديلم (طبرستان) وما يحيطها من البلاد الواقعة إلى جنوب بحر قزوين إثر قيام أنظمة سياسية محلية مستقلة عن نفوذ الحكام المسلمين التابعين للخليفة العباسي ببغداد. وتبعهم في ذلك الحدث وكلاء العباسيين في ارمينيا، حيث انضموا إلى تلك الأنظمة التي ظهرت في اذربيجان وأران وبلاد الجرز (الكرج). وقد توسعت هذه الظاهرة في زمن انتفاضة بابك الخرمي (٨٢٠هـ/٨١٦م - ٨٣٧هـ/٨٢٣م) في الأقسام الشرقية من اذربيجان، وخلف تمرده من بعده مجموعة من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والقومية بين الطبقات السائدة من العباسيين والسكان المحليين، ويشير الدكتور حسين قاسم العزيز إلى هذه المشاكل قائلاً:

«ان الانتفاضة البابكية لم تمر كسحابة عابرة في سماء الخلافة العباسية دون ان تحدث تأثيراً يبل انها تركت أثراً جسيماً في النظام الاجتماعي والسياسي معاً، إذ انها زعزعت كيان الخلافة وكبدتها الخسائر الفادحة في الأموال والأرواح... مما أضعف

معنويتها وأهبط سمعتها ونفوذها فتقلص نفوذها المركزي على الأطراف مما شجع الأمراء الأرستقراطيين على الاستقلال المحلي كالطاهريين كما شجع الأتراك، فيما بعد، على التطاول على شخص الخليفة، بل إن المعتصم خشي من زعماء الأتراك وكان قد خشي الأفشين^(٢٦).

كانت في هذا الوقت قواعد ومساكن الكرد تقع إلى جنوب أرمينيا (السوفياتية سابقاً) وكانوا يتبعون المذهب السني وقسم منهم من الخوارج، لكن الديلم كانوا من الشيعة، وقد ترك هؤلاء الديانتين الزرادشتية والمسيحية تدريجياً منذ القرن الثامن الميلادي واشتهروا كفرسان محاربين اعتمدوا على الخيول بالدرجة الأولى في تنقلاتهم. وتوجه هؤلاء إلى غرب أذربيجان منذ زمن قديم يسبق العصر الإسلامي وعبروا نهر آراس بعد أن سكنوا تدريجياً في أذربيجان وتوزعوا فيها قبل ظهور الإسلام. وأصبحوا يشكلون القوات المدافعة في هذه البلدان زمناً طويلاً أمام غارات مختلف الأقوام والقبائل التي كانت تحاول الإغارة من مقاطعات قزوين المختلفة نحو الجنوب. وقبل ظهور الإسلام، أشار المؤرخ الأرمني موسى الخوريني (عاش في القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلاديين)^(٢٧) إلى وجود المار (وهي الصيغة الأرمنية لاسم ماد (أي الميديين، حوالى نهر آراكس منذ زمن الملك الأرمني تيكران الكبير (١٤٠ - ٥٥٥ ق.م) في الوقت الذي حاول هذا المؤرخ الأرمني أن يربط في تأريخه المشهور (الكتاب الأول، الفصل ٣٠) بين مختلف الأساطير الأرمنية والایرانية. فهو

(٢٦) حسين قاسم العزيز، المصدر نفسه، ص ٢٦١.

وحول أحوال قبائل الترك في بلادهم الأصلية انظر:

جمال رشيد أحمد، مع بعثة ابن فضلان إلى مدن البغداد والتوران تشع بغداد معالم حضارتها إلى مختلف البلدان. بحث قدم في الندوة العلمية الأولى لكلية التربية الأولى «ابن رشد» بجامعة بغداد فيما بين ٥ - ٧ أيار ١٩٩٠.

(٢٧) عاش موسى الخوريني، المؤرخ الأرمني المشهور، فيما بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين ودون أخبار المراحل القديمة لتأريخ أرمينيا. انظر:

Mosses of Khoren, I, Ch. 30. Trans. to Russian by N.O. Emin, (Moscow, 1893).

يجعل من تيكران ملك ارمينيا، بدافع التعصب، حليفاً لكورش الاخميني في انتصاره على ملك المار (الميديين) رغم التفاوت الزمني بينهما بخمسة قرون تقريباً. ويضيف ان تيكران أعاد إلى الدار؛ بعد الانتصار، شقيقته (تيكرانوهمي) التي كانت زوج الملك الميدي، كما أخذ معه زوجته الثانية (آنوش) مع عشرة آلاف من أسرى المار (الميديين) لإسكانهم على جانبي نهر آراكس خلف السلسلة الشرقية للجبل العظيم (ويعني به جبل آرارات). ثم يصف كبير مؤرخي الأرمن هذا وبتفصيل المنطقة التي أسكن فيها هؤلاء الأسرى من الميديين فيحدها بالأراضي الممتدة من القسم الشرقي من الجبل العظيم آرارات وإلى نخجوان وجولفه ثم إلى أوردوباد على ما يبدو. وكذلك أسكن قسم منهم في حدود كولتغن وتمبات وأوسكيول ودازكونيك وفي مناطق أخرى قرب ضفاف نهر آراكس حيث يسمى أحد روافده بـ(فرانجونيك) مقابل حصن نخجوان، كما خصص لهم ثلاث مناطق وهي خرام وجوله وخوشه كونيك المقابلة للسهل الممتد بين أزدناكان جنوباً نحو نخجوان. والواقع إن كولتغن تقابل البقعة الواقعة بين جولفه وأوردوباد، أما أزدنكان (أزدناكان) فتقع على رأس السهل الذي من المفروض انه كان الأرض التي ينبع منها نهر كارني (وهو نهر الأكراد في المصادر الاسلامية المبكرة) أي بجوار دوين (دفين).

تتخلل القصة الكاملة للملك تيكران وآنوش الأرمنية أساطير، لكنها لا تخلو من بعض الحقائق الجغرافية، ولحد ما التاريخية كتحديد موقع مدينة (أزدناكان Ajdanakan) في منطقة بين آرارات ودوين وأوردوباد حيث عاش هناك مجموعات كردية منذ أزمنة قديمة أكثر مما يخيل للمرء عادة حسب قول و. مينورسكي^(٢٨). وان التسمية الجغرافية أزدناكان لها علاقة مع اسم آخر ملك من ملوك الميديين الذي دونه موسى الخوريني بصيغة (أزدهاك Ajdahak) وهو مشتق

(٢٨) V. Minorsky, Studies on Caucasian History (London, 1953), p. 125, 126.

في الأصل من الصيغة الآفستية (آزي دهاكه Ajy Dahaka) وهو الاسم نفسه الذي نوه به الفردوسي في كتاب الشاهنامه. وحقيقة الأمر هي أن هذا الاسم هو غير مشتق من الاسم (أستياك Astyages) الذي دونه هيرودوت وظهر في النصوص المسمارية البابلية بصيغة (إشتوفيكو) وهو آخر ملك حكم الامبراطورية الميديّة، وإنما التبس الأمر عند موسى الخوريني، فجمع بين الكلمة (مار) التي تعني في الكردية وفي اللغات الإيرانية الأخرى (الحية) وهي الصيغة الأرمنية لاسم الماد (الميديين) ومرادفها (أزدهاك) الذي يعني (التنين) فأصبح اسم آخر ملك ميدي قضى عليه كورش الاخميني حيث عاونه في ذلك الملك الأرمني تيكران حسب اعتقاده، وبذلك اضطربت الحقائق التاريخية في القصة. وقد استند هذا المؤرخ الأرمني في الواقع على أغاني تاريخية أنشئت في زمانه ببلدة كولتغن التي تسرد احداها القصة التالية:

«عندما شوهد أرتاشاد، ذهب أرتافازد ابن أرتاشيس صاعداً إلى عند المار (الميديين) وبنى ماركرت (أي مدينة الميديين... ج.ر) في السهل المسمى شرور»^(٢٩).

إن هذا النص جدير بالاهتمام وذلك لدلالاته الجغرافية المعينة بالنسبة لبلاد الكرد. إذ إن الحندق الكبير الواقع على الوجه الشمالي لجبل آرارات يسمى (آخوري)، وتامبات هو واد من وديان آرارات العالية الذي ينخفض هنا تدريجياً واكتشفت فيه عام ١٩٠٥ م مدينة قديمة. أما (جوله) فهي التخوم المعروفة لبلدة (جولفه). وكانت شرور تقع على الضفة الشمالية لنهر آراكس أي في الشمال الغربي لـ(نخجوان).

(٢٩) المصدر نفسه.

وقد ترجم الدكتور كمال مظهر أحمد هذا النص بالصورة التالية: «ويستند موسى الخوريني إلى أغاني تاريخية تشير إلى قيام أرتواز لجبل أردشير، فيما بعد، ببناء مدينة ماراكيرت في شارور بين المارين هؤلاء». انظر مقال:

ف. مينورسكي، «الأكراد أحفاد الميديين»، المنشور في: مجلة المجمع العلمي الكردي، المجلد الأول من القسم الأول (بغداد، ١٩٧٣)، ص ٥٦١، ترجمة د. كمال مظهر أحمد.

وبذلك فإن انتقال المار (الميديين) إلى الضفة الشمالية لنهر آراكس كان من الأمور الطبيعية في الأزمنة القديمة. ويقول مينورسكي في هذا الصدد انه:

«من الجدير بالذكر الإشارة إلى ان في أيام موسى الخوريني كانت قد مضت فترة طويلة على زوال الميديين القدماء، لكن مما يجلب الانتباه هو ان المؤرخ الأرمني يطلق مع ذلك اسمهم على معاصريه من الكرد في تلك الأنحاء. ومن هنا فإنه يحتفظ بالتقليد القديم حول اعتبار الكرد أحفاداً للميديين»^(٣٠).

لقد أكد مينورسكي هذه النظرية في المؤتمر العشرين للمستشرقين الذي عقد في بروكسل ببلجيكا عام ١٩٣٨م^(٣١)، كما ذكر في كتابه (دراسات حول تاريخ قفقاسيا، لندن ١٩٥٣) ما يوضح نظريته قائلاً انه:

«في زمن موسى الخوريني لم يكن هناك ميديون في الوجود وإنما كان الكرد يحتلون سفوح جبل آارات، كذلك تضمنت مخطوطة أرمنية غربية نموذجاً من ألفباء ولغة دونت في وقت يسبق عام ١٤٤٦م، وهي دعاء برموز كردية تمثل لغة الميديين (مار) مع استعمال لفظ لا يزال يشاهد في القواميس»^(٣٢).

ومهما يكن من أمر فإن المعلومات الجغرافية لموسى الخوريني تتطابق تماماً مع المعلومات الواردة في عديد من المصادر العربية الإسلامية التي تشير إلى وجود مستوطنات كردية في شمال نهر آراكس. ويقول مينورسكي:

(٣٠) المصدر نفسه.

(٣١) انظر: V. Minorsky, «L'Origine des Kurdes...», p. 143-152.

(٣٢) مينورسكي، دراسات حول تاريخ قفقاسيا، ص ١٢٧. وقد استند مينورسكي في ذلك على آراء شانيدزه:

A. Shanidze, The Newly Discovered Alphabet of the Caucasian Albanians, (Tbilisi, 1938),

وقد قابل شانيدزه كلمة مار بـ(كرد) بالاستناد على قواميس آيتيكيان وسورميليان وأفكيريان (طبعة البندقية، ١٨٣٧م). حول هذا الموضوع انظر بالروسية:

N.O. Emin's Izsledovaniya. M. 1896, pp. 122-132.

«ان أهم وأدق اشارة في المصادر العربية هي ذكر قرية أجدنقان (ربما أجدهقان) عند بوابة مدينة دفين (دوين)، أي قرية (الأجدهقان) بين ما تطرق إليه موسى الخوريني^(٣٣). وكانت دفين وبالعربية ديبيل أو دوين وباليونانية دوييوس أو تيبينون) إحدى العواصم الأرمنية التي أنشئت في القرن الرابع من قبل خسرو الأرشاكبي الثاني الأرمني، وسكن الكرد بجوار هذه المدينة منذ أزمنة مبكرة^(٣٤).

وأصبحت المدينة في العصر الاسلامي مفتاحاً للفتوحات الاسلامية في قفقاسيا. وعلى كل حال فإن موقعها يجب ان يعين على الضفة اليسرى من نهر كارني (آزات القديم أو نهر الأكراد في العصر الاسلامي المبكر) وكانت تحيطها ثلاث قرى أشهرها كانت دفين - كوردكه ند Divin-Kurda kend. وكان نهر آزات يصب في نهر آراكس شرق نهر زنكه zanga (هرازدان) في المكان الذي تقع عليه مدينة بريفان الحالية عاصمة ارمينيا (السوفياتية سابقاً). وقد أشار ابن خلكان إلى ان المؤرخين يوافقون على كون أبوي صلاح الدين الأيوبي من دفين (دوين)، المدينة الصغيرة التي تقع على الحدود البعيدة لأذربيجان وكانت تتصل بأزان وبلاد الكرج (جورجيا) مباشرة. وكانت هناك بقرب هذه المدينة قرية تسمى (أجدنقان) وسكانها قاطبة كانوا من كرد الروادية، وولد فيها والد صلاح الدين. ويوضح مينورسكي نقطة في هذا الصدد مفادها هو انه من غير الصواب القول بأن قرية (أجدنقان) تتطابق مع (أزداناكان) التي ذكرها موسى الخوريني قبل ميلاد صلاح الدين الأيوبي بأربعة قرون. ومن المعلوم ان القسم الجنوبي الرئيسي من بلاد اذربيجان كان موطن

(٣٣) مينورسكي، الأكراد أحفاد الميديين، ص ٥٦١.

ويذكر ابن خلكان ما يلي:

«قال لي رجل فقيه عارف بما يقول وهو من أهل دوين: إن على باب دوين قرية يقال لها أجدنقان وجميع أهلها أكراد روادية». انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، الجزء ٧، ص ١٣٩.

(٣٤) مينورسكي، دراسات حول تاريخ قفقاسيا، ص ١١٧.

الميديين وسكنته الكرد منذ أزمنة قديمة، لذلك يشير مينورسكي إلى
ان:

«القسم الغربي من منطقة (ماكو) بايران، وبالتحديد منطقة (دامبات) التي يذكرها موسى الخوريني، مسكونة لحد الآن من قبل الكرد. وإذا جاء التعبير عن اسم (مادا Mada) القديم بشكل (مار Mar) في اللغة الأرمنية فإن التعبير عنه بالفارسية جاء بشكل (ماه Mah). وهكذا فإن الشكل القديم لاسم ماكو (ماهكوه Mah-Kuh) يؤيد أيضاً وبدقة علاقة الكرد بالميديين. وبالإمكان الإشارة إلى جبلي منطقة بحر الخزر (قزوين) على أنهم من بين هجرات القبائل الإيرانية المتأخرة التي توجهت نحو الغرب في القرن العاشر الميلادي. وعند وصول هؤلاء وجدوا في أذربيجان الجنوبية كراداً متمركزين»^(٣٥).

(ويقصد مينورسكي بها الرقعة الممتدة بين جبال تاليش ونهر آراكس وبحيرة أورميا... ج.ر). ويضيف قائلاً:

«ان العرب المسلمين عندما بسطوا نفوذهم بصورة غير مباشرة على تلك المناطق كانوا في الواقع يتزعمون العنصر الكردي في جهادهم»^(٣٦).

أي كانت القوات الإسلامية تتألف من أغلبية كردية. وبعد الضعف الذي دبّ إلى سيطرة العباسيين تدريجياً بتأثير تسلط (الساغدية) لم يملأ ذلك الفراغ السياسي في جنوب بحر قزوين غير الديلم والكرد. وكانت خيم الكرد تقع جنوب أرمينيا واشتهروا هناك كفرسان محاربين توغلوا إلى غرب أذربيجان وعبروا نهر آراكس منذ أزمنة قديمة كما ذكر، لكنهم كانوا موجودين في أذربيجان باستمرار وشكلوا دائماً قوة تحمي هذه البلاد من الغزاة الشماليين القادمين من

(٣٥) مينورسكي، المصدران السابقان نفسهما.

(٣٦) لقد استعمل العباسيون مثلاً نظام الحكم غير المباشر على أرمينيا من خلال أمراء الأسرة البكراتية (٨٠٦م - ١٠٤٥م) وقد استعمل هنا لقب (الملك) منذ عام ٨٨٥م. مينورسكي، دراسات حول تاريخ قفقاسيا، ص ١١٠.

المناطق القزوينية. وبعد سقوط (الساجدية)، كافح قائدهم ديسم بن ابراهيم ليتسلم السلطة في اذربيجان (٣٢٧-٣٤٥ هـ/٩٣٨-٩٥٦ م) التي دامت بيده ١٨ عاماً، وكان هذا خارجياً، ولد من أب عربي وأم كردية وكانت قواته تتألف من العنصر الكردي بشكل رئيسي. ومهما يكن فإن الكرد كانوا عنصراً من عناصر بلاد قفقاسيا منذ الألف الأول قبل الميلاد، وتميزوا سياسياً هناك في بداية العصر الاسلامي. لذلك فعندما وصل حبيب بن مسلمة الفهري إلى أردسات (أرتاشات) عام ٢٢ هـ/٦٤٣ م - عبر نهر الأكراد - وانحدر مباشرة إلى سهل ديل (دفين) وان هذا المجرى ما هو إلا نهر كارني المار الذكر. ويقول البلاذري في هذا الصدد ما يلي:

«ثم سار حبيب وأتى أردساط (والأصح أردساط... ج.ر) وهي قرية القرمز وأجاز (والأصح اجتاز... ج.ر) نهر الأكراد ونزل مرج ديل فسرب الخيول إليها» (٣٧).

وما كان على الجغرافي العربي المقدسي في نهاية القرن العاشر الميلادي إلا أن يشير إلى كون النصارى:

«يشكلون العنصر الغالب في دفين، لكن المدينة كانت يضبطها الأكراد» (٣٨).

أما اليعقوبي فقد أشار إلى أن:

«عثمان قد وجه حبيب بن مسلمة الفهري إلى ارمينية ثم أردفه سلمان بن الباهلي مدداً له فلما قدم عليه تنافرا وقتل عثمان وهم على تلك المنافرة وقد كان حبيب بن مسلمة فتح بعض ارمينية وكتب عثمان إلى سلمان يأمرته على ارمينية فسار حتى أتى البيلقان فخرج إليه أهلها فصالحوه ومضى حتى أتى برذعه فصالحه أهلها على شيء معلوم وقيل ان حبيب بن مسلمة افتتح جرزان ثم نفذ سلمان إلى شروان فصالحه ملكها ثم سار حتى أتى أرض مسقط فصالح أهلها وفعل مثل ذلك

(٣٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٠٣ (القاهرة، ١٩٥٩).

(٣٨) المقدسي، ص ٣٧٧، مينورسكي، المصدر نفسه ص ١٢٨.

ملك اللكر وأهل الشايران وأهل فيلان ولقيه خاقان ملك الخزر في جيشه (على؟) نهر البلنجر في خلق عظيم...»^(٣٩).

ومن جهة أخرى فقد دونت أخبار المناطق الكردية في اذربيجان أثناء الفتوحات الإسلامية في صدر الاسلام. ففي إشارة إلى هذا الموضوع يقول البلاذري أن:

«المغيرة بن شعبة قدم الكوفة واليا من قبل عمر بن الخطاب ومعه كتاب إلى حذيفة بن اليمان بولاية اذربيجان فأنفذه إليه وهو بنهاوند وبقرها فسار حتى أردبيل وهي مدينة اذربيجان وبها مرزبانها وإليه جباية خراجها. وكان المرزبان قد جمع إليه المقاتلة من أهل باجروان دميمذ والنير وسراة والشيز والمياج وغيرهم، فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً أياماً، ثم ان المرزبان صالح حذيفة عن جميع أهل اذربيجان علي ثمانمائة ألف درهم وزن ثمانية على ان لا يقتل منهم أحداً ولا يسببه ولا يهدم بيت نار ولا يعرض لأكراد البلاسجان (وبالكردية بلاشكان... ج.ر). وسبلان وساترودان ولا يمنع أهل الشيز خاصة من الزمن في أعيادهم واطهار ما كانوا يظهرونه».

وقد أكد الدينوري هذا الوجود الكردي كذلك في ارمينية^(٤٠). ولكن من المفيد الإشارة هنا إلى ان الكاتب الأرمني (ليو) ذكر صيغة أرمينية للکرد قائلًا ان سكان منطقة (البذ) الجبلية التي أصبحت مركزاً لثورة بابك والحركة الخرمية، كانوا يسمون بالكوردوك Kurduk. ويضيف أن هذه التسمية ترتبط بدون شك بكلمة الكرد^(٤١).

وعلى كل حال، فإن أواخر القرن التاسع الميلادي تعتبر، بالنسبة لسكان البلاد التي تحيط ببحر قزوين، بداية عصر النهضة

(٣٩) تاريخ اليعقوبي، الجزء الثاني (ليدن: بريل، ١٨٨٣)، ص ١٩٢.

(٤٠) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣٤٠. وانظر أيضاً: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢١.

(٤١) ليو، تاريخ ارمينيا (بريفان، ١٩٤٧)، المجلد الثاني، ص ٤٢٦. لقد كتب الباحث الأرمني ليو مجلدات ضخمة عن تاريخ ارمينيا ويسرد فيها روايات مؤرخي القرون الوسطى.

(الرينسانس) الذي بدأ في خراسان أيام حكم السامانيين وأثر فيما بعد على نواح أخرى من آسيا وخاصة شرقي الأناضول، المناطق المتاخمة مباشرة للإمبراطورية البيزنطية. وتألفت في هذا العصر أسماء سلاسل كردية لعب أصحابها أدواراً سياسية متميزة في هذه المناطق، ومنها سلالة الرواديين التي هي بطن من بطون الهذبانية الكردية المشهورة، وظهر من بينهم زعماء قديرون أمثال صلاح الدين الأيوبي وأدباء مشهورون كأبي الهيثم الروادي الذي كتب تاريخ أذربيجان والذي ضاع لسوء الحظ^(٤٢).

ولأجل توضيح الدور التاريخي للكرد في قفقاسيا وعلاقتهم بشعوبها يجب الإشارة إليها من خلال الرجوع إلى تاريخ دولة الرواديين والشداديين في كل من أذربيجان وأرمينيا وجيورجيا. فبالنسبة للدولة الروادية فقد حكمت في أذربيجان في حين كانت السلالة الشدادية تحكم في أَرَّان ويسطون نفوذهم على المقاطعات الواقعة في المثلث الذي بين نهري أراكس والكر، وكانت تقابل بلاد شروان الواقعة بين نهر الكر وسلاسل جبال قفقاسيا. ويذكر مينورسكي أن ظهور الدولة الشدادية كان منذ أن قبض على سالار مرزبان بن محمد بن مسافر الديلمي قرب (ري) عام ٣٣٧هـ/٩٤٨م. وكان أول حاكم من السلالة الشدادية هو شداد بن قرطق^(٤٣). أما في أذربيجان فقد

(٤٢) كانت مراكز السامانيين السابقة ما وراء النهر وبخارى وسمرقند، وهي البلاد الواقعة شرق القزوين، تتمتع بهدوء نسبي في ظل حكومتهم المستتيرة في القرن التاسع الميلادي. وكان مؤسس هذه الدولة سامان خواده، اعتنق الإسلام في خلافة هشام بن عبد الملك (٧٢٤م - ٧٤٣م). وحوالي عام ٨١٩م عين المأمون حفيد سامان الأربعة ولاية على سمرقند وفرغانة والشاش وهراة، ثم تقلصت رقعة نفوذهم على يد دولة الأيلك خانية التركية في تركستان. للاستزادة من هذه المعلومات انظر:

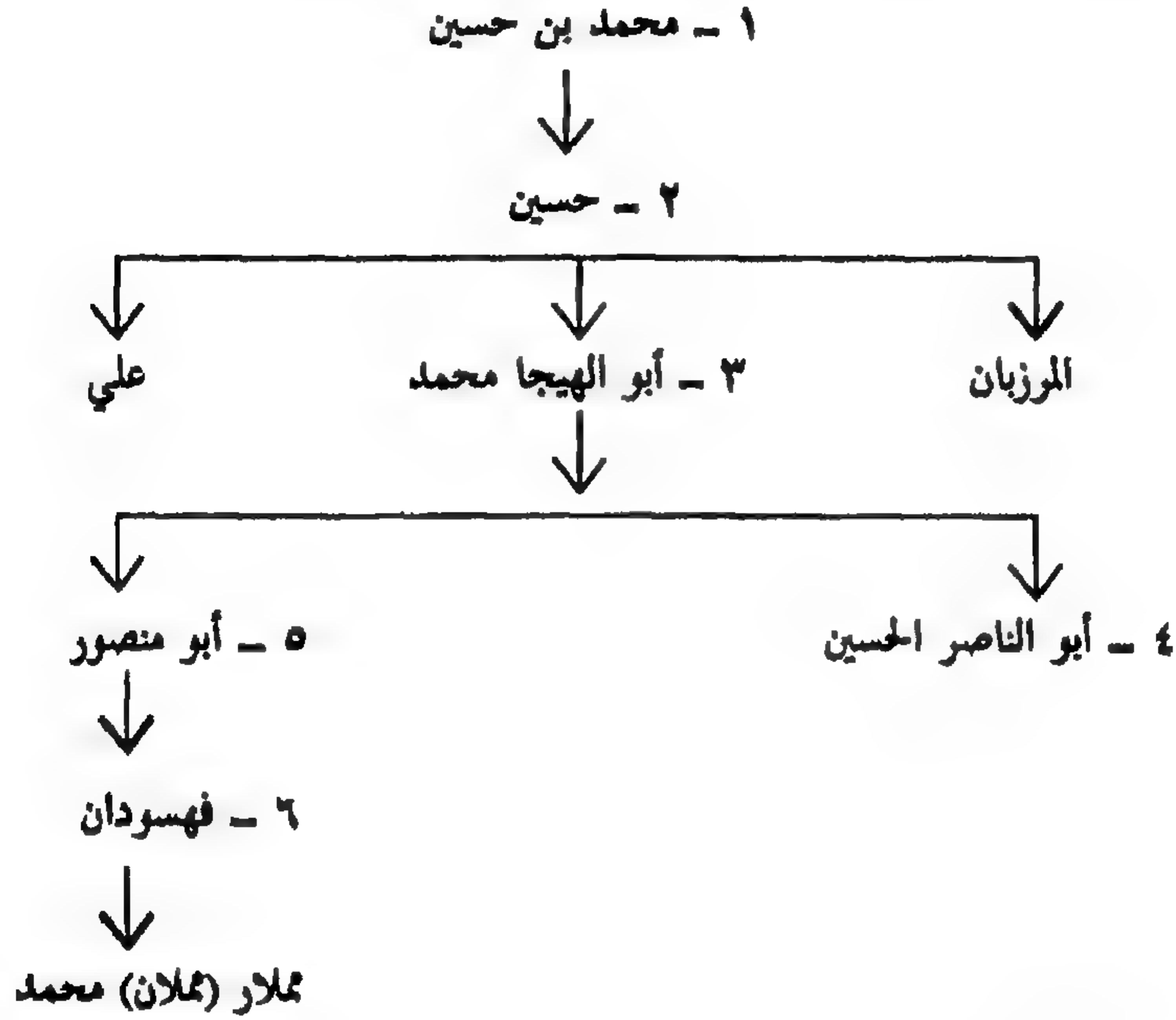
Bosvort K.E., *Musulmanskiye Dinastii. Perevod S Angliyskogo u Primechaniya P.A. Cryaznevich*, (Moskva, 1971).

ويقول ابن خلكان: «ان الروادية بطن من الهذبانية وهي قبيلة كبيرة من الأكراد». انظر:

ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الجزء السابع، تحقيق د. إحسان عباس (بيروت)، ص ١٣٩.

(٤٣) مينورسكي، دراسات حول تاريخ قفقاسيا، ص ٨ - ٩.

انتقلت القوة إلى يد الرواديين من المسافرين الديلم^(٤٤)، أي بعد القضاء على سالار المذكور، وكانوا حكاماً على قسم من أرمينيا. وقد اكتشف مينورسكي أسماء ستة أشخاص من هذه السلالة، مع بعض المعلومات القليلة عنهم في قطعة تتعلق بتاريخ باب الأبواب، لكنه لم يستطع معرفة مؤلف تلك المعلومات^(٤٥) أما الأسماء فكانت كما يلي:



لقد امتلك الرواديون أذربيجان وتبريز عام ٣٤٣هـ/٩٥٤م وجعلوا تبريز عاصمة لهم، ثم فتحوا أغلب جهات أذربيجان عام ٣٧٣هـ/٩٨٣م. أما أقول نجمهم السياسي وسقوطهم فكان في ٤٦٣هـ/١٠٧٠م، وقد دام حكمهم هناك ١١٧ عاماً تقريباً. وكان

(٤٤) جدير بالذكر هنا أن فرع المسافرين الذين كانوا في منطقة طرم (تاروم) اتجهوا أيضاً نحو أذربيجان وما وراء القفقاس خلال القرن العاشر واختلطوا مع الكرد. ونظراً للتقارب اللغوي بين هذين العنصرين فقد خرجت نظريات عديدة حول انتماء كرد الزازا (الظاظا) إلى الديلم.

(٤٥) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٨ - ٩.

محمد بن حسين الروادي أول من حكم من هذه السلالة بالاضافة إلى حكمه لبعض المقاطعات في ارمينيا، إذ ان أجزاء من مقاطعات اذربيجان وقفقاسيا كانت تسمى بأرمينيا وقتذاك. ثم توسعت رقعة سلطته بعد ان أسر سالار مرزبان الديلمي المار ذكره. وبعد وفاة الأمير الأول للدولة الروادية أصبح ابنه حسين بن محمد الروادي وريثاً له في حكم اذربيجان، واستطاع احتلال مدينة تبريز عام ٣٤٥هـ/٩٥٦م ثم بنى أسواراً لها وجعلها عام ٣٥٠هـ/٩٦١م عاصمة لدولته وغدا حكمه قوياً في اذربيجان.

خلف الأمير حسين بن محمد الروادي ابنه أبو الهيجا، حيث استطاع هذا فتح جميع مناطق اذربيجان بعد موت ابراهيم بن مرزبان في ٣٧٣هـ/٩٨٣م وأسرهم لمرزبان بن اسماعيل بن فهسودان بن محمد ابن مسافر الديلمي حيث جعله في السجن عام ٣٧٤هـ/٩٨٤م وضم إلى حكمه البلاد التي حكمها أيضاً. ولكن مع ذلك، فقد تمرد عليه أخوه مرزبان بن حسين الذي استطاع القبض على أبي الهيجا عام ٣٨٦هـ/٩٩٦م إلا انه توفي بعد ذلك بسنوات قليلة - عام ٣٩١هـ/١٠٠٠م - وخلفه ابن أبي الهيجا المدعو أبا ناصر حسين بن محمد الروادي عام ٤١٦هـ/١٠٢٥م وتبعه في ذلك شقيقه أبو منصور فهسودان بن محمد الذي حكم لمدة طويلة إلى ان توفي عام ٤٥١هـ/١٠٥٩م، حيث خلفه ابنه محمد بن فهسودان.

أما في ارمينية فقد سكن محمد بن شداد بن قرطق مع أهله في مدينة ديل (دفين) وأطاعه سكانها، وبدأ حكمه من هناك منذ عام ٣٤٠هـ/٩٥١م. وقد امتدح المؤرخون العرب المسلمون دولة الشداديين وذلك للصفات والمميزات السياسية التي اتسمت بها أعمال أبناء هذه السلالة لعدلهم واحسانهم وحسن تصرفهم مع المحكومين أياً كانت جنسيتهم ولغتهم، وقد دوّن الكاتب العثماني أحمد بن لطف الله الملقب بـ(منجم باشي) أخباراً قيمة حول اذربيجان وأران وما وراء قفقاسيا في بداية العصر الاسلامي وما ساد فيها من علاقات سياسية، وله باب في تأريخ الدولة الشدادية التي حكمت أران وبعض ارمينيا

في شرق القفقاس بين نهري الكر وآراس (آراكس) حيث اشتهرت من مراكزهم مدن ديبيل وجنز (كنجه) وبرذعه استند في سرده للأخبار على كتاب تاريخي قديم ألف حوالي عام ٥٠٠ هجرية قائلًا:

«ان ابتداء ظهور بني شداد كان في سنة ٣٤٠ هـ وانقراضهم في سنة ٤٦٨ هـ، أما مدة إمارتهم فكانت ١٣٨ عاماً ابتداء من حكم محمد بن شداد بن قرطق»^(٤٦).

في الحقيقة ان سلالة الشداديين كانت إحدى تلك الأسر الإسلامية النادرة التي درس تاريخها بشكل غير واف^(٤٧)، وكان محل إقامتهم مدينة كنج (جنز) ٣٥ كم جنوب مدينة بريغان الحالية ثم انتقل إلى العاصمة الأرمنية العتيقة دفين (دوين) وقد حكم فرع أحدث من هذه السلالة في عاصمة أرمنية أخرى هي آني Ani. ومن الأمور الطريقة لهؤلاء، وبحكم ولعهم بالحرب ونشاطاتهم العملية في السلم، انهم وقعوا في تماس مباشر مع جيرانهم المسيحيين من الأرمن والجيورجيين ومختلف الغزاة الشماليين، ومن ضمنهم الآلان والروس. ويشكل الشداديون الحلقة المفقودة للحوادث التاريخية التي جرت في شرق آسيا الصغرى قبل وصول الترك إليها. وفي الواقع فقد ظهر بنو شداد في عالم السياسة في الوقت الذي كان أباطرة بيزنطة يلتمسون، وعلى حساب أعصابهم، ضمان أوضاعهم في أرمنية وقفقاسيا، في الوقت الذي كان هناك في الشرق نهوض موجات عالية للغزو التركي الذي غير وجه جنوبي غرب قارة آسيا فيما بعد. لذلك يعتبر الحكم الكردي الشدادي أحد الفواصل لعصر هام رفيع المستوى وقصير الأمد بين دوري السيادة العربية الإسلامية والاحتلال التركي الطويل نسبياً.

لقد تحدد موقف محمد بن شداد، مؤسس الأسرة الحاكمة، بعد ان دخل في خصام مع الحامية الدبلوماسية في مدينة دفين حيث عاونه الكرد

(٤٦) انظر: باب الشدادية من كتاب: منجم باشي، جامع الدول.

(٤٧) لقد تطرق ابن الأثير إلى أحد زعمائهم فقط وسماه الأمير فضلون الكردي عام ٤٢١ هـ. انظر:

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد التاسع، ص ٢٨٩.

الساكنون بجوار مدينة كنجة التي غدت عاصمتهم فيما بعد، وكان هذا النجاح قد تحقق بعد ان حطم ديسم الكردي (ديسم بن ابراهيم) قوة لشكري بن ماردي الديلمي الذي حاربه عدة سنين^(٤٨). وبالرغم من كون محمد بن شداد زعيماً كردياً لكنه لم يكن في علاقة مباشرة مع اسرة أخرى تسمت بالروادية حكمت في تبريز وأفرادها ينحدرون من بني الأزد العرب الذين استكردوا عن طريق الزواج. وقد ظهر اسم الأمير فضل بن محمد بن شداد على مسكوكتين بصيغة «الأمير السيد المنصور فضل بن محمد شدادان» وعلى مسكوكة ابنه شافور بصيغة «الفضل بن شداد»، لذلك يعتقد بعضهم بأن اسم شداد هو في الأصل لقب الكياسة والنبيل^(٤٩).

وعلى كل حال فإن قوة محمد بن شداد كانت لا تزال غير كاملة عندما هرب مرزبان سالار زعيم المسافرين الديلم من الأسر الذين احتلوا قلعة دفين. هذا بالإضافة إلى ان محمد بن شداد واجه هجوم آشوت بن عباس على مدينة آني، وكان آشوت من الأسرة البكراتية الجيورجية الذي حكم فيما بين عامي ٩٥٢ - ٩٧٧ الميلاديين. لذلك سار محمد إلى واسبوراكان، بعد ان عبر نهر آراس، وكانت الأراضي الواقعة بين مدينتي وان ونخجوان تحت سلطة ملك واسبوراكان. ومع ذلك لم يكن في نية هذا الملك توسيع رقعة ملكه في هذه الآونة. وبعد وضع خطة لسلطته زار محمد بن شداد امبراطور الروم (وقد ورد اللقب ملك الروم بدلاً من امبراطور الروم في المخطوطات) أو أحد ممثليه في شرق آسيا الصغرى. وكانت سنة ٩٥٤ م مرحلة مهمة

(٤٨) حول تفصيلات هذا الموضوع انظر: كسروي تبريزي، شهریاران کمنام، الجزء الأول (طهران، ١٣٠٧ هـ/١٩٢٨ م)، بالفارسية.

(٤٩) مينورسكي، دراسات حول تاريخ قفقاسيا، ص ٣٥.

جاء اسم الرواديين الكرد بصيغة روند (رواندي) عند شرف خان البديسي (كتاب الشرفنامه). وكان هؤلاء حسب قول مينورسكي، متواجدين في ارمينيا قبل عصر موسى الخوريني (أي قبل القرن الخامس الميلادي) وليس لهم علاقة مع أسرة رواد الأزدي العربية التي هاجرت إلى اذربيجان. ثم ان صلاح الدين الأيوبي ينحدر من اولئك الروند الكرد ومن بطن الهمدانية.

انظر مينورسكي، دراسات حول تاريخ قفقاسيا، ص ١٢٣، ١٢٨ - ١٢٩.

للتوسع البيزنطي في أرمينيا تحت قيادة قسطنطين بورفيرو كينيتوس ٩٤٤م - ٩٥٩م، كما يشير المؤرخ الأرمني آسوليك في الفقرة السابعة من كتابه الثالث إلى استيلاء اليونانيين على مدينة كارين (فاليقلا الحالية) وثيودوسيوبوليس التي عرفت فيما بعد بأرضروم^(٥٠). ولعل هذه الأوضاع غير المستقرة في زمن محمد بن الشداد أدت بالمؤرخ الأرمني ورتان (فاردان الذي عاش في أواسط القرن الثالث عشر الميلادي) إلى أن يعتبر أبناء محمد بن الشداد الثلاثة، مرزبان ولشكري وفضلون، كمؤسسي الدولة الشدادية، لكن التقليل من شأنهم، كقوله أنهم مع أمهم (مام) كانوا قد وصلوا من إيران إلى مدينة فارسوس بأزنان أيام كريكور ثم تركوا الوالدة في ضيافة كريكور واستولوا على قلعة شميرام ومعظم مقاطعة آزو، ثم صادقوا أمير مدينة كنجه وخذعوه وبعد ذلك قتلوه ووضعوا أيديهم على كنجه، فهو نتيجة ذلك التعصب الديني الذي كان يسود عند الأرمن تجاه المسلمين في هذا العصر. وقد أكد هذه الحقيقة الاستاذ أحمد كسروي تبريزي عندما أشار إلى أنه:

«لا يمكن الاعتماد على أقوال وارتان (ويعني فاردان) لأن الشداديين ينحدرون بالأصل من الكرد الرواديين الذين تواجدوا في أرمينيا منذ أزمنة قديمة».

(ويعني بهم الأسرة الروادية الهذبانية الكردية وهم غير بني الرواد الذين يرجعون في نسبهم إلى قبيلة الأزد العربية كما ذكر). ويضيف كسروي أيضاً:

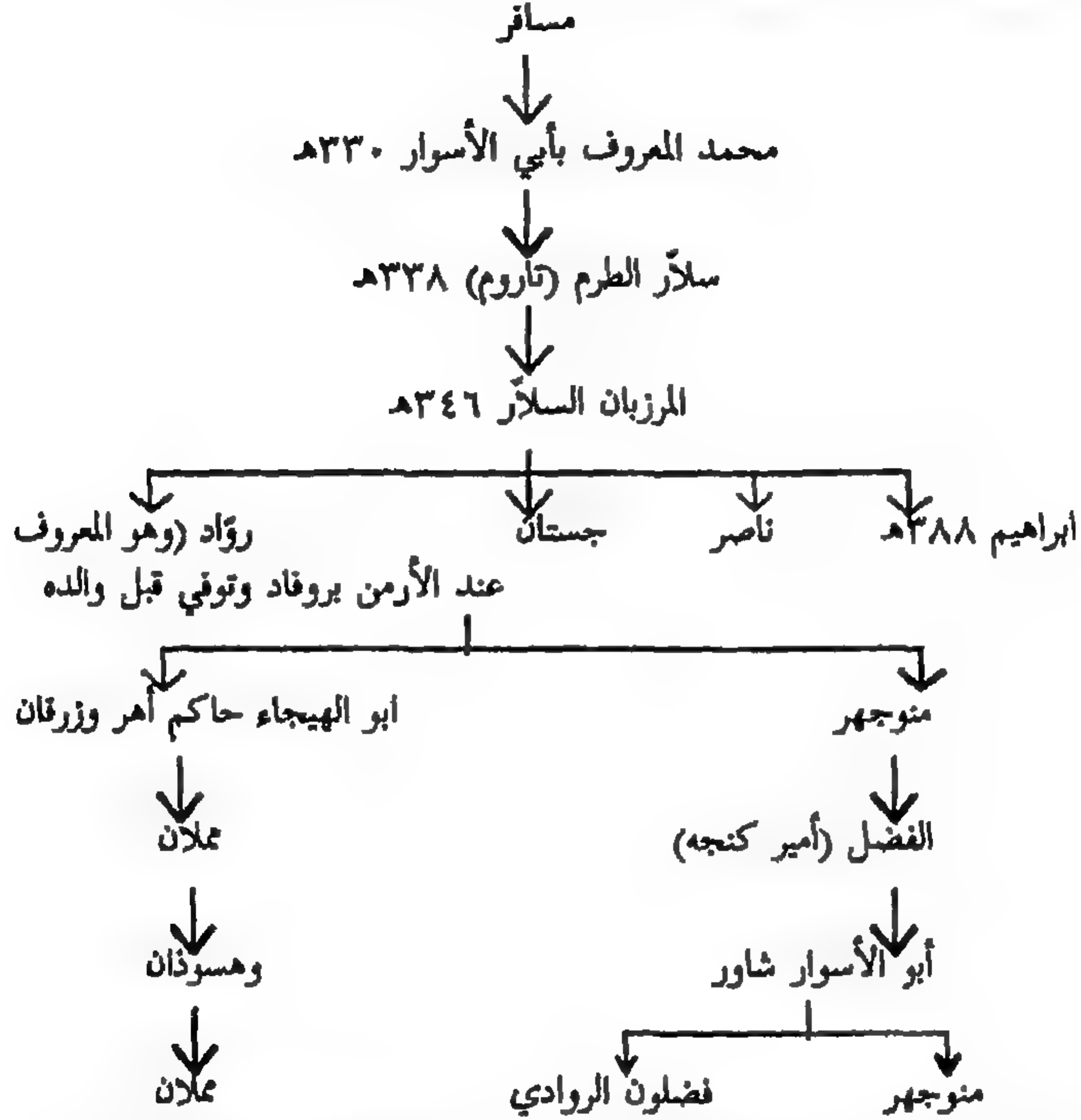
«إن وارتان لا يتطرق إلى أيهم الذي لعب دوراً مهماً هناك، إلا كيف يستطيع أشخاص ثلاثة مع والدتهم أن يستولوا على سلطة بلاد وهم غريبون عنها بعدما أمنوا على والدتهم عند حاكم غير مسلم، ثم تحايّلوا عليه وقتلوه»^(٥١).

(٥٠) وقد اشتهر الامبراطور البيزنطي قسطنطين بـ (الطاغية) في المصادر الإسلامية. حول تفصيلات الحوادث انظر: البلاذري، فتوح البلدان، فتح أرمينيا.

(٥١) كسروي تبريزي، شهرباران كمنام، الجزء الثالث، ص ٨، ومينورسكي، المصدر نفسه، ص ٣٧ وما بعدها.

= راجع كذلك النسخة الروسية لكتاب ورتان (فاردان) ترجمة ن. أمين

(موسكو، ١٨٦١م)، وقد وردت فيها الأسماء بصيغ أرمنية مثل أشخان كريكور بدل الملك كريكور وباريسوس بدل فارسوس وبرزقان بدل مرزبان وبتلون بدل فضلون. الصفحات ١٢٥ - ١٢٩. وقد قدم N.F.A. عام ١٩٠٩ في مجلة: الجمعية الملكية الآسيوية البيزنطية (J.R.A.S.) توضيحاً حول نسب الأسرتين الشدادية والروادية وربطهم بالسلاريين خطأً وحسب الجدول الآتي:



لكن بوسفورت K.E. Bosvort عدّل في كتابه: السلالات الإسلامية، المعلومات المتعلقة بالأسرتين الكرديتين الروادية والشدادية الحاكميتين في كل من أذربيجان وأران بعد أكثر من نصف قرن من نشر ذلك المقال وجاءت أسماء أفراد السلالتين بالتسلسل التالي:

الأسرة الروادية

الابتداء من القرن الرابع. ٤٦٣ الهجري/بداية القرن العاشر. ١٠٧١ الميلادي
محمد بن حسين الروادي ... ؟

حسين بن محمد ... حوالي ٨٣٤٠/حوالي ٩٥١م

أبو ناصر حسين الثاني بن مملان ... ٨٣٩١/١٠٠٠م

وهسودان بن مملان ... ٨٤١٦/١٠٢٥م

الاحتلال السلجوقي لأذربيجان ... ٨٤٦٣/١٠٧١م

أحمد بن إبراهيم بن وهسودان ... ؟

وهذه الصفات بعيدة عن الخلق الإسلامي كلياً، وواقع الأمر إن أفراد الأسرة الشدادية الذين حكموا في كل من مدينتي كنجه وآني

= توفي في مدينة مراغه في

١١١٦/٥١٠م

حكم أتابكي مراغه من أسرة الأحمدية
الأسرة الشدادية

الحكم في دوين وكنجه:

محمد بن شداد (في دوين) ... حوالي ١٠٣٤/٩٥١م

علي لشكري الأول بن محمد ... ١٠٣٦/٩٧١م
(في كنجه)

مرزيان بن محمد ... ١٠٣٨/٩٧٨م

فضل الأول بن محمد ... ١٠٣٧/٩٨٥م

أبو الفتح موسى ... ١٠٣١/١٠٢٢م

علي لشكري الثاني ... ١٠٣٤/١٠٢٥م

أنو شبروان بن لشكري ... ١٠٤٩/١٠٤٠م

أبو الأسوار شافور الأول ... ١٠٤٩/١٠٤١م

ابن فضل ... ١٠٢٢/١٠٤١م حكم في دوين

... ١٠٤٩/١٠٤١م حكم في كنجه

فضل الثاني بن شافور ... ١٠٦٧/١٠٥٩م

فضل الثالث (فضلون) ... ١٠٦٦-١٠٦٨/١٠٧٣-١٠٧٥م

ابن فضل

استيلاء سوتكين وجند السلاجقة على أزان

الحكم في مدينة آني (عاصمة البكراتيين الأرمن):

منوچهر بن شافور الأول ... حوالي ١٠٦٥/١٠٧٢م

أبو الأسوار شافور الأول ... حوالي ١٠١٢/١١١٨م

دخول الجيورجيين إلى المدينة ... ١٠١٨/١١٢٤م

فضل الرابع (فضلون) ... حوالي ١٠١٩/١١٢٥م

ابن شافور الثاني

محمود ... ؟

خوشجهر ... حوالي ١٠٢٥/١١٣١م

شداد ... ؟

فضل الخامس ... ١١٥٥/١١٥٠م

استيلاء الجيورجيين على المدينة ... ١١٦٦/١١٥٦م

شاهنشاه ... ١١٥٩-١١٦٤/١١٧٤م

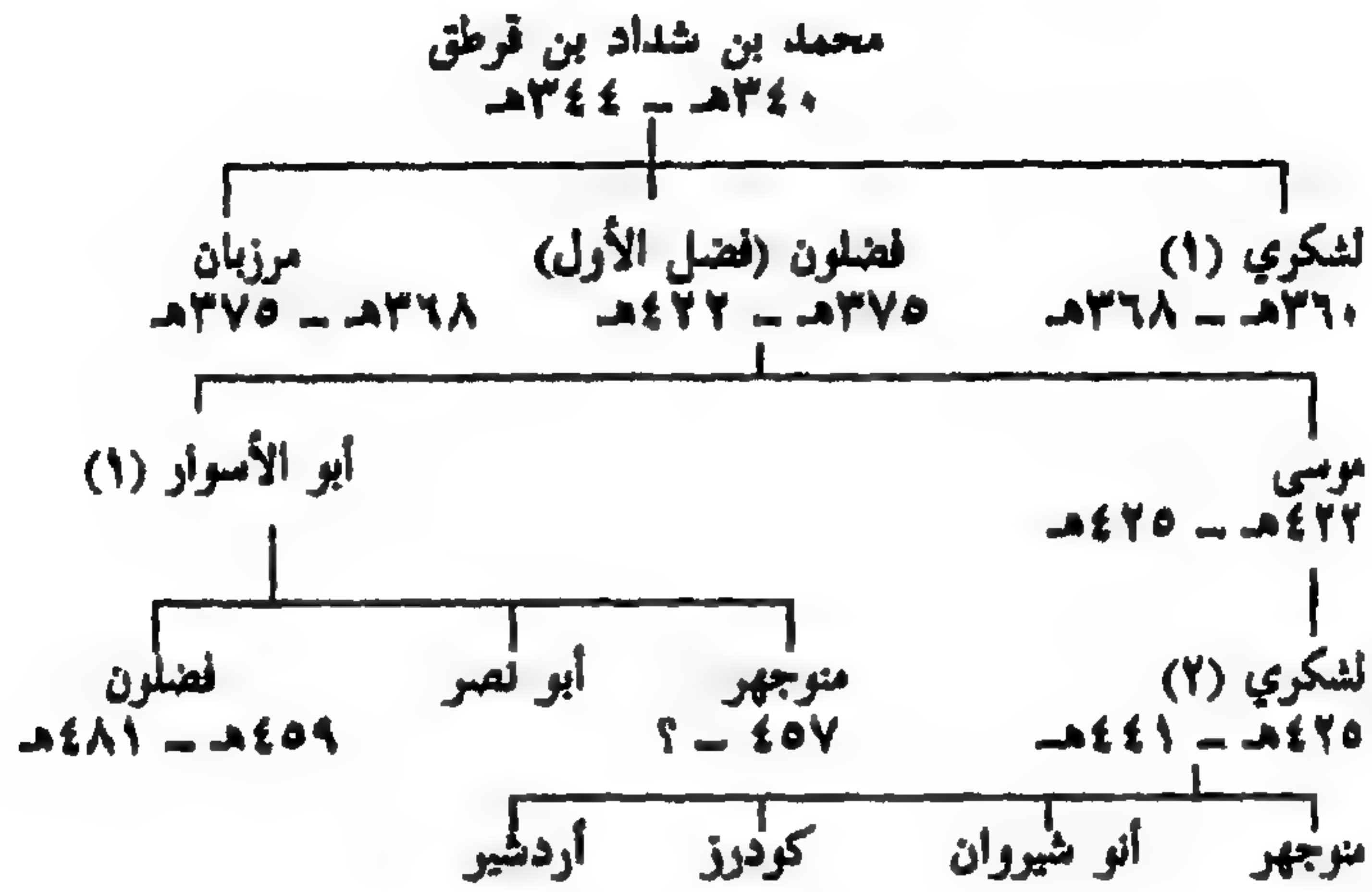
احتلال الجيورجيين المدينة نهائياً

انظر بالروسية:

K.E. Bosvort., *Musulmanskye Dinastii*. M. (1971), Str. 36, 132.

يتوزعون في جدولين لكل من الأستاذين أحمد كسروي تبريزي وفلاديمير مينورسكي:

١ - الشداديون في كنبه حسب تخطيط كسروي تبريزي



٢ - الشداديون في آني حسب تخطيط مينورسكي

أبو الأسوار + الأميرة ناشير الأرمنية



وفي صدد هذا الموضوع التاريخي للشعب الكردي، وبناء على آراء الثقات من المؤرخين والمحققين، فإننا نرى ان أغلب ما ورد في مخطوطات جامع الدول - لأحمد بن لطف الله منجم باشي عن أحوال وأخبار الدولة الشدادية يعتبر من الحقائق التي يمكن الاعتماد عليها في صياغة صورة واضحة عن تأريخ لقاء الكرد بشعوب قفقاسيا. لذلك فبعدما استنسخها وحققها البروفيسور مينورسكي ودون الملاحظات القيمة حولها مع وضع التعديلات اللازمة عليها وتدوين الأخطاء الواردة في النص الأصلي على هوامشه، إضافة إلى قيامه بتقسيم النصوص في المخطوطة إلى فقرات بتحديد أرقام لها فإن نشرها هنا يفيد غرضنا إفادة تامة بالرغم من عدم تطرقنا إلى جميع أعمال أفراد هذه الأسرة كاملة إلا بقدر الحاجة إلى تعلق الأمر بأصل موضوعنا.

وبهذه الصورة يختتم منجم باشي أخباره عن الشدادية التي استقاها من مؤلف قديم سبق ان تحدثنا عنه في مقدمة الكتاب. وقد تخللتها أخبار تتعلق بالعلاقات الكردية اللانية وغير اللانية منذ ظهور قوة الشداديين السياسية في قفقاسيا التي يمكن توضيحها رغم التحويرات التي أجريت عليها من قبل كتاب الكنائس المسيحية. فبعد وفاة محمد بن شداد كان ابنه فضل الأول ٩٨٥م - ١٠٣١م الذي عرف بـ(فضلون) في المصادر الاسلامية وبـ(بدلون) في المصادر الجيورجية والأرمنية هو من أشهر وجوه الأسرة الشدادية ويمكن اعتباره مؤسساً ثانياً لدولة بني شداد ليس ضمن حدود أَران فحسب وإنما استطاع ان يستولي على دوين وعلى قسم كبير من أرمينيا. وخلال حكمه الذي دام ٤٧ عاماً قام بأعمال مجيدة ومع ذلك تحامل عليه كتاب النصاري من الأرمن والجيورجيين لأنه انتصر عليهم في حروبه ووضع الجزية عليهم حسب الشريعة الاسلامية. وقد قام فضلون بهذه الأعمال في وقت كان الحمدانيون العرب في صراع مع بيزنطة، وكانت الدولة الشدادية تعاون الدولة الحمدانية بصورة غير مباشرة ضمن مشروع غير مخطط يحول دون دعم البيزنطيين لإخوانهم في

الدين الذين يجابهون الفتوحات الكردية الإسلامية في قفقاسيا، وكان هذا الأمير الكردي يتمتع في هذا الوقت بلقب حاكم اسلامي مستقل^(٥٢). وبصورة غير واقعية صاغ المؤرخ الأرمني ورتان (فاردان) مجموعة من أعمال انتقامية لصقها بفضلون، منها ان الزعيم الكردي استضاف مرة فيليب بن كريكور حاكم بلاد بارسوس في أَران بعد ان توفي والده، ثم وضعه في الأغلال واستولى على مقاطعتي (ششتاش وشوتك) وكانت الأخيرة مقاطعة أعطاها كريكور والد فيليب للشداديين. ثم يضيف قائلاً: ان بدلون (فضلون) كان قد استدعى كاكيك أو غاغيق (ويلفظ الآن خاجيك) بن همام زعيم مقاطعة تاندزيك^(٥٣) وقتله ليضم مقاطعته إلى بلاده وقد سيطر بالقوة على مقاطعات خاجين وكوروز وسيفورديك، وكانت المقاطعتان الأوليان تقعان حوالى مدينتي برذعة ويلاقان بين نهري الكرو و آراكس. أما الثالثة فكانت على طريق كنجه - تغليس^(٥٣). وبخبرنا ورتان كذلك عن سقوط مدينة شمكور بيد الأمير لشكري شقيق فضل الأول وعن حروب هذا الأخير مع كل من كاكيك حاكم دزوروكيت وكويريكي زعيم الفانك (الألبان) وكذلك مع بكرات الثالث ٩٧٥م - ١٠١٤م ملك جيورجيا وقد انتصر عليهم جميعاً. هذا بالإضافة إلى انه حكم مدينة دوين (دفين) وكان يقبض من الأرمن ٣٠,٠٠٠ درهم، أي ما يعادل ٣ آلاف من الدنانير، ومع ذلك فقد ظل بعض ملوك الفانك يحكمون في بعض الأراضي الألبانية شرقي مدينتي كنجه وبرذعه.

ولعل من أهم أخبار فضل الأول المعارك التي جرت بينه وبين داود المشهور بـ(داود فاقد الوطن)، وكان هذا ابن شقيق كاكيك ملك الأرمن. وبواسطة أخيه سمباد (سمباط) كان يحكم في بلاد الكرج (جيورجيا) على أغلب الاحتمال، واضعاً بداية لأسرة حاكمة هناك،

(٥٢) مينورسكي، دراسات حول تاريخ قفقاسيا، ص ٤٢.

(٥٣) المصدر نفسه.

وقد جاءتنا هذه الأخبار من مصدر واحد وهو كتاب (تأريخ أسوليك دارونيجي) ومفادها ان فضلون أمير كنجه استعجل في التصادم مع داود الذي حاربه بشجاعة وانتصر على فضلون في النهاية وقتل أغلب المسلمين بسيوفه وأغرق الباقين في النهر^(٥٤) وتخلص فضلون بشق الأنفس^(٥٤). وقد دُون ورتان بشكل مختصر خبر الحرب التي جرت بين فضلون وكيوركى بن داود ثم حربه مع كاكىك صاحب جوروكيدو. ويستبعد الأستاذ كسروي تبريزي وقوع مثل هذه الحروب ذلك لأن فضلون توفي قبل موت داود بمدة طويلة ولا يصح انه حارب ابنه، ثم ان كيوركى هو أحد قادة داود^(٥٥). وإذا حصلت حرب فإنها لابد هي التي وقعت مع داود والتي قاد إحدى معاركها كيوركى نفسه. ومن المؤسف جداً ان المصادر الاسلامية أهملت تدوين أخبار هذه الحروب وكذلك موضوع الاستيلاء على مدينة دوين التي فيها بدأت الأسرة الشدادية تنمي سلطتها ومنها توسع فتوحاتها التي ازدادت بمرور الزمن نحو الغرب تحت قيادة الابن الأكبر لفضل الأول الأمير أبو الأسوار.

كان البيزنطيون في بداية القرن الحادي عشر الميلادي يسعون بقوة لتضييق الخناق على المملكة الأرمنية من الجنوب. ومن جهة أخرى كانت قبائل الغز التركمان تزحف نحو أذربيجان وأرمينية معقدة الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المناطق الواقعة على ضفاف نهري الكرّ وآراكس التي كانت في الأساس مركز الصراع بين العالمين الاسلامي والمسيحي وكان يتمثل بالحروب الكردية الجيورجية على أملاك أمراء تفليس. ورغم الغموض الذي يكتنف الأحداث في هذا الجزء من ثغور البلاد الاسلامية، فإن واحداً من مؤرخي الإسلام وهو ابن الأثير استطاع ان يشير إلى جانب ضئيل من أحداث فضلون وحروبه قائلاً:

(٥٤) كسروي تبريزي، شهریاران کمنام، الجزء الثالث، ص ١٣.

(٥٥) المصدر نفسه.

«كان فضلون الكردي هذا بيده قطعة من اذرييجان قد استولى عليها، وملكها، فاتفق ان غزا الخزر (الخطأ من الناسخ والأصح الجزر... ج.ر)، هذه السنة فقتل منهم، وسبى وغنم شيئاً كثيراً، فلما عاد إلى بلده في سيره وأمل الاستظهار في أمره ظناً منه انه قد دَوَّخهم وشغلهم بما عمله بهم، فاتبعوه مجدين، وكبسوه، وقتلوا من أصحابه والمطوعة الذين معه أكثر من عشرة آلاف قتيل، واستردوا الغنائم التي أخذت منهم وغنموا أموال العساكر الاسلامية وعادوا»^(٥٦).

والواقع إن هذه الحوادث تبعت الانتصارات التي حققها فضلون عام ٤٢١ هـ ويشير المؤرخ الجيورجي (جوانشيين) إلى مساعدة الأرمن للجزان (الجيورجيين) في حروبهم ضد فضلون وانتصاره عليهم، ويضيف ان بكرات ملك الجزر والأبخاز طلب الاغاثة من ملك الأرمن كاكيك وهاجما معاً بلاد الشداديين وسلبا منهم اسلاباً عظيمة^(٥٧). وكان كاكيك ينتمي إلى أسرة أرمنية اشتهرت باسم (هايفازيان) وكانت تحكم قسماً من بلاد أزان سمي بـ(باريسوس = فارسوس) ومن ملوكها سنكريم (وهو الصيغة الأرمنية لاسم سنحاريب) عاش قبل زمن فضلون وتبعه في الحكم أخوه كريكور الذي توفي عام ٤٥٢ الأرمني المصادف ٣٩٤ هجرية، وهو الذي ذكره ورتان قائلاً: انه قتل بيد أبناء محمد بن شداد. وعلى حد قول أسوليك فإن كاكيك قسم بلاد فضلون فيما بينهما وقرب فضلون فيليب بن كريكور، لكن أباه كريكور حاول الهرب لذلك أسره فضلون وأغلق عليه مناطق ششقاش وشوتك (شاشواغ وشوت). لكن فيليب ابنه تحرر من الأسر أيام فضلون وأسس حكم اسرة هايفازيان مرة ثانية بالرغم من ادعاء أسوليك، الذي أنهى تأريخه عام ٤٥٢ الأرمني، قائلاً: ان حكم هذه الأسرة كان قد انتهى بموت كريكور^(٥٨).

(٥٦) ابن الأثير، الكامل، المجلد التاسع (بيروت، ١٩٦٦)، ص ٤٠٩.

(٥٧) كسروي تبريزي، المصدر نفسه، ص ٤٩.

(٥٨) المصدر نفسه.

تشير الوقائع إلى أن سنة ٤١٧ الأرمينية (أي فيما بين ٢٢ شباط/فبراير عام ١٠٢٦ م و ١٠ شباط/فبراير عام ١٠٢٧ م) كانت المرحلة التي شن الجيورجيون فيها حملتهم على الكرد الشداديين وكانت هي آخر سنة من حكم الملك الجيورجي (كيورك) وبداية حكم ابنه بكرات الرابع ١٠٢٧ م - ١٠٧٢ م. وتحفظ المدونات الجيورجية أخباراً تشير إلى أن هؤلاء قد قاموا بحملتين على فضلون، كانت الأولى بقيادة بكرات الثالث ٩٨٠ م - ١٠١٤ م وقد استفاد فضلون في حينه من الخلاف القائم بين حكام مقاطعتي كارثلي وكاخيتيا وأغار على الأخيرة وأخرى باسم هيريث. وفي هذا الوقت استغاث بكرات الثالث بكاكيك الأول ملك الأرمن في آني (٩٨٩ م - ١٠١٢ م) وتصادمت القوتان في زوراكيرت وحاصر الأرمن والجيورجيون مدينة شمكورا واستعملوا المنجنيق لتدمير أسوارها، ثم تصالح معهم فضلون بدفع جزية سنوية لبكرات إضافة إلى تعاونه مع الجيورجيين في حروبهم مع الأعداء. وقد ظل فضلون (ولقب في المصادر الجيورجية بدلون العظيم) في زمن بكرات الرابع ١٠٢٧ م - ١٠٧٢ م يحتفظ بأراض شاسعة أمنت له مصدراً اقتصادياً وسياسياً. لذلك كانت الحملة الثانية عليه تتكون من قوات مشتركة جيورجية بقيادة (ليباريت) زعيم مقاطعة ترياليث وملك الزان وكاخيت المدعو (كويريكي العظيم) بالإضافة إلى ملك الأرمن (داود أنهولين) زعيم مقاطعة تاشير وكذلك جعفر بن علي أمير تفليس بجيورجيا الحالية.

هاجمت هذه القوات المسيحية المتحالفة منطقة إكليتس (إيلكيتس) واغتنموا أسلاباً وغنائم كثيرة عندما انسحب فضلون منها وكان في حالة مرض مميت. وفي الوقت الذي اعتلى كويريكي الثالث الحكم في كاخيت خلال الأعوام ١٠١٠ م - ١٠٢٩ م، وكان هذا حمى الملك داود أنهولين الأرمني، بدأت حوادث هذه البلدان تتوضح أكثر رغم التصرف في أسلوب تدوينها. فمثلاً تعظم المصادر الأرمينية كل أعمال داود أنهولين بصورة غير واضحة ويقول آسوليك المعاصر

للأحداث^(٥٩) فيما بين أعوام ٩٨٩م - ٩٩٠م ان بدلون (وجاء النص الأرمني للاسم بصيغة بتلون = الفضل) ملك كنجه، كان قد أخافه اعتلاء هذا الملك الأرمني الحكم خلال الأعوام ٩٨٩م - ١٠٤٨م. أما ماثيوس الأورفلي (وهو من مؤرخي نصارى أديسا = أورفه الحالية) فقد دون عام ١١٣٦م أخبار هذه الحوادث باضطراب ويقول انه أثناء موت آشوت كاج (ويقصد آشوط بن سمباط) هاجم عام ١٠٣٩م الأمير الفارسي أبو الأسوار (والصحيح الأمير الكردي أبو الأسوار بن فضلون) المسيحيين إلا ان داود أنهولين صدّه بمساعدة القوات التي أرسلها له ملوك آني وكبان وجيورجيا. ويظهر ان هذه الحملة التي يتحدث عنها ماثيوس كانت قد وقعت بعد وفاة فضل الأول وقد اتبع ابنه أبو الأسوار سياسة مستقلة من مقر مقاطعته الخاص في دوين. ومن الأعمال المتميزة لفضل، كما يتحدث عنها منجم باشي، كان بناء قنطرة على نهر الرس (آراكس) عام ٤١٨هـ (والصحيح ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) وهو يشير إلى دخول هذه المناطق الجنوبية ضمن حدود سلطته، إضافة إلى كون هذه القنطرة رمزاً من رموز انتعاش التجارة في هذه البلاد، ويحتمل كثيراً انه كان من ضمن خططه الرامية للسيطرة على اذربيجان لأن أعوام ٣٦٩هـ - ٤٢٠هـ المقابلة لأعوام ٩٧٩م - ١٠٢٩م كانت مرحلة ضعف السلطة في اذربيجان وهبوط الحالة السياسية فيها. ويعتقد مينورسكي ان هذه القنطرة هي ما يسمى الآن بـ(خودافرين) التي تصل أقسام المنطقتين الجبليتين الواقعتين شمال نهر آراكس داخل الاتحاد السوفياتي سابقاً، المعروفة بـ(قرجه داغ) مع جنوب ذلك النهر المعروف بـ(قرجه داغ) أيضاً في ايران^(٦٠). وقد ذكر حمدالله المستوفي القزويني عام ٥٧٤هـ/ ١٣٤٠م إحدى مناطق قرجه داغ باسم (جیلانی فضلون) وكانت تحوي على خمسين قرية وسكانها كانوا من بقايا أتباع بابك الخرمي^(٦١). ومن هنا يظهر ان

(٥٩) المصدر نفسه، الكتاب الثالث، الفقرة ٣٠.

(٦٠) مينورسكي، دراسات حول تأريخ قفقاسيا، ص ٤٥.

(٦١) القزويني، نزهة القلوب (لیدن، ١٩١٣)، تحقيق كاي ليستراخ، ص ٨٤.

فضلون كان قد وسع دولته بحيث كانت تشمل مناطق جنوب نهر آراكس مهدداً بذلك الرواديين الذين تركزت سلطتهم على المحور المركزي لطريق أهر - تبريز في أذربيجان. وجدير بالذكر أن ابنه المسمى عسكويه (عسكريه؟) انتفض في ييلقان ضد سلطة والده وكانت هذه المدينة تقع جنوب شرق الأراضي التابعة لسلطة فضل، وعلى الطريق المؤدي إلى شرق أذربيجان وموقان ولم تصلنا أخبار كافية عن هذه الانتفاضة. وفي الواقع أن جميع ما ورد من هذه الأخبار والمشاكل والأوضاع السياسية في مناطق كنجه وشيروان تبين في المدونات المحلية التي نسخها الناسخ الكردي مسعود بن نامدار في مخطوطته في حدود عام ٥٠٥/١١١١م. ويعتبر هذا العهد مرحلة انتهاء صفحة من تاريخ تلك البلاد لتظهر صفحة جديدة بوصول الروس إليها ليلعبوا دورهم في رسم حوادثها السياسية.

وبعد مرور ٤٧ عاماً من الحكم، توفي فضلون في سنة ٤٢٢هـ وجاء إلى السلطة من بعده ابنه أبو الفتح موسى الذي ظل لمدة ثلاث سنوات يحكم البلاد. ولا يعرف عنه شيء كثير إلا ما أورده منجم باشي من أخبار حربه مع الروس، ثم جاء لشكري أبو الحسن علي الذي حكم ١٥ عاماً. وفي الحقيقة كان لفضل الأول ورثون عديدون وهم كل من موسى وأبو الأسوار وعسكويه وبنت تزوجت من شروانشاه مینوجهر ملك بلاد شروان (١٠٢٧م - ١٠٣٤م) وقد اشتركت هذه الأميرة في قتل زوجها مع أخيه علي الذي تزوجها وحكم شروان فيما بين ٤٢٥هـ - ٤٣٥/١٠٣٤م - ١٠٤٣م. وقد أشار منجم باشي بالتفصيل في الفقرة السادسة من بابه الخاص بملوك شروان وباب الأبواب إلى هذا الموضوع قائلاً أن:

«منوجهر شروانشاه قتل سنة ٤٢٥هـ في داره غيلة، قتله أخوه أبو منصور بن يزيد وكانت مدة ملكه سبع سنين. وكان سبب قتله أن أخاه أبا منصور كان متوهماً منه متوارياً، ثم دخل اليزيدية ليلاً على حين غفلة من أهلها وبعث إلى زوجة أخيه منوجهر وهي الست بنت الفضل وكانت مائلة إلى أبي منصور، وعرفها حاله وحصوله في بيت أحد غلمانها على

ما أشارت إليه به، فلما علمت المرأة ذلك وجهت إليه إحدى حواشيها مع صندوق من صناديق المطبخ حتى أجلسته فيه وأدخلته قلعة اليزيدية فلما حصل في بيتها بعثت إلى زوجها منوجهر تدعوه إليها، فعرضت عليه كتاباً ورد عليها من أخيها موسى بن الفضل صاحب أزان فكان منوجهر يقرأه وينظر فيه ويفسره لها إذ خرج عليه من آخر البيوت أخوه أبو منصور شاهراً سيفه فقال له منوجهر، من أدخلك داري، وما استتم الكلام حتى ضربه بسيفه على مؤخر رأسه فأراد أن يكرر الضرب فسقط السيف من يده من الخوف الذي دخل قلبه فأمرت الزوجة الملعونة جواريتها فأتمن قتلها، ثم لففتها بزييلة فخرج أبو منصور من الدار وأمر بإغلاق أبواب القلعة^(٦٢).

ومهما يكن من أمر، فإن أشهر الأخوة من أبناء فضل كان أبا الأسوار الذي تزوج أخت ملك تاشير الأرمني المدعو داود أنهولين^(٦٣) وهي بنت آشوت بقراطوني (باكراتوني)^(٦٤) وقد حكم في كل من دوين وأناي بعدما انتهى حكم أخيه موسى وأبنائه. ولا تدلنا المصادر عن كيفية قتل لشكري عم كل من موسى وأبي الأسوار إلا ما جاء في قصائد الشاعر قطران التبريزي^(٦٥) الذي ألف خمس عشرة قصيدة حوله^(٦٦). ويظهر أنه كان ثمة عائلتين نبيلتين وهما الشدادية والبهرامية لأن والدته كانت إحدى أميرات بلاد شروان، وقد تزوج هو من شاهخو سروفان أرملة جعفر بن علي أمير تفليس. ويظهر أن جعفر أمل من ابن الفضل انقاذه حينما حاصرت قوات بقراط (باكرات) وكويريكي ملك كاخيت مدينة تفليس كما تخبرنا بذلك المدونات الجيورجية التي تتحدث عن حوادث دارت بعد عام

(٦٢) منجم باشي، جامع الدول، الفقرة السادسة.

(٦٣) Aristakes of Lastiverd, Ch. X, p. 69, Trans. by Prud'Homme.

(٦٤) كسروي تبريزي، شهرياران كمنام، الجزء الثالث، ص ٣٢.

(٦٥) قطران هو كنية الشاعر الحكيم شرف الزمان أبي منصور. عاش في القرن الحادي عشر الميلادي ألف قصائد في مدح حكام بني الرواد الكرد في أذربيجان وكذلك حكام بني الشداد الكرد في أزان.

(٦٦) كسروي تبريزي، المصدر نفسه، ص ١٧ - ٣٠.

١٠٣٩م، وهي في الواقع زمن حكم لشكري بن موسى الأول، في حين مات جعفر عام ١٠٤٦م^(٦٧)، وهذا هو تأريخ زواج لشكري الثاني، وكان قد خلف من زواجه الأول كل من مينوجهر وأنوشيروان وكودرز وأردشير.

يخبرنا قطران الشاعر في قصائده عن ثار أبي الأسوار لفضلون ومملان من أعدائهما، ويقصد بذلك من الأرمن والجيورجيين، أما مملان عند قطران فهو الأمير الروادي الكردي في اذربيجان الذي حكم فيما بين ٩٩٨م - ٩٩٩م في منطقة شاسعة وصلت من مدينة تبريز إلى سواحل بحيرة وان، وهو ابن أبي الهيجاء حسين بن محمد. وقد أشار المؤرخ الأرمني آسوليك إلى أن مملان قام بحملتين على أرمينيا وذلك عندما توجه الملك الأرمني داود أنهولين إلى مدينة منازكرد (ملازكرد) شمال بحيرة وان وحاصرها، وقد عانى سكانها المسلمون الكرد من الجوع كثيراً، ثم أساء المحتلون في معاملتهم لسكانها الذين طلبوا العون من الأمير الكردي مملان الروادي. وعندما لبي مملان طلب المحاصرين، هرع داود يطلب العون بدوره من حكام أني وكاخيت والأبخاز وخاصة كل من غاغيق بقراطوني وباكرات وغيرهما، ويختتم آسوليك قصته بالرعب الذي أدخله هؤلاء إلى قلوب المسلمين وانسحاب مملان من المعركة.

أما الحملة الثانية لمملان فكانت عام ٣٨٨هـ وسار بها من تبريز إلى واسبوركان ثم مدينتي خوي وديار بكر والتقى بقوات الأرمن والجيورجيين وكان أغلبهم من الفرسان، لكن اللكز والشروانيين كانوا مشاة. وحسب ادعاء آسوليك فإن عدد المسلمين كان كثيراً جداً إلا أن الأرمن والجيورجيين قاتلوا قتالاً مستميتاً إلى أن انتصروا، فولى مملان هارباً وغنم الأرمن والجيورجيون أسلاباً كثيرة^(٦٨) وكان هؤلاء

(٦٧) S. Janashia, Istoriya Gruzii, Tiflisi, 1947, Str. 175.

(٦٨) منيورسكي، دراسات حول تأريخ قفقاسيا، ص ٤٧؛ كسروي، المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص ١٧٠ - ١٧٢،

وانظر كذلك تأريخ آسوليك، الكتاب الثالث، الفصل ٤١.

بقيادة كل من غاغيق (كاكيك) الملك الأرمني في آني (٩٨٩ م - ١٠٢٠ م) والملك الجيورجي كوركين الذي توفي عام ١٠٠٨ م واستمر ابنه بكرات الثالث في القيادة (٩٨٠ - ١٠٠٨ م) وانتهج نهجه من بعده، وهو النهج الذي سماه ماثيوس الأورفلي، في بداية القرن الثاني عشر الميلادي بعد وصول القوات البيزنطية إلى المنطقة بالحروب الصليبية الأولى..١

إن هذه الحروب التي قامت بين هذه القوى ما كانت إلا نتيجة للفراغ السياسي الذي تركه الأمير الكردي (باز) رئيس الدولة الدوستكية في ميافارقين الذي سقط عن فرسه فاندقت ترقوته خلال معاركه قرب الموصل عام ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م. وقد وجد الأرمن في موته فرصة للنيل من سيادة الدولة الدوستكية، فزحف داود أنهولين في السنة نفسها على المدينة الكردية ملازكرد وحاصرها مدة حتى اضطر سكانها إلى الاستسلام بسبب نفاد الطعام والذخائر فيها وأجلى الأرمن منها الكرد المسلمين ونهبوا أموالهم وهدموا جامعها الكبير، وقد أثارت أعمال داود هذه ضجة كبيرة بين أمراء الكرد وأرسلوا إليه طالبين أن يترك المدينة ويسلمها إلى أصحابها، لكن الملك الأرمني رفض ذلك فحشد الأمير الكردي مملان بن أبي الهيجاء الروادي أمير الدولة الروادية الكردية في اذريجان جيشاً كبيراً فزحف على أرمينيا بادئاً بناحية (جاغكويود) بقرب جبل آارات ثم توجه إلى مدينة ملازكرد^(٦٩).

(٦٩) حول تفاصيل هذا الموضوع انظر: تأريخ الفارقي، تحقيق الدكتور بدوي عبداللطيف (القاهرة، ١٩٥٩)، ص ٥٨ وما بعدها. انظر أيضاً: مجلة الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية، الأعداد لعام ١٩٠٢، ص ٧٨٥ وما بعدها، ولعام ١٩٠٣ م، ص ١٢٣ وما بعدها. وهناك ترجمة تركية لكتاب الفارقي قام بها الباحث الكردي بوز ارسلان.

H.F. Amedroz, «The Marwanid Dynasty at Mayyafariqin in the tenth and eleventh Centuries». (J.R.A.S. (1902) p.785; 1903, p.123FF.

راجع الملاحظات حول البحثين السابقين في:

H.F.A., «Notes on two articles on Mayyafariqin», J.R.A.S. (1909).

وانظر أيضاً إلى: عبدالقيب يوسف، الدولة الدوستكية، الجزء الأول (بغداد، ١٩٧٢)، ص ١١٧، ١٢٧.

ومما يؤسف له ان هذه المرحلة في تأريخ الشعب الكردي التي يمكن اعتبارها عهد أو عصر النهضة شهدت تحديات حاولت وقف دور الكرد في قيادة حركة تلك النهضة وواجهت الدويلات الكردية في كل من اذربيجان وأران وميفارقين مشاكل سياسية وعسكرية وضغطاً بشرياً هائلاً لا يمكن التصدي لها لمدة طويلة سواء كان هذا الضغط من جهة الشرق (هجرة قبائل التركمان الأوغوز والسلاجقة) أو من جهة الغرب (البيزنطيون) أو من جهة الشمال (الأرمن والجيورجيون والقبائل النصرانية من اللان والديدو) هذا بالإضافة إلى ضغط حكام الكاخيت (شكيت) من الجنوب نسبة إلى الشداديين. فزمن حكم لشكري المتوتر (١٠٣٤م - ١٠٤٩م) يطابق فترة الحملات السلجوقية نحو الغرب. ويخبرنا بعض المصادر ان قوتلمش ابن أرسلان يغزو حاصر مدينة كنجه عام ٤٣٨هـ/١٠٤٦م - ١٠٤٧م ولمدة طويلة ولكن لشكري صده في النهاية^(٧٠)، مما يدل على الأسس القوية لحكمه وقاعدته العسكرية في عاصمته كنجه وهو يدافع ضد أفراد يتصفون بصعوبة المراس في ذلك الوقت. كما ان مصدراً آخر يشير إلى المصائب التي انهالت على لشكري من خلال الحملات البيزنطية التي قادها الامبراطور نيقفور (نيكوفوروس) وكانت في البداية ضد ابن عم لشكري أبي الأسوار الذي كان يحكم في دوين^(٧١).

وجدير بالاشارة هنا إلى ان سكيليتريس، مدوّن أخبار هذه الحملات، غير اسم قائد الحملة إلى قسطنطين مونوماخ وقال انه أوصل قواته إلى مكان يسمى جسر إيرون وكنجه. ويظهر ان زمن هذه الحملة كان قبل عام ١٠٤٩م لأن أبا الأسوار حاكم دوين كان قد استلم الحكم في هذه المدينة في هذا العام بالذات، ثم سلم أبو الأسوار إلى نيقفور

(٧٠) M. Halil Yinanc., *Selçuklar Devri*, I, (Istanbul, 1944), p. 46.

(٧١) المرجع الرئيسي لهذه الحوادث هو ما كتبه سكيليتس باليونانية: Skylitzes (in Cedrenus 593).

انظر: مينورسكي، دراسات حول تأريخ قفقاسيا، ص ٤٨.

الامبراطور البيزنطي شخصاً ينتمي إلى الأسرة الحاكمة رهينة حيث رافق الامبراطور إلى القسطنطينية، ويسميه سكيليتزيس بـ(أرتاشيز بن أبي الأسوار) شقيق فضلون سيد كنج، وهو أردشير الذي ذكره قطران التبريزي في قصائده كابن لأبي الأسوار وكفرد من سادة الأسرة الشدادية. والخطأ هنا واضح، لأن أردشير هو ابن لشكري، ويظهر أن أبا الأسوار كان قد نصح ابن أخيه لشكري في كنج، إن يسلم ابنه أردشير إلى الامبراطور البيزنطي. وظل لشكري محافظاً على ألقابه التي تشاهد في المسكوكات التي ترجع إلى عام ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م - ١٠٤٠م بصيغة «الأمير الأجل علي بن موسى اللشكري»، لكن ابنه الرضيع أنوشيروان لم يكن بعد وفاة والده في حالة يستطيع معها التصدي للأعداء. وكان الحاجب أبو منصور مستعداً في كنج للتنازل عن بعض القلاع للأعداء مقابل إيقاف حملاتهم، لكن الخطر الأكبر على الأسرة الحاكمة جاء من الداخل، من الطبقة الوسطى التي شملت التجار وأصحاب الحرف من أهل المدينة الذين نفذ صبرهم في التصدي لحصار النصارى لمدينتهم كنج العاصمة، وكان هدفهم من هذا الموقف تعيين رجال كفولين في مراكز إدارة الدولة وليس السيطرة عليها كما كانت الحالة في باب الأبواب آنذا.

في خضم هذه الظروف الاستثنائية لعب الأمير أبو الأسوار الأول دوره في تأريخ المنطقة بأكملها (في دوين بين أعوام ١٠٢٢م - ١٠٤٩م وفي كنج بين أعوام ١٠٤٩ - ١٠٦٧م)، وكان الاسم الشخصي لهذا الأمير هو شافور (الصيغة الكردية لشاهبهر أو سابور) وكنيته أبو الأسوار (أبو الفرسان) وظهر اسمه ولقبه في المسكوكات بالصيغة التالية: «الأمير الجليل شافور بن الفضل الشداد» كما دُون اسمه على باب حديدي يرجع تأريخه إلى ٤٥٢هـ/ ١٠٦٢م نهبه الجيورجيون بعد هذا التأريخ وهو بالصيغة التالية: «مولانا الأمير السيد الأجل شافور بن الفضل أدام الله سلطانه». ومما يؤسف له أن المصادر التي تتكلم عن التأريخ المبكر لهذا الأمير الكردي هي ما دونها أعداؤه من الأرمن والجيورجيين، وكان هذا الأمير قد جاء إلى السلطة في

(كنجه) بعدما آلت الظروف فيها إلى ما أشرنا إليه بعد موت ابن أخيه موسى. وليس هناك مصدر يشير إلى دوره في كنجه قبل عام ٤٤١ هـ/١٠٤٩ م، ويظهر أنه وصل إلى هناك بعد هذا التاريخ. فقبل وصوله نسمع عن قصة مضطربة الحوادث ومتحيزة للنصرانية دونها ماثيوس الأورفلي في القرن الثاني عشر الميلادي (الفقرة العاشرة) ثم أتمها المؤرخ الأرمني ميخائيل جامجيان في القرن الثامن عشر ومفادها أن كلا من الأخوين آشوط وهوفهانيس Hovhannes (يوحنا) كانا من أسرة بقراطوني وأبني سمباط المذكور يحكمان أرمينية وقد تأمر آشوط مع شخص يدعى أيراد للقضاء على أخيه هوفهانيس الذي كان في مدينة آني (١٠٢٠م - ١٠٤١م) وكان أيراد هذا نبيلاً أرمينياً خدم أولاً عند آشوط ملك قارص (مات في ١٠٤٠م)، ولكن عند القاء القبض على هوفهانيس أشفق عليه وحرره من الأسر لذلك دخل الأخير في خدمته. وقاد أيراد فيما بعد قوة أرمينية تقدر بـ ١٢ ألف فارس إلى مدينة دوين لمحاربة أبي الأسوار، لكن الأمير الكردي واجه القوة الأرمينية برباطة جأش وقتل قائدها. وقد حدد ماثيوس زمن هذه الحوادث في عامي ٩٧١م و٩٧٢م وهما يسبقان حقيقة الأحداث بنصف قرن تقريباً^(٧٢). ويورد ماثيوس قصة قتل أبي الأسوار لأيراد بتصرف ظاهر فيقول:

«إن أيراد أشفق بيوحنا (هوفهانيس) فأخذه إلى آني بعكس ما أمر به آشوط ووضعه على عرشه، في حين لم يجد هو مكاناً آمناً يأوي إليه قرب قوته وأهله غير مدينة دوين عند أبي الأسوار. وعامله أبو الأسوار في البداية معاملة حسنة، لكنه قرر قتله بعد فترة وجيزة، وكان وراء هذا العمل أولئك الذين يحيطون بأبي الأسوار».

ويعتقد كسروي تبريزي بأن هذا العمل كان إما بطلب من آشوط نفسه أو لأجله، لأن أبا الأسوار كان صهراً لآشوط^(٧٣).

(٧٢) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٥١.

(٧٣) كسروي تبريزي، شهر ياران كمنام، الجزء الثالث، ص ٣٥. لقد نقل جامجيان =

ولعل أهم خبر يلصق بأبي الأسوار هو علاقته بداود أنهولين الأرمني ملك تاشير وزواجه بأخته^(٧٤). لذلك فلا غرابة في ان يسمى الشاعر قطران التبريزي (فضل الثاني) بن أبي الأسوار من هذه الأميرة الأرمنية (مصباح دار البكراتية)، وحمل ابنهما الثاني اسماً أرمنياً (آشوط). ومع ذلك فإن هذه الأحداث لم تغير سياسة أبي الأسوار على كونه زعيماً كردياً مسلماً يمثل العالم الإسلامي في محيط تغمره الدويلات والقوى النصرانية ويشير إلى ذلك ماثيوس الأورفلي قائلاً:

«إن أبا الأسوار جمع فيما بين أعوام ١٠٣٩م و١٠٤١م قوة تعدادها ١٥٠ ألف رجل ودخل بهم في أراضي الملك الأرمني داود أنهولين شقيق زوجته الذي التمس من أمير آني الأمير هوفهانيس سمباط (١٠٢٠م - ١٠٤٠م أو ١٠٤١م) عوناً لتجديده، وقد أرسل هذا له قوة تقدر بثلاثة آلاف رجل، كما ساعده ملك كابان (في منطقة سيونيك) بألفي محارب، هذا بالإضافة إلى أربعة آلاف محارب أرسلهم إليه ملك جيورجيا»^(٧٥).

وهكذا فقد توجه حاملو الصليب بعشرة آلاف نفس - وعند جامجيان عشرين ألفاً - لمواجهة ١٥٠ ألفاً من المسلمين - من الترك والایرانیين على حد قول ماثيوس - وقد غلبوهم رغم قلة عددهم. ويحدد جامجيان فترة هذه الوقائع في سنة ١٠٣٦م التي تصادف ٤٢٨هـ^(٧٦)، ولكنه يقع في خطأ بقوله مباشرة بعد هذا الخبر: «إن أبا الأسوار طلب عوناً من طغرل بيك حاكم ایران» في حين لم يكن طغرل بيك في هذه الفترة قد دخل إلى ایران بعد، وقد استقى

= هذه القصة عن ماثيو الأورفلي، ويقول انها حدثت عام ١٠٢٠م/٤١٢هـ. وإذا صدقنا هذا التاريخ فيجب ان نستبعد الحدث عن أبي الأسوار لأنه كان صغيراً جداً في هذا الوقت، عند ذلك يمكن، إذا صح قوله، الاستنتاج ان أباه فضلون هو الذي قام بهذا العمل.

Aristakes of Lastiverd., Ibid (٧٤)

Matthew, I, Ch. 54. (٧٥)

(٧٦) انظر إلى تفصيلات هذا الموضع عند جامجيان، المجلد الثاني، ص ٩١٤، ٩١٥.

جامجيان هذا الخبر من ماثيوس دون التأكد من صحته على أغلب الاحتمال بالرغم من ان مينورسكي لا يحدد مصدر قول جامجيان، ويقول ان:

«كل ما هناك ان ماثيو Mathew, I, Ch.60 سجّل خبر معركة بين كريكور بهلفوني بن فاساك وبعض الترك على نهر هورازدان (زنكي) قرب بيجني، ويحتمل ان أبا الأسوار قد عضد الترك، وبعد تراجع الأمير الكردي ظل كريكور يحارب الترك حلفاء أبي الأسوار»^(٧٧).

ومن جهة أخرى كانت القوات البيزنطية منتشرة في الجهات الشرقية من آسيا الصغرى تراقب هذه الأحداث لكي تتوفر لها الظروف في ابتلاع تلك الدويلات النصرانية للأرمن والجيورجيين، وبالأخص في هذه الفترة التي كان سكان هذه المناطق فيها يفقدون روح التحرر القومي، وكان الانتماء الديني هو الدافع الوحيد لأغلبية المحاربين في الدفاع عن أوطانهم. ففي عام ١٠٢١م - ١٠٢٢م قاد الامبراطور البيزنطي باسيل الثاني جيشه إلى ان وصل إلى مدينة خوى - هير - في غرب ايران الحالية وعلى بعد ١٧٥ كيلومترا من مدينة دوين، وكان يحاول ان ينهي السلطة الملكية لأسرة أرتسروني في وان. وفي مدينة آني أوصى يوحنا سمباط (هوفهانيس) بأن تعطى أمور مملكته إلى الامبراطور البيزنطي بعد موته. لذلك فعندما مات عام ١٠٤٠م (أو ١٠٤١م) أرسل الامبراطور ميخائيل الرابع قوة بيزنطية لكي تستولي على العاصمة آني. وهنا بدأ الأرمن المونوفيسطيون^(٧٨) لا يثقون برجال

(٧٧) مينورسكي، دراسات حول تأريخ قفقاسيا، ص ٥١.

(٧٨) المونوفستية هي إحدى المذاهب المسيحية داخل الامبراطورية البيزنطية. فعند اشتداد الصراع المذهبي بين للمسيحيين تطرفت مدرسة الاسكندرية اثر وفاة كيريل رئيس أساقفة كنيسة هذه المدينة عام ٤٤٤م. وقاد الحركة المتطرفة كل من ديوسكورس وبوتيكس وتوصلا إلى ان الطبيعتين الالهية والبشرية في المسيح قد امتزجتا وكونتا طبيعة واحدة مقدسة. وقد أطلق على أصحاب ذلك المذهب اتباع الطبيعة الواحدة (المونوفيسطيون Monophysites). وهكذا فقد أكد هؤلاء الطبيعة الالهية في السيد المسيح وان تلك الطبيعة الالهية قد ابتلعت الطبيعة البشرية.

الدين اليونانيين من المذهب الخلقدوني وارتابوا من خطط توسعهم السياسي، لذلك وضعوا الصبي كاكيك (غاغيق) ابن أخي الملك السابق على العرش بسرعة. وقد ساعدت الحوادث التي دارت في القسطنطينية عاصمة البيزنطيين والتي دامت سنتين على مجريات الأمور عند الأرمن وعطلت خطط البيزنطيين. ولكن الامبراطور الجديد قسطنطين مونوماخ صمم على إجراء تحسينات في قواته بتسليحها جيداً. ومع ذلك فلم تحقق هذه القوات أهدافها، لذلك كتب الامبراطور رسالة مضللة إلى أبي الأسوار سيد دوين (تبيون باليونانية) وسيد مقاطعة إيرانيينا Persarmenia (ايران وارمينيا) على نهر آراكس يدعوه إلى الاغارة على أراضي مملكة آني، ولكن أبا الأسوار سأله بذكاء عن ضمان وعوده فأقسم الامبراطور بالثور الذهبي The Golden Bull على ان تعترف القسطنطينية بفتوحاته مستقبلاً. وفي الوقت نفسه وصلت تعزيزات إلى قواد الفرق البيزنطية، وطلب أبو الأسوار في جوابه ان تكون مدن وقلاع البكراتونيين عند الاستيلاء عليها من ممتلكاته، وقد وافق الامبراطور على شروطه.

وهكذا ومع بركة القسطنطينية، على حد قول مينورسكي، غزا أبو الأسوار منطقة شيراك (مقاطعة آني)، وتصرف ندماء الملك الأرمني الشاب كاكيك بشكل غير لائق إذ أقنعوه بزيارة القسطنطينية تحت وابل من الوعود المقدسة للندماء على انهم سيموتون من أجله ان دعت الحاجة إلى ذلك. ولم تحقق هذه الزيارة شيئاً رغم إطالة الملك اقامته في عاصمة بيزنطة. ثم أرغم هذا الملك على التخلي عن العرش عام ١٠٤٥ م^(٧٩)، ويقول جامجيان أن أبا الأسوار استولى على قلاع البكراتيين قبل تخلي الملك الأرمني عن العرش، وقد رجا هذا من أبي الأسوار إخلاء تلك القلاع بعد طلب الصلح منه وقد وافق أبو الأسوار على رجاء كاكيك^(٨٠).

(٧٩) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٨٠) جامجيان، المجلد الأول، ص ٩٢٦ وكسزوي، ج ٣، ص ٣٨.

أما في مدينة آني فقد اقترح نبلاؤها بعد المحادثات الطويلة الخضوع لداود أنهولين شقيق زوج أبي الأسوار، لكن وافق بعض من هؤلاء على الخضوع لملك الجيورجيين، وجماعة ثالثة اقترحت تسليم المدينة لأبي الأسوار الذي كان زوجاً لأميرة أرمنية حسب نظرهم إلا أن بطريك المدينة قرر أخيراً تسليم المدينة إلى امبراطور بيزنطة^(٨١). وعندما حاز البيزنطيون على هذه البلاد أرادوا من أبي الأسوار التخلي عن ملكه، وبذا تخلو عن وعودهم (المقدسة) وعندما رفض أبو الأسوار ذلك أرسلت ضده حملة بيزنطية إلى دوين وكان يدعمها عدد كبير من الأرمن والجيورجيين بالإضافة إلى قوات كل من ميخائيل أياستيس وقسطنطين الآلاني. فلم يبق أمام أبي الأسوار أي خطة سوى أن يهدم السدود وأبواب المياه لتغمر البلاد وساحات المعارك بالمياه على إثره فانسحبت القوات المعادية بسبب ذلك، ثم أكملت قوة الكرد وسهام الشداديين هزيمة البيزنطيين. وعلى إثر هذه الهزيمة، طرد الامبراطور قواد تلك الحملة وعين مكانهم كلاً من كيكاو مينوس والمخصي قسطنطين الذي اقترح الاستيلاء على دوين (تسيون) مباشرة، ثم أقنعوا أنفسهم بالقبض على ما ناله أبو الأسوار من مقاطعات منها سانت ماريا (سورماي وسورميلو) وأمبير (أنبرد) وسانت كريكوري (خور - فيراب أو بأرب؟) التي حاول أبو الأسوار الدفاع عنها دون جدوى. وعلى حد قول أحد الروحانيين الأرمن المتأخرين الأب بيترس فإن المقاطعة الرابعة التي حاول أبو الأسوار حمايتها كانت معقل خيليدونيون (بريفان الحالية عاصمة أرمينيا السوفياتية)^(٨٢). وفي فترة عقد شروط تسليم هذا المعقل في أيلول/سبتمبر من عام ١٠٤٧م انسحب الجيش البيزنطي من هنا بسرعة على اثر انتفاضة ليون تورنيكيوس التي عطلت إدارة الامبراطورية البيزنطية. وكان على القائد البيزنطي قسطنطين أن يوقع معاهدة، في

(٨١) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٥٣ وانظر إلى:
Aristakes of Lastiverd., Ch. X, p.69, Trans. by Prud'Humme

(٨٢) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٥٣.

هذه الحالة، مع أبي الأسوار اشترط فيها الأمير الشدادي ان يحافظ على اعترافه بالامبراطور ولا يخل بما يؤدي إلى ازعاج بيزنطة^(٨٣).

وعلى كل حال لا نرى حاجة في الاشارة إلى وقائع الحملة البيزنطية الثالثة على دولة أبي الأسوار الكردية في زمن الامبراطور نيقفور Nicephore وما ترتب عليها من نتائج أيام خلفاء أبي الأسوار ودولتهم في آني، بل نكتفي بالاشارة إلى دور الآلان (اللان) في هذه الوقائع وعلاقاتهم مع الكرد، وبالأخص عند ظهور العنصر التركي في المنطقة واشتراكهم في الصراع مع الروم (بيزنطة) ثم تأثيرهم في النهاية على زوال السلطة الكردية للشداديين والرواديين في كل من قفقاسيا واذربيجان بالاضافة إلى سقوط الدولة المروانية (الدوستكية) في ميايفارفين بيد قتلش بن ألب أرسلان السلجوقي.

ففي الأزمنة القديمة وبلاستناد على أقوال كل من المؤرخين بلينيوس وأميانوس، ومركلينيوس فإن الآلان كانوا سكان مدينة مساكيت^(٨٤) (مسقط العصر الاسلامي) التي كانت تقع جنوب نهر سامور (سَمُور) بين الباب وشروان، وقد اشتق اسم هذه المدينة - وهو اسم مقاطعة أيضاً - من إحدى القبائل الآلانية المسماة بـ(المساكيت) وكان هؤلاء أقرب الجيران بالنسبة للقبائل التاليشية والديلمية والكردية والتاتية ذات اللغات المتقاربة على سواحل بحر قزوين الغربية. وليس من الغرابة ان يكون اسم نهر روباس جنوب مدينة الباب اسماً آلانياً الذي يعني (الثعلب) لأنهم سكنوا على ضفافه. وكان اللان في عام ٥٦٩م لا يزالون محتفظين باستقلالهم، ولكن ما ان حل عام ٥٧٦م

Cedrerus 562.

(٨٣) المصدر نفسه كذلك:

(٨٤) انظر: بليني، التاريخ الطبيعي، الكتاب الثاني، الفصل ١٢، كذلك انظر: أميانوس مركلينيوس، الكتاب ٣٠، الفصل ٢٢، الفقرة ١٢.

ويقول منجم باشي: «ان مسقط أرض تشتمل على عدة حصون وقرى ومزارع يحدها نهر سَمُور والبحر واللكز والشابران، كان لها حكام مستقلون قديماً، انقرضوا في سنة ٢١٨هـ فاستولى عليها أمراء باب الأبواب والثغور». (انظر: جامع الدول، الفقرة السادسة).

حتى استطاع أحد زعماء الترك المغيرين ان يعلن للسفير البيزنطي انه قد أخضع أخيراً شعب اللان وذلك عندما بلغت دولة الترك البدوية العظيمة حدود الساسانيين. وإذا كانت حصون ممر دربند (مدينة الباب) ثمرة من ثمرات هذه الوقائع فإن تشييد هذه المعاقل يعود بلا ريب إلى النصف الأخير من حكم كسرى^(٨٥). ثم ان هؤلاء اللان لا بد انهم كوّنوا صلة مع السكان القدماء لمنطقة شاكي (شكى) الواقعة في جنوب غرب مدينة مساكيت (مسقط) تلك المنطقة التي اشتق اسمها أيضاً من السكس (السكيث) أسلاف اللان وسميت في المصادر الرومانية والأرمنية ببلاد سكسيني أو شكشيني، ثم غدت شاكي أو شكى في المدونات الإسلامية^(٨٦). وإذا كان اللان يعيشون في هذه المناطق منذ أزمنة قديمة فلا بد انهم احتكوا بالقبائل الكردية التي كانت تطوف جنوب كل المناطق وحتى جبال آراغات منذ العصر الميدي، ولكن لا يظهر أن هذه القبائل حاولت في يوم من الأيام التوجه نحو الشمال، إلا ان اللان وبفترات مختلفة حاولوا الاندفاع نحو الجنوب وذلك تارة بتأثير ضغط القبائل التركية المتوجهة نحو الغرب بشمال بحر قزوين وتارة أخرى عن طريق الغارات المغولية. وعندما حطم الروس مملكة الخزر عام ٩٦٥/٣٥٤م واكتسحوا الجانب الجنوبي من هذه المملكة بما فيه سمرقند، يظهر ان اللان النصاري أفادوا من الموقف، حسب قول بارثولو، فقد كانت بلادهم أيام الفتح المغولي تمتد ناحية الشرق أكثر مما كانت عليه في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)^(٨٧)، في حين كان هؤلاء مع اطلالة القرن السابع إلى القرن العاشر، وبالأخص الساكنون منهم في داغستان وإلى كوبان يدخلون ضمن السلطة الخاقانية الخزرية وقد حاربوا الخلافة العربية الإسلامية والامبراطورية البيزنطية ثم حاربوا الخاقانية الخزرية واكتشفت آثارهم التي ترجع إلى القرون ٨ - ١١

(٨٥) دائرة المعارف الإسلامية، مادة دربند.

(٨٦) حول تفصيلات هذا الموضوع انظر: مينورسكي، فصول، ص ٣٧، ٨٢.

(٨٧) دائرة المعارف الإسلامية، مادة داغستان.

الميلادية في عدة مدن ذكرناها سابقاً. وفي خلال القرنين العاشر والحادي عشر كان للشداديين في أعمالهم أيام الحرب والسلام احتكاك مع جيرانهم النصارى من الأرمن والجيورجيين ومع غزاة شماليين عديدين منهم الآلان والروس، لذلك فزواج أبي الأسوار من أميرة ارمنية وهي أخت الملك داود انهولين كان لا بد قد جرى في زمن السلم إلا أنه مع ذلك وقع في حروب عدة مع الأرمن كما رأينا. ولا يستبعد أنهم كانوا على اتفاق مع سكان الدويلات النصرانية الأخرى أو مع القبائل البدوية الشمالية ومنهم الآلان. ففي سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م أغار أهل الباب علي شروانشاه وخربوا مواضع كثيرة من بلاده، ثم دخل الروس أيضاً بلاد شروان في هذه السنة فقابلهم منوجهر شروانشاه عند باكويه.. ثم صعد الروس إلى نهر الكر فعقد منوجهر الرّس ليمنعهم من الصعود ففرّقوا جماعة من المسلمين، ثم أخرجهم صاحب جنزه موسى بن الفضل وأعطاهم أموالاً جمّة وحملهم إلى بيلقان لأن أهلها كانوا قد استعصوا عليه حتى أخذ بيلقان بإمداد الروسية وقبض على أخيه عسكريه (عسكويه) وقتله، ثم ان الروسية خرجوا من أزان إلى الروم وامتدوا منها إلى بلادهم. وفي سنة ٤٢٣هـ اتفق السريرية والالانية وأغاروا على شروان زيادة على عشرة آلاف نفس وأقاموا فيها عشرة أيام يحفرون الأرض ويخرجون منها ما دفنه أهل البلاد من الأموال والأمتعة، فلما امتلأت أيديهم من غنائم المسلمين انصرفوا إلى بلادهم راجعين، فلما عبروا من باب حشب وثب عليهم أهل الثغور البابية وأخذوا الطرق والمضائق عليهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم يذكر مثلها، وأخذوا منهم جميع ما حملوه من شروان من أموال المسلمين من صامت وناطق وما نجا منهم إلا شرذمة قليلة بحشاشة أنفسهم مع صاحب اللان. ثم عاد صاحب اللان في سنة ٤٢٤هـ لأخذ الثأر إلى الباب فانكسر في هذه الدفعة أيضاً وقد وضع منجم باشي هذه الهزيمة قائلاً:

«وفي سنة ٤٢٣هـ/١٠٣٢م غزا الأمير منصور بن ميمون بن أحمد شروانشاه مع غزاة المراكز الاسلامية غزوة عظيمة وذلك

ان الروسية كانوا قد أغاروا على بلاد شروان وخربوها ونهبوها وقتلوا وأسروا من أهلها عالماً عظيماً، ولما عادوا وأيديهم ممتلئة من المنهوبات والسبايا أخذت الغزاة البايبة والثغرية مع الأمير منصور هذا عليهم المضائق والمسالك فحكموا فيهم السيف فلم يفلت منهم إلا قليل وأخذ من أيديهم جميع ما أخذوه من شروان من صامت وناطق، فقصده الروسية واللانية أخذ الانتقام فجمعوا وحشدوا وتوجهوا إلى الباب والثغور في سنة ٤٢٤هـ/ ١٠٣٣م فقصدوا أولاً الكرغ وكان بها شرذمة قليلة مع خسرو والهيثم بن ميمون البايي رئيس الدباغين وحارب مع الكرغية فأنزل الله النصر على المسلمين حتى قتلوا من اللانية والروسية مقتلة عظيمة فانهزم صاحب اللان من باب الكرغ مقهوراً فانقطع بالكلية طمع الكفرة من هذه المراكز الاسلامية^(٨٨).

والواقع إن الروس وصلوا إلى هذه المناطق عن طريق بحر قزوين، وأبحروا في نهر الكرغ عام ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م. ويحتمل أنهم دخلوا إلى قسم من نهر آراكس، وان تواجدهم هنا أدى بهم إلى التصادم مع الدولة الكردية الشدادية، لكن الطريق أدى بهم إلى الوصول نحو البحر الأسود ومنه إلى بلادهم. وهكذا أكملوا دورة في قفقاسيا. وأشار مينورسكي (دراسات في تأريخ قفقاسيا، ص ٧٧) إلى أن هدفهم كان في النهاية امارة تموتور وكانت في مدخل بحر آزوف والتي تأسست هناك في القرن الحادي عشر الميلادي من قبل مستسلاف بن فلاديمير شقيق أمير كييف المدعو ياروسلاف. وما كانت غاية موسى بن فضل الشدادية الأمير الكردي من غارته الناجحة على الروم عام ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م قرب مدينة باكو في قلب بلاد شروان خارج حدود بلاده أزان إلا لأن شروانشاه منوجهر طلب مساعدته وكان صهره وقد تزوج هذا من أخته الأميرة الكردية (الست) ذات الشخصية القوية التي قضت على زوجها وتزوجت من شقيقه أبي منصور عام ٤٢٥هـ/ ١٠٣١م كما ذكر. وفي الباب

(٨٨) راجع الفقرة السادسة في ملوك شروان، وباب الأبواب من كتاب: جامع الدول، لمنجم باشي.

الخاص بالشداديين أشار منجم باشي فقط إلى الحملتين الأولى والثالثة للروس إلى هذه البلاد ولم يتطرق إلى الحملة الثانية وهذا تقصير منه. ومن جهة أخرى فإنه ذكر اسم الروس في الفقرة الخاصة بالباب. وعندما أخذ المسلمون عليهم المضائق والمسالك أضاف منجم باشي اسم اللان أيضاً أثناء تراجع الروس. وتطرق أيضاً في الفقرة الخاصة بشروان (الفقرة السادسة) إلى اللان والسريير فقط عندما أغاروا على بلاد المسلمين عام ٤٢٣هـ/١٠٣١م. ويظهر انه تصرف ببعض نصوص مصدره الرئيسي. وإذا حققنا بعض أخبار الأسرتين الحاكميتين في كل من شروان وأزان (الألبانية والكردية) نشاهد بالاضافة إلى الأرمن ان تقارباً اجتماعياً قوياً قد حصل بين أفراد هاتين الأسرتين. فقد كانت الأميرة الكردية (الست) ابنة فضل الشدادي زوجة لمنوجهر ثم لأبي منصور ملكي شروان. كما تزوجت ابنة أبي الأسوار، (وهو الابن الصغير لفضل)، من السلار (الأخ الأصغر لكل من منوجهر وأبي منصور وقباد وأحمد). بمفهوم آخر فإن الأميرة الست كانت عمة زوجة السلار شروانشاه.

وفي عام ١٠٦٣م أغار أبو الأسوار على بلاد ابن اخته فريبرز بن سلاّر بن يزيد وكان أبو الأسوار في هذا الوقت شيخاً هرمًا وكان قد خلق لنفسه في دوين سمعة سياسية جيدة أمام بيزنطة قبل انتقاله إلى كنجه. وبعد فترة رجع فريبرز إلى بلاده بعد التجائه إلى بلاد السريير. إذ كان شروانشاه قد أرسل ابنه أفريدون مع أنوشيروان بن الشكري بن موسى بن فضل الشدادي إلى السريير ليستنجد جده أبا أمه. ويظهر من (تأريخ الباب) ان أنوشيروان كان أميراً صغيراً لأزان عندما استلم الحكم عام ٤٤١هـ/١٠٤٩م ثم عزله أبو الأسوار شافور شقيق جده. وبناء على المصادر البيزنطية فإن هذا هو الأمير الكردي الذي أخذ رهينة إلى القسطنطينية، ويحتمل انه رجع بالتأكيد إلى بلاده فيما بعد. وفي عام ١٠٦٣م كان هذا الأمير في الحادي والعشرين من عمره، ولكن نص المصدر البيزنطي لا يوضح ما إذا كان أفريدون أو أنوشيروان حفيداً لحاكم السريير النصراني. والحقيقة ان والد

أنوشيروان قد تزوج حظية أبيه ومن ثم أرملة أمير تفليس (شاهخوسرفان)، ويظهر أنه تزوج بأخريات أيضاً. وعلى كل حال فإن فريبرز تزوج هو كذلك من إحدى أميرات بلاد السريز، وكان أنوشيروان ضحية قساوة ابن عمه الكبير أبي الأسوار. وبالرغم من أن شروانشاه سلار بن يزيد والد فريبرز كان قد تزوج ابنة أبي الأسوار لكن العلاقة لم تبقى على حالها بين الدولتين الكردية والألبانية. فبعد أن تولى الملك بعده ولده فريبرز، دخلت القوات الكردية بقيادة شاور بن الفضل صاحب أزان عام ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م بلاد شروان وقصد قلعة قويلميان ففتحها، ويصف منجم باشي هذه الحوادث قائلاً أن شاور:

«أغار على بلاد شروان إغارة فاحشة ونهبها وخربها وساق أنعامهم ومواشيهم، وقتله الشراونة فانهزموا منهم وأسر كثيراً من أعيانهم وغنم أموالهم، ثم سار إلى باب اليزيدية وضرب خيامه حتى أخذ ابنته حريم سلار المتوفي مع جميع ما لها من الأموال والأثقال فعاد إلى دار ملكه أزان، ثم عاد إليها ثالثة في رجب السنة ونزل قرية سعدون وأحرق الغلات وأضرم النيران في القرى والضياع، فأنفذ شروانشاه ابنه أفريدون مع أنوشيروان بن اللشكري إلى أرض السريز ليستنجد جده أبا أمه ولم يزل منه شيئاً فعاد بعد ثلاثة أشهر. وفي محرم سنة ٤٥٦ هـ دخل صاحب أزان أبو الأسوار شاور بن الفضل أمير دولة الكرد بلاد شروان واستولى على كر وطران وأخذ حموان، ثم عاد وترك جمعاً من جيشه مع بعض أمرائه بشروان بعد أن أخذ منه أربعين ألف دينار، ثم صالحه شروانشاه فريبرز في رجب السنة وردّ شاور إليه قويلميان بعد أن أخذ منه أربعين ألف دينار. وفي سنة ٤٥٧ هـ جمع فريبرز شروانشاه عسكره وأغار فيهم على قرى باب الأبواب ونهبها وخربها ونزل بمهيارية من المسقط وقتله أهل الباب عند قنطرة قلعبان وقتل منهم مقتلة عظيمة».

ويقول مينورسكي أن مسعود بن نامدار الذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي قد تحدث عن هذه الأحداث إلا أن مؤلف كتاب تاريخ الباب (دربندنامه) عاش شخصياً ضمن الأحداث وكان معاصراً

لفريزر^(٨٩) ومن خلال الحقائق التي أوردها هنا المؤلف يظهر ان العلاقات لم تكن سلبية على الدوام بين الأسرتين الملكيتين الكردية والشروانية. ففي سنة ٤٦٤ هـ اتفق شروانشاه مع صاحب أزان الفضل بن شاور أمير الكرد فسارا معاً وحاصروا قلعة ملوغ مع عساكرهما الشروانية والأرانية الكردية حتى استردوها من يد نائب أخسرتان صاحب شكى الذي كان قد أخذها من المسلمين في أول هذه السنة، واستردوها في رمضان السنة وهدموها وعقروا أثرها وقتلوا جميع من فيها من الكفرة واستمر شروانشاه تارة يطيعه أهل الباب وتارة يعصون عليه فيحاربهم ويقاتلهم ويخرب ضياعهم وقراهم^(٩٠). وفي زمن ازدياد النفوذ الكردي في بلاد الباب وشروان؛ يظهر ان أعداداً كبيرة من اللان نزحوا إلى قفقاسيا وخاصة خلال القرن الخامس الهجري. وأشار منجم باشي إلى هذا الحدث قائلاً:

«وفي سنة ٤٤٧ هـ أخذت اللانية كثيراً من بلاد الإسلام وفيها أيضاً جاءت بقية الخزر مقدار ثلاثة آلاف بيت إلى مدينة قحطان من بلاد الخزر فعمروها واستوطنوا فيها...».

ويضيف على حديثه هذا قائلاً انه:

«في سنة ٤٥٧ هـ أمر الرئيس المفرج بن المظفر الهيثم بن ميمون رئيس الدباغين بأن يتوسط في الإصلاح بينه وبين الأمير منصور بن عبد الملك... ولما كان يوم الأربعاء لثلاث، بقين من صفر السنة أخرجوا الأمير معهم إلى المسقط ليمنعوا الأكراد من الدخول فيها والنزول في بيوت الأكراد والمزارعين بها...».

ثم يشير منجم باشي إلى انه:

«في هذه السنة بعد قتل الأمير منصور ولد ابنه ميمون بن منصور... فتحت أبواب الفتن على كل جهة من الباب وشن الأكراد الغارة على المسقط وقراه فعظم البلاء على أهل

(٨٩) مينورسكي، فصول، ص ٩٠.

(٩٠) منجم باشي، جامع الدول، الفقرة السادسة.

الباب وجمع شروانشاه جيشه فقصده فيها الباب لأخذ الثأر واستولى على المسقط وأخذه من أيدي البايّة»^(٩١).

ومع الظروف السلبية والأخطار التي كانت تنجم عن الحملات التي تقوم بها القبائل اللانية أو الأقوام النصرانية الأخرى حلى حدود الدولة الشدادية الكردية، حاولت الأسرة الحاكمة في هذه الدولة ان تكون في علاقات ودية مع هؤلاء وخاصة الأرمن والجيورجيين. وبالرغم من ازدياد نفوذهم السياسي والعسكري خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين إلا أنهم ارتبطوا بروابط عائلية قوية مع العوائل الملكية التي كانت تدير شؤون الدول التي تحيط بهم، وكانت هذه الروابط إحدى ظواهر العادات السائدة بين الطبقات الحاكمة في تلك البلاد. فقد تزوج قسطنطين مونوماخ (توفي عام ١٠٥٥ م) بأميرة آلانية، في حين كانت الزوجة الثانية لـ (كيوركجي) ملك الجيورجيين من الآلان أيضاً، ومن بعده تزوج ابنه بكرات الرابع (١٠٢٧-١٠٧٢ م) بيورينا شقيقة (دوركوليل) ملك الآلان، ثم تزوجت ابنة يورينا ماريّا من الامبراطور البيزنطي ميخائيل السابع (١٠٧١-١٠٧٨ م). وكان الخزر والروس مشتاقين دائماً للحصول على عروس آلانية، ولا ريب ان ملوك وأمراء دويلات أخرى ومنها الروادية والشدادية الكرديتان كانوا يشتركون في ذلك الاشتياق، لكننا رأينا ان بكرات الرابع الجيورجي قد حقق ذلك الاشتياق فحرّض حليفه ملك الآلان دوركوليل لقهر خصمه العنيد أبي الأسوار أمير الكرد وهاجمه عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢ م وكانت غارة اللان على الكرد كارثة جسيمة.

أما الغزو الثاني لهؤلاء فكان في تشرين الأول/أكتوبر من عام ١٠٦٥ م ووصلوا فيه إلى نهر آراكس، ولعل حملة ألب أرسلان الثانية إلى القفقاس عام ١٠٦٧ م كانت انتقاماً لتلك الغارات اللانية على بلاد المسلمين^(٩٢) التي كانت تمثلها الدولة الشدادية الكردية،

(٩١) المصدر نفسه.

(٩٢) مينورسكي المصدر نفسه، ص ٧٥.

وأصبحت مبادرة الحملة في هذا الوقت بيد السلاجقة تحت قيادة سوتكين الذي خلف الشداديين في هذا المجال. وقد أوضح منجم باشي أحداث هذه الفترة قائلاً أنه:

«في سنة ٤٥٤ هـ عبر الآلانية من باب اللان ودخلوا بلاد أزان وقتلوا منها خلقاً كثيراً وسبوا زيادة على عشرين ألف نسمة ما بين رجل وامرأة وصبي وصبية. وفي سنة ٤٥٥ هـ بنى أبو الأسوار حوالى مريض جنزه سوراً حصيناً وعلى عليها أبواباً محكمة وضرب حواليتها خندقاً عميقاً...»^(٩٣).

وبعد أن جمع أبو الأسوار جيشه في سنة ٤٥٧ هـ وحارب الأرمن والروم (بيزنطة) وأقام عماله في ديارهم وشحنها بالسلاح والميرة كثر راجعاً إلى جنزه (كنجه). ولما فرّق أبو الأسوار جيشه إلى بلاده، يشير منجم باشي إلى:

«ان اللان خرجت في جمعية عظيمة من باب اللان في ذي القعدة وجاوزوا بلاد شكّ وخزران ثم دخلوا مع كفرة الشكرية جميعاً إلى بلاد أزان فجاسوا خلالها وشنوا الغارة والشعواء والقتل والنهب في سهلها وجبلها من غير مانع لهم وقتلوا على باب ثغر شمكور زيادة على مائتي رجل من الغزاة المتطوعة وأغاروا على باب جنزه وقتلوا من وجدوا في قراها، وكان أبو الأسوار مع قواده بجنزه وما جسروا للبروز إليهم والقتال معهم. ثم سارت الملاعين إلى برذعه ونزلوا على بابها ثلاثة أيام وأغاروا على نواحيها وجاوزوها حتى وصلوا إلى خانقين بالقرب من نهر الرّسّ (آراكس) وأخرجوا من بلاد أزان من الأسارى خلقاً كثيراً مجاوز الحد والإحصاء من المسلمين والمعاهدين»^(٩٤).

ولا شك ان بكرات الرابع الذي هاجم برذعه كان وراء كل تلك الحملات للآلان، ومع ذلك فقد رفض أبو الأسوار اقتراح البيزنطيين

(٩٣) أنظر الباب الخاص بالشدادية في كتاب: جامع الدول، المنجم باشي، الفقرة ١٥، التي ضبطت من قبل مينورسكي.

(٩٤) المصدر نفسه.

ياخلاء مدينة آني بيجيورجيا (بلاد الجرز)، لذلك سارت الحملة الكبرى الفاشلة عليه وهو في مدينة دوين بأرمينيا، وكان يقود الآلان في هذه الأثناء ملكهم قسطنطين. ومن جهة أخرى فقد دخل الأتراك عام ٤٥٨ هـ/١٠٦٦ م على حد قول منجم باشي، إلى بلاد شروان، ومما يؤسف له أنهم أغاروا عليها ونهبوا حلل الكرد وأخرجوا منها غنائم كثيرة من الصامت والناطق ثم بذل شروانشاه أموالاً كثيرة حتى خرجوا من شروان.

وهكذا كانت غارات اللان في تشرين الأول/أكتوبر من عام ١٠٦٥ م على مناطق سكنى الكرد جرحاً مؤلماً أصاب دولة الشداديين، ولعل هذا الجرح كان أكثر ألماً عندما توفي أبو الأسوار في تشرين الثاني/نوفمبر من عام ١٠٦٧ م^(٩٥). ومع ذلك فقد ألصق ماثيوس الأورفلي تهمة أخرى بأبي الأسوار بعد موته بأربع سنين قائلاً أنه:

«بعد المعركة الكبيرة في منازلكرت (ويعني مالا زكرد... ج.و) في ٢٦ أيلول/سبتمبر من عام ١٠٧١ م هدم أبو الأسوار مذهب كنيسة سانت سركيوس بنصبيحة غير مجدبة من ألب أرسلان^(٩٦). ولكن المدونات الجيورجية تخبرنا بأن ألب أرسلان أعطى كل من تفليس وروستاف بعد الحروب التي دارت حولهما إلى فضلون الثاني^(٩٧)، وإن بكرات أغار عليه من الجبال التي التجأ إليها وكان مع فضلون ثلاث وثلاثون ألف رجل. وأرسل بكرات إليه في موخنار (موخراني) إيفان بن ليباريت الذي انتصر عليه وهرب فضلون مع خمسة عشر رجلاً من أصحابه إلى إيرتزو على المنابع الرئيسية الغربية لمياه ايورا وتعترف الناس عليه هناك ثم قبض عليه وأرسل إلى بيت اسحق تولويليسدزي في زاليت، وبعد ذلك أرسله هذا إلى

(٩٥) مينورسكي، فصول من تاريخ الباب وشيرون، ص ٥٩.

(٩٦) Matthew, Ch. 102, Dulaurier, p. 105.

(٩٧) مينورسكي المصدر نفسه، ص ٦٦، ٦٧ وانظر: Brosset I/I, 331

ملك كاخيتيا أغسرتان بن كاكيك (غاغيق). وقد تبرع ملك جيورجيا بقلعتين لأغسرتان بتسليمه فضلون إليه. وتحت التهديد والوعيد بالشنق أرغموا فضلون بالاعتراف إلى الأمر الواقع لاستسلام مدينة تفليس التي كان قد تركها بكرات بيد الكرد المسلمين. وفي هذا الوقت ظهر سرهنك خاص في أزان وتوسط بينهم حيث سلم فضلون نيابة عن نفسه ابن أخيه مينوجهر وثلاثة من أكابر الكرد في كنجه كرهائن إلى بكرات. ولكن سرعان ما فسخ هذا العقد وذلك باستيلاء فضلون على كوزياني وأكاراني. ومع ذلك وبالرغم من ازدياد نفوذ الجيورجيين، وبعد ستين عاماً من حكم بكرات، فإن الملك الأرمني داود الثاني (١٠٨٩ - ١١٢١ م) David the Rostorer أمّن ممرات قفقاسيا من خلال باب اللان بوضعه ٤٠ ألفاً من القفجاق هناك. وبذلك ظل اللان منحصرين فيما بين حملات الأقوام الآسيوية إذ سدّوا عليهم المنافذ من الشمال والجنوب وكانوا عرضة للغارات على مر الزمن. ففي سنة ٦٢٣هـ، وكما يقول ابن الأثير:

«فتح جلال الدين بن خوارزمشاه مدينة تفليس من الكرج... فقصده بلادهم وقد عادوا فحشدوا وجمعوا من الأمم المجاورة لهم اللان واللكز وقفجاق وغيرهم»^(٩٨).

وفي حديثه عن التتر وغاراتهم وعبورهم دربند شروان يضيف ابن الأثير قائلاً:

«إنهم ساروا في تلك الأعمال وفيها أم كثيرة منهم اللان واللكز وطوائف من الترك فنهبوا وقتلوا من الللكز كثيراً وهم مسلمون وكفار، وأوقعوا بمن عداهم من أهل تلك البلاد، ووصلوا إلى اللان وهم أم كثيرة، وقد بلغهم خبرهم، فحذروا، وجمعوا عندهم جمعاً من قفجاق، فقاتلوهم، فلم تظفر إحدى الطائفتين بالأخرى، فأرسل التتر إلى قفجاق يقولون: نحن وأنتم جنس واحد وهؤلاء اللان ليسوا منكم

(٩٨) ابن الأثير، الكامل (بيروت، ١٩٦٦) الجزء ١٢، ص ٤٥.

حتى تنصروهم، ولا دينكم مثل دينهم، ونحن نعاهدكم اننا لا نتعرض لكم ونحمل إليكم من الأموال والثياب ما شئتم وتتركون بيننا وبينهم. فاستقر الأمر بينهم على ما حملوه من ثياب وغير ذلك، فحملوا إليهم ما استقر وفارقهم قفجاق فأوقع التتر باللان فقتلوا منهم وأكثروا ونهبوا وسبوا وساروا إلى قفجاق وهم آمنون متفرقون، لما استقر بينهم من الصلح فلم يسمعوا بهم إلا وقد طرقتهم ودخلوا بلادهم فأوقعوا بهم الأول فالأول وأخذوا منهم أضعاف ما حملوا إليهم^(٩٩).

عقب هذه الحوادث زار وليم البربركي William of Rubruck اقليم داغستان في تشرين الأول/أكتوبر من عام ١٢٥٤م وقال: ان اللان النصاري يسكنون الجبال ويسكن بين الجبال والبحر الأعراب (أي اللكنز المسلمون). ويصف وليم حصناً في الاقليم الساحلي على مسيرة يوم واحد من دربند قائلاً انه من حصون اللان. ولم يكن المغول قد وفقوا بعد في اخضاع هذه القبائل إلا ان بلادهم أصبحت فيما بعد حتى دربند (الباب) وما بعدها تابعة لمملكة القبيلة الذهبية^(١٠٠).

وهكذا، فبقدر ما استطاع اللان الإغارة على بلاد الشداديين الكرد أو على بلاد الباب وشروان وغيرها من المناطق الشمالية لقفقاسيا في المرحلة التي سماها النصاري بالحروب الصليبية الأولى، فإن صراعهم وتواجدهم في هذه المناطق، سواء في مسقط أو شاكي أو حتى داخل المناطق الكردية (کردستان) يبدأ منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد أثناء الصراع الميدي - السكيثي وثم يستمر فيما بين القرنين التاسع - الحادي عشر الميلاديين أثناء الصراع الكردي - اللاني الأرمني الجيورجي أو الإسلامي - المسيحي لحد ظهور الترك الذين وضعوا مع الكرد حداً للتوسع المسيحي للأقوام القفقاسية من الشمال واعتداءات بيزنطة من الغرب.

(٩٩) المصدر نفسه، ص ٣٨٥.

(١٠٠) دائرة المعارف الإسلامية، مادة داغستان.

وإذا كان وجود الآلان حصيلة التطور التاريخي للسكيث فإن الكرد والتاليش والتات (أي سكان أذربيجان وكردستان القدماء) ما هم إلا حصيلة التطور التاريخي للميديين الذين اندمجوا بالأقوام المحلية لهذه البلاد. وكما انتشر الميديون في جنوب وجنوب غرب بحر قزوين فإن السكيث اتخذوا بلاد الباب وشروان والساحل الغربي لهذا البحر ممراً ومسلكاً لهم أثناء توغلهم نحو أذربيجان وكردستان. بذلك كان اللقاء بين الأحفاد في المناطق نفسها التي التقى فيها الأسلاف مرة أخرى بعد أكثر من ١٥٠٠ عام تقريباً. وبناء على هذا الأساس بنى فلجيفسكي رأيه قائلاً أن:

«علينا أن نعد ثلاث مجموعات كبيرة أثرت في التغيرات التي حصلت في شمال بلاد ما بين النهرين وشرقي آسيا الصغرى وهي الكيميرية والسكيثية والایرانية أو الميدية - الفارسية».

ثم أضاف على قوله الاستنتاج الذي توصل إليه ومفاده:

«أن هجرة القبائل إلى المناطق التي تتداول فيها الآن اللغة الكردية، أي مناطق جبال آسيا الصغرى التي كان سكانها يتكلمون بإحدى المجموعات من اللهجات التي تعتبر حلقة الوصل بين الميدية واللغات الآذرية والتاتية والتاليشية وغيرها من اللغات هي مسألة أكيدة، فهي حد بين اللغة الكردية واللهجات الايرانية الشمالية الغربية»^(١٠١).

إذا كانت هذه هي حقيقة علاقة اللغة الكردية بالميدية، فمن المستطاع القول بأن اللغة الأوسيتية (الآلانية الحديثة) في قفقاسيا الآن والتي تعتبر إحدى اللغات الايرانية الشمالية الغربية أيضاً، هي حلقة الوصل بين الكردية والسكيثية القديمة، وكانت اللغة البرثية إحدى لهجاتها التي سادت في شرق بحر قزوين ثم أصبحت لغة امبراطورية منذ القرن الثالث قبل الميلاد، تلك الامبراطورية التي شملت مناطق واسعة من بلاد الكرد حتى بداية القرن الثالث الميلادي. فاللغة الآذرية التي

O. Vilchevsky., *Kurdii*, M. (1961), P. 78;

B.V. Miller, *Talishskiy Yazik*. M. (1953), sTr. 261, 955.

اندثرت الآن وأبقت وراءها التاتية والهرزنية والتاليشية والخلخالية كانت لا تزال لغة سكان اذربيجان قاطبة في أوائل العصر الاسلامي، وكانت «لغة لا يفهمها غير أهل اذربيجان» على حد قول ياقوت الحموي^(١٠٢)، ولا شك في كون تلك اللغة إحدى اللهجات الميدية القديمة، لكن أصحابها قد استتركوا تدريجياً منذ زوال الحكم الروادي الكردي في تبريز وحواليها، شأنهم في ذلك شأن أهل الران وشروان والدريند (باب الأبواب) على حد رأي بارثولد^(١٠٣). وجدير بالذكر ان ظاهرة التترك الاسلامي شملت كذلك قسماً كبيراً من الكرد والجركس والأرمن واليونان في شمال وادي الرافدين وآسيا الصغرى بأكملها ثم امتدت إلى شبه جزيرة البلقان بعد سقوط القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، ولكن مع ذلك فقد ظلت مجموعات من التات والتاليش تمثل أقلية في اذربيجان نسبة إلى الترك الآن.

وهكذا فإن هجرة الأتراك من أواسط آسيا وبأعداد هائلة واستيطانهم في اذربيجان هي التي مزقت أوصال المجتمعات المتجانسة فيها، منها ما اختفى كالمجتمع الكادوسي الذي يعتقد انه خلف التاليش فيما بعد، ومنها ما ظل حياً كالزازا (الظاظا) الكرد الساكنين في مناطق درسيم وسفيرك وغيرها من بلاد الكرد في تركيا الحالية. أما الذين ظلوا في مناطقهم الأصلية من الزازا (وهم الديمليون أو الديلم القدماء) فهم الآن يتمثلون بالآذريين الترك الذين ينتمون في الواقع إلى أصل غير تركي حسبما يقول مينورسكي، لأن السمات المميزة للغة هي التنغيمات الفارسية ومجافاة تألف الحركات، مما يدل على ان الأهالي المستتركين ينتمون إلى أصل غير تركي^(١٠٤). لقد أدت كل العوامل الموضوعية في تأريخ قفقاسيا وشعوبها عموماً إلى ان يبنى أبنائها ذاتهم ضمن التطورات التي سادت على حياتهم الاقتصادية والفكرية

(١٠٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة اذربيجان.

(١٠٣) بارثولد، «الترك»، دائرة المعارف الاسلامية.

(١٠٤) ف. مينورسكي، كتاب حدود العالم (شرح وتحقيق)، ص ٣٩١.

والاجتماعية في إطار الشروط التي توفرت لهم في بناء أسس القومية عندهم. فاللان ظلوا في تماس مباشر مع الجيورجيين ثم الروس إلى ان أصبحوا يشكلون قومية صغيرة ذات الشأن غير الرئيسي في الجمهورية وكذلك جمهورية روسيا الاتحادية. لكن الشعب الكردي نسبة إلى تلك الأقوام استطاع ان يحافظ على سماته القومية ولغته أكثر وذلك نتيجة للظروف الموضوعية التي تميزت بها مناطق سكنهم على خلاف الظروف التي أحاطت بشعوب قفقاسيا، ثم نتيجة للظروف الذاتية التي أدت إلى تكامل القومية الكردية ومقوماتها منذ قرون عديدة سبقت عصر الهجرة التركية. وإذا كانت قفقاسيا مغلقة من جهتي بحر قزوين والبحر الأسود، ووقف هذا الواقع حائلاً دون انتشار أقوامها المحليين نحو الشرق والغرب، فإن كردستان بعكس ذلك كانت مفتوحة من كل الجهات لاستيطان القبائل الكردية فيها حيث كان المجال لتوسع رقعة الاستيطان فيها موجوداً على مر العصور رغم الضغوط البشرية التي كانت تأتيها من كل الجهات وخاصة من الترك والعرب منذ بداية العصر الاسلامي.

لقد توفرت جملة من الشروط خلال الألف الأول قبل الميلاد في شمال وادي الرافدين ومرتفعات جبال زاكروس التي وضعت أساساً لظهور القوميات فيها بمرور الزمن كنتيجة لصراع الامبراطوريات القديمة فيها وزوالها أمام ضغط القبائل البدوية المحاربة وهجرتها إليها من جهات مختلفة رافقتها تغييرات لغوية وأثنولوجية لصالح المهاجرين مع انصهارهم في المحيط المحلي لحضارتها، وكان الميديون والسكيث والكيبيرون يلعبون الدور الرئيسي في تلك الأحداث في كل من اذربيجان وارمينيا وكردستان، لكن اللقاء بين الكرد واللان (أحفاد السكيث) كان قد جرى في زمن توفرت فيه مشاعر الانتماء القومي عند الطرفين، لكن الصراع بينهما كان أساسه الاختلاف في الانتماء الديني. وإذا كان قد استكرد قسم من اللان داخل المجتمع الكردي خلال العصرين المذكورين فإن العلاقات السلبية استمرت

بينهما في العصر الاسلامي مما أدى بهم إلى الابتعاد عن ذلك اللقاء
المصيري لأجدادهم على أساس الانتماء اللغوي والعرقى.
وإذا كان هذا الكتاب لا يشمل جميع جوانب الأحداث التاريخية
للكرد والالان، فإنه يوضح جوانب متعددة من مراحل نشوء هذين
الشعبين، في حين لا تزال هذه الدراسة في حاجة للتوسع فيها بعد
جمع شتات المصادر الأثرية واللغوية والأثنوغرافية في المناطق التي تقع
بين قارتي آسيا وأوروبا.
ومن الله التوفيق.

بَابُ الشَّدَادِيَّةِ

من كتاب جامع الدول لأحمد بن لطف الله

الملقب بمنجم باشي الذي استند فيه على تاريخ قديم

الف حوالي سنة ٥٠٠ هـ

① الفقرة الرابعة في ذكر بني شداد حكام آران (كنا) وبعض ارمينية وهم عشرة رجال اظهروا لهم من الاكراد دار ملكهم مدينة ديل ثم جئزة وابتداء ظهورهم في سنة ٣٤٠ هـ وانقراضهم في سنة ٤٦٨ هـ ومدة امارتهم ١٢٨ سنة
١ محمد بن شداد بن قوطق

٣ المزيان ٤ ابو الفتح الفضل ٥ اللشكري ابو الحسن علي

٥ موسى ٨ ابو الاسود شاور

٩ اللشكري علي ٩ الفضل اشوط

٧ انوشروان ١٠ فضلون

② اما آران فهو اقليم مشهور يتاخم اذربيجان في جهة الغرب منها ويحدها من الغرب حدود ارمينية ومن الشرق والجنوب اذربيجان ومن الشمال جبال القبقق (١) ومن قواعدها مدينة نشوى (٢) في الحاشية: وايضا آران اسم القلعة في نواحي قزوين (٣) في الاصل: القبقق

وهي نقجوان من الخامس طولها عر ضها مَب وباب الابواب
يقال لها في زماننا هذا باب الحديد عبارة عن ناحية واسعة لها
حكام مستقلون بها طولها عر ضها ما وقيل مح ومن قواعدها
كنجه في الخامس طولها عر ضها مح ومن مدن آران المشهورة
تفليس وشكور والبيلقان وسير اللان عبارة عن ناحية كبيرة
واللكر واسم جبل ايضا يسكنون في نواحيها واما ارمينية -
فيجوز بتخفيف ايا الرابعة - اقليم مستقل من الرحبة ^(١) يجدها
من جهة الغرب بلاد الارمن ومن الشرق والجنوب حدود
آران واذريجان وبعض الجزيرة ومن الشمال بعض بلاد
آران والخاب عليها الجبال وهي على ثلاثة اقسام الاول
يشتمل على قاليقلا وشمشاط وما بين ذلك والثاني على
جزران ^(٢) او مدينة باب اللان وما بين ذلك والثالث على
بردة وعلى البيلقان وباب الابواب وربيع البعض
قسمتها الاولى من بيلقان (كنا) الى شروان وبين ذلك
والثانية تفليس وهي جزران وباب فيروزاباد واللكز
والثالثة الشيرجان ^(٣) والديبل ونشوى والرابعة قرب
حصن زياد وهو المسمى بخوت برد ^(٤) وخالط وارزن الروم
وما بين ذلك وكان ^(٥) في القديم يحكم في كل قسم منها
امير ويستقل باموره بعضهم من اهل الاسلام وبعضهم
من الارمن ومن البلاد الشركية وبين الروم ورمينية
مدينة قسطنطينية ويقال كسامونية ايضا وسلوب
وسامسون وفرضتها على بحر بنطس طرابزون ومن مدنها
وفي الاصل (١) الوفية (٢) جزران (٣) الشيرجان (٤) حوب برد (٥) وكانت

المشهوره. ارزنجان وموش وارزن وملازجرد وديليس
واخلط - ويجوز ترك الهرة ايضا - وارجيش ووشطان ،
وشروان على قول ابن مسعيد من آران والديبل من قواعد
ارمينية من الرابع طولها عشرين فرسخا وهي مدينة كبيرة
والنصارى بها كثيرة وجامع المسلمين الى جانب كنيسة النصارى
قيل انرا من اجل البلاد وانفسها ومستقر السلاطين
[f.503b] ومن قواعد ارمينية ايضا مدينة دوين من آخر
الرابع طولها عشرين فرسخا لطا اليها ينسب الملوك الأيوبيه
ومدينة وان طولها سبع وعشرين فرسخا

(٣) أول الشنادية هو محمد بن شداد بن قرطق وكان
سبب ظهوره وولايته انه لما أسر السلطان المزيان بن محمد
بن مسافر باب الري في سنة ٣٤٧ وبقي في الاسر والجبن
نحو أربع سنين اضطر ملك اذربيجان واستولى كل من
له عشيرة وعصبة على ناحية من البلاد فتمكن محمد بن
شداد ايضا في مدينة الديبل وسلم اهلها المدينة اليه
ليذب عن حرمهم ونسائهم فقاموا من اهل الشر والفساد
من الديلم وغيرهم فملكها محمد بن شداد في سنة ٣٤٧ تقريبا
فاقام بها مع شريفة قليلة من اهل بيته وعشيرته واتبعه
(٤) وكان السلطان ابراهيم بن مزيان ينوب عن ابيه الحسين
ببعض بلاد اذربيجان فلما وصل الخبر اليه وجه الى صاحب
ديرموس^(٥) ورسم له مناهضته ومحاصرتها واخراجها من الديبل
فامتثل من ذلك ما رسمه فجمع هذا الكافر جيشا خشنا من
وفي الاصل (٥) حرمهم (٤) من (٥) ديرلوس؟ ولعله فريسوس

الارمن واللكز وغيرهم من الكفرة فصار نحو محمد بن شتاد
 واتصل الخبر به فاستدعى بقومه فدبروا على مجارته وممانعته
 فخرجوا من المدينة متوكلين على الله فالتقوا بأولئك السلاطين
 بين فرزي الرنس ومنصموني^(هـ) فاقتتلوا قتالاً شديداً فانتصر
 المسلمون وانزمت الكفار فلم يفلت منهم الا من توارى في
 الغياض والأجاص فعاد محمد بن شتاد منصوراً منقطعاً الى
 مدينة ديبيل فاستدعى من اهل المدينة معونة على استحداث
 موضع بقرب المدينة يأوي اليه اهله واولاده اذ كان يخشى
 عليهم من جانب اللكر فاعانه عليه اهل البلد فبنى قلعة
 باعانهم وسموها تل ختلي^(ك) (الو نقل اهله اليها وهي) مدينة
 ديبيل على صيحة^(ل) وبلغ الخبر الى السلار ابراهيم بن الرزيان
 وكان باردييل فانفذ جيشاً عظيماً من اصناف الديلم والاكراذ
 والرجال الطرمية^(م) وساروا الى باب ديبيل فاستقبلهم محمد
 بن شتاد ودافعهم بدافعة عظيمة فلما اشتد الحرب ولم
 يثبت اهل المدينة وغدروا بمحمد وتركوه في يسير من اصحابه
 ولما رأى محمد انهم انزوم هو ايضا الى قلعته في الليل
 واستنزلهم واخذ بهم سمت ارمينية وخلي ديبيل على اهلها
 حتى قاسوا من الديلم ما قاسوا ثم ارسلا عدة رجال من
 اعيانهم الى محمد بن شتاد يعتذرون اليه ويستدعون رجوعه
 الى بلدهم ويخلفون له على الطاعة والانقياد وعدم الخدر
 من بعد ذلك فبلغوا اليه وقالوا له ما قالوا حتى سكن قلبه

وفي الاصل (هـ) منصموني (و) (ك) بل ختلي (د) الطرمية

اليهم فعدا معهم الى ديبيل ودبر امرهم وصرف عنهم أذى
المشركين واهل الفساد وانتظم حال الدينة واهلها واستقرت
قدوم محمد بن شداد في ملكها وتدبير امور اهله
(٥) وكان لكورة جيزان وغيرها من ارمينية ملك يقال له
اشوط بن العباس وكان ملقباً بشاهنشاه وحدثته نفسه
بمحاصرة ديبيل ومنازلة اهله فجمع اجناده من الارمن واللكز
وسائر الكفرة [504 هـ] وامتد نحو ديبيل في ثلثين الف رجل
ونزل بموضع قريب منها يقال له ناورد فبث عساكره الى تحريق
الغلات وتخريب الضياع فبلغ الخبر الى محمد بن شداد وهو
غافل في شروعة قليلة من اهله واصحابه فلاحظ خدعة في
دفع هذا عدو القوي فامر جميع من في البلد من الرجال
والصبيان بالركوب على البهائم من الخمر والبقر والدواب
والبغال والخروج عن البلد على تلك الحالة والوقوف
بقرب البلد حتى يرى العدو سوادهم ويسمع صياحهم
وتكبيرهم الى ان يشير اليهم محمد بالقدوم والمسير ففعلوا
ذلك وساروا في جمع من الفرسان والشجعان على
سبيل الطلائع نحو العدو وهم على غفلة منتشرين
مكتنفين بمواضع الظل من شدة الحر ولم يشعروا الا
وقد تساور المسلمون تساور الأسود الضارية وحاكموا
فيهم السيوف من كل جانب ولما اشتد القتال اشار محمد بن
شداد الى الجمع الذي بقرب البلد فصاحوا صيحة عظيمة
فساروا الى مرأى من العدو ولما رأى العدو سوادهم
كالجبال قزادوا في أعينهم على عدد الرمل فانزموا بصوت

الله ونصره

(٦) ولما تخلص السلطان المرزبان من الحبس في ٣٤٢هـ و فرغ من غائلة ديسم الكردي بعث جمعا من الديلم الى محاصرة قلعه ديبيل واخراج محمد بن شتاد منها في ٣٤٣هـ وكانت قلعة ديبيل الى هذه الاوان في ايدي جماعة من الديلم ولما حاصر جيش المرزبان ديبيل غدر الديلم الذين في القلعة بمحمد بن شتاد وادخلوا جمعا من الجيش من باب صغير للقلعة وارادوا أن يكبسوا محمدا واهله واصحابه واتفق معهم في ذلك جماعة من اهل البلد طمعا في ماله ولما أحسن محمد بذلك جمع اهل بيته وغواصن اصحابه وحملوا كل ما يمكن حمله فجاؤا جميعا الى باب معروف بباب المقابر من ابواب القلعة فوجدوه مقفلا ولم يكن المفتاح معهم وكان معه ابن اخ له وهو شرفون (هـ) ابن عيسى موصوفا بالشجاعة والنجابة فجرد سيفه وضرب به القفل وكسره وفتحو الباب واخرجوا اهلهم واولادهم واسبارهم وعبروا نهر كي الرش ومنهم من في تلك الليلة ولاخوا بصاحب اسفرجان ثم ان محمد بن شتاد ترك من كان معه من اهلهم واولادهم عند صاحب اسفرجان بعد اخذ الضمان منه فصار الى ملك الروم يستنجد على استرجاع ديبيل وفتحها فبقى عنده مدة ولم يصل فيها الى ما حاول لموانع عرضت فعاد الى مكانه ولقي اهلهم واولادهم وعشيرته باسفرجان في ٣٤٤هـ فأدركه الاجل ومضى سبيله في هذه السنة

(٧) خلف ثلاثة ابناء للشكري ابو الحسن علي والمرزبان

في الاصل (هـ) هذا الآن (هـ) شرفون

والفضل ولما توفي محمد بن شتاد قام مقامه في تدبير امور
 عشيرته [5046] أكبر اولاده الشكري ابو الحسن علي بن محمد
 بن شتاد في ٤٣٤ سنة وفيها قصد الشكري صاحب ديزور (٩)
 واقام مدة مديدة حتى كان ٣٥٤ سنة وفيها قصد الشكري صاحب
 ديزور (٩) (هـ) واقام عنده ايضا برهة من الزمان وخرج اخوه
 الفضل بن محمد الى ثكا السيفي غلام سيف الدولة الحمداني
 كان قد استعمله على ديار بكر وبقي عنده مدة وساهد منه ما
 ارتضاه ثم سيف الدولة تغير على غلامه نجا هذا واثرمه
 وعزله عن ولايته في ٣٥٤ سنة فعاد الفضل بن محمد الى اخويه
 الشكري والرزبان واقام عندهما مدة يسيرة عازما على الانصراف
 والتوجه الى غيرهما من اصحاب الاطراف فالتجأ عليه بالمقام
 عندهما فبدرت منه يمين انه لا يخدم عبدة الاصنام ولا
 يقيم الا في بلاد الاسلام فخرج مع اصحابه نائبا على الامتداد
 الى حضرة السلار ابراهيم بن الرزبان فأتى مدينة جنزة ونزل
 على بابها مع سواده وغلماؤه ومن اجتمع عليه من اصحابه
 وبها وال من قبل السلار ابراهيم يعرف بعلي التازي
 فمناه وأكرمه وعمل معه الجمل ووعد ان يكتب الى السلار
 ويعرفه حاله ليحصل له معاشا من باب المدينة فيحامي عنها
 ويذب من وراءها ويزيل محرقة اللصوص واهل الفساد
 والسيافورية خاصة منها وقد كان اجتمع قوم يعرفون
 بالسرية (لا) على باب هذه المدينة وفيهم عدد جهم من الفرسان
 ينسف على اربعةائة فارس قد خالطوا السياورية وتخالطوا
 (هـ) ظهران تكرار اسم ديزور هنا خطأ الناسخ (٩) ولعلها السرية

مهمهم ونزلوا بشط الكز (a) محتصين بتلك الغياض والآجام
ويحتملون غلات هذه الضياع ويشنون الغارات فيها فاستعان
هذا الوالي بالفضل بن محمد في دفعهم والنكاية بهم إن وجد فرصة
وانشق انهم في هذا التدبير اذ وقعت صيحة في المدينة انهم
وردوا ضيعة سورمين لاحتمال ما فيها من الغلات وان القوم
اخذوا اسلحتهم وبرزوا من جنزة فركب الفضل مع اصحابه وسار
اليهم فحاربهم محاربة شديدة فزهم فركبت الشداية اكنافهم
وعادوا سبالمين فلما عاينوا اهل البلد ما كان منه زادوا منه
اعظاما واستنموا اليه حالاً فحالاً وبقي الفضل حتى كانت سنة ٣٥٩
فحزم الفضل فيها على أن يخرج الى اذربيجان فحضره روساء
جنزة فقالوا له لا تفضل ايها الامير والزم المكان وأنفذ
في طلب اخيك اللشكري لتسلم هذه المدينة وينرض عن
خدمة الكفار فنامن بالله وبكم من محررة هؤلاء الأشرار
ففعل في نفسه ما سمعه منهم وشهد بذلك قلبه فراسل
اخاه اللشكري واستدعاه وعرفه بقول القوم وحصول جنزه لهم
ولما وصل الخبر الى اللشكري لم يعمل في نفسه شيئاً ونسب
اخاه الفضل الى سوءة (b) وسوء التدبير ثم احتل الفضل حيلة
في استقدام اخيه فأرسل غلاماً له الى اخيه اللشكري يخبره
بان الفضل اصابته علة لا يقدر بها على الركوب فركب
الشكري في الوقت [505] وسار مع الغلام فورد الغلام
فاخبر الفضل بان اللشكري قد نزل في الضيعة الفلانية فركب
من ساعته واستقبل اخاه اللشكري فتعانقا وتباكيا ثم عاتبه
في الاصل (a) الكز (b) سوءة

الشكري وقال "بجد الله انت سالم فما حكاك على ما فعلت حتى اوجعت به قلوبنا" فقال له الفضل "ايها الاخ الامير اما ان لك ان تأنف من خدمة الكفرة الذاكرة وان تسي وتصبح مع الجنائز وتسمع عوض الاذان صوت النواقيس؟ وهذه المدينة سلمها اليها اهلا صفا باتفاق اهلا" فانكر عليه الشكري ذلك فقال "انت تعلم يا اخي ان والدنا ما فعل بمدينة جبيل ونحن نطوف منذ عشرين سنة لا يقبلنا مكان ولا يطيب عيشنا بزمان فان دخلنا هذا البلد قصدنا صاحبها واحاط بنا وضيق علينا ونحن في رقرة يسيرة فمن الذي يخلصنا من يده؟ وبعض الظن كاذب ولا كل رأي في مثل هذه الاحوال صائب وقد اعتبرنا وكفانا ما مضى" فقال الفضل على المرأ أن يسعي في طلب الخالي فلن نضر ثناه فقد حاز مبتغاه وان قصرت عننا خطاه فلا عتب عليه فيما حاوله مننا وابتغاه

٨ فاستصوب الشكري هذا الكلام والرأي من اخيه الفضل فاجاب الى مسئوله فقال الفضل الى باب جنزة على أن يحضر اهلا ويجدد اليمين وكان الرئيس في البلد معروف بيوسف القرار فاحضروه ومن تبعه منهم وعقد الوثائق فيما بينهما وحلفوا باجمعهم انه متى ما ظهر من الشكري والفضل حركة فيما بنوا عليه تدبيرهم يفتحون باب المدينة ويقبضون على واليها ويسلمونه منهم (كذا) فلما وقعت الموافقة فيما بينهم على تسليم المدينة جمع يوسف القرار حينئذ فتيان (a) اليهم؟

مدينة ولبسوا السلاح فقصدها دار الوالي وقبضوا عليه
 وفتحوا باب المدينة فدخل الشكري اليها وانتصب على الوسادة
 وسير الامة في سنة ٣٩٠ ولما وصل الخبر الى السلار ابراهيم بن
 المزيان ارجيل سار في جيش في السنة وحصر مدينة جنزة وقاتل
 الشكري وجرت بينهما حرب ووقائع يطول ذكرها ولما لم يظفر
 بها صالح الشكري فعاد من باب جنزة الى ارجيل فضبط الشكري
 كبلاد وازال الفسدين منها واخرج الديالة من اعمالها فاستراح
 الناس به فعظم شأنه واستفحل امره فبقى الشكري يوسع ملكه
 يوما فيوما حتى ملك بلاد ازان جميعها وبعض بلاد ارمينية ويدبر
 اعمال رعيته احسن التدبير ويسوم الجند اجمدة سياسة الى ان
 كانت سنة ٣٩٨ فتوفي فيها الشكري ابو الحسن علي بن محمد بن شداد
 بدار ملكه جنزة فمدة امارته اما على عشيرته فقط فهي نحو سنة
 واما على العشيرة ومدينة جنزة واعمالها جميعا فهي سنة
 (٩) فقام بالامة بعده اخوه المزيان بن محمد بن شداد بن قرطف
 في سنة ٣٩٨ وكان الشكري يحب ان تكون الامة بعده للفضل
 بن محمد اذ كان يحبه ويؤثره على اخيه المزيان بالرأي وايضا
 هو كان السبب في تملكهم البلاد الا ان الجند والرهية كانوا
 يميلون الى المزيان وكانت [5056] والذين هم تحب الفضل وتميل
 اليه وكان المزيان يدبرها ويطلب رضاها وجلس المزيان في
 الامة مكان اخيه وجرى في ايامه خطوب ووقائع لقلّة رأيه
 وسوء تدبيره وبقى المزيان في الامة الى ان صارت سنة ٣٧٤
 ففجأ اوقع الحواشي بينه وبين اخيه الفضل بن محمد حتى غرم
 قتل المزيان فاتفق ان المزيان ركب يوما الى الصيد فكان

من القضاء ان ماليكه تفرقوا عنه في طلب الغزلان فخرج عليه
اخوه الفضل وجرّد سيفه وضرب على رأس المرزيان ضربة بعد
ضربة حتى قتله فخر عن ظهر فرسه ميتا وكانت مدة اماره
المرزيان نحو ٧ سنة

(١) فاقبل الفضل الى المدينة وبعث طائفة من غلمانه فقبضوا
على شيروين بن المرزيان ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها
وامر بفللق ابوابها فجلس الفضل بن محمد بن شداد على سرير
الامارة بعد قتل اخيه المرزيان في ٣٧٥ سنة فاستقر في ملكه ودبره
احسن تدبير ففسار وملك مدينة بردعة وبيلقان في ٣٨٣ سنة وفي
٤١٧ سنة دخل صاحب* الأبخاز البلاد آران وحصر مشكور (أ) اياما ففسار
اليه الفضل في جيش عظيم وقاتله وهزمه وقتل من جيشه ما
يزيد على عشرة آلاف رجل فحاد صاحب* الأبخاز من زمنا الى بلاده
وفي ٤١٨ سنة امر الفضل ببناء قنطرة على نهر الرّس وهي اثر عظيم
منه وفي ٤٢١ سنة ارسل الفضل ابنه وولي عهده موسى بن الفضل
في جمع الى قتال ابنه الآخر عسكريه (كنا) ببيلقهو كان قد عصى
على ابيه واخيه وجمع جمعا فاراد الخروج على ابيه ففسار موسى
واستعان بالروسية على اخيه لانهم كانت قد دخلت منهم
طائفة بنحو ثمان وثلاثين سفينة الى بلاد شروان فخار بهم
صاحب شروان منوچهر (فمعقد منوچهر) الرّس لينعهم من
الصعود فخرقوا جماعة من المسلمين فاخرجهم موسى بن الفضل
واعطاهم اموالاً جمّة وحلّم الى بيلقان فاخذها بهم وقبض
على اخيه عسكريه (كنا) فقتله ثم ان الروسية خرجوا من
وفي الاصل (أ) البخار (ب) مسكوه (ج) حسب ما ورد في باب شروان ص ١٥٣٦

أرانا إلى الروم وامتدوا فيها إلى الروس و في ٤٢٢ سنة يوم السبت عيد الاضحى
 توفي الأمير الفضل بن محمد بن شداد فكانت مدة إمارته ٤٧ سنة
 (١١) فتولى الإمارة ابنه وولي عهده أبو الفتح موسى بن الفضل
 بن محمد بن شداد في ذي الحجة ٤٢٢ سنة وفيها خرجت الروسية
 كربة ثانية فصار اليهم وقاتلهم عند الكويه فأخرجهم من بلاده وقتل
 منهم مقتلة عظيمة. وفي ٤٢٥ سنة وثب علي بن الفتح موسى ابنه
 اللشكري علي بن موسى فقتله فبيلة ٤٢٥ سنة وكانت إمارته ٣٣ سنة
 (١٢) فتولى الإمارة الولد القاتل اللشكري علي بن موسى بن الفضل
 بن محمد بن شداد في ٤٢٥ سنة وكان خبيثا سئ الاعتقاد فتزوج
 حظية أبيه وكانت أيام إمارته مضطربة لا راحة له وللرعية من
 هجوم الغزاة [506] وسائر الأعداء وكان ينتقل من قلعة إلى أخرى
 في شدة وضعف حتى مات في ٤٢٦ سنة فبيلة إمارته نحو ٥٥ سنة
 (١٣) فنصبوا مكانه ابنه أنوشروان بن اللشكري علي فدبر أمره
 أبو منصور الحاجب فاتفق مع القواد والحراشي على أن يتركوا
 قلعة الكفرة؛ قلعة طاطيان وموكلنك والبيضاء على
 صاحب شكي، وقلعة كرمستان للداودية^(هـ) وقلعة كردملان^(ب)
 للبخارية^(د) والريستاق الرومية ليمنعوا الطماعين من إران لأنهم
 كانوا قد طعموا فيها لضعف اللشكري وصغر ابنه أنوشروان هذا
 ولم أعلم الرؤسا هذا الرأي من أبي منصور وغيره من القواد اجتمع
 عند الريثم ابن ميمون البائي^(ك) رئيس الدباغين بالجند بشكور^(ج)
 فتشاوروا وقالوا إذا حصلت هذه القلاع والريستاق في أيدي
 الكفرة حينئذ تذهب هذه المدينة وليس لنا إلا الانتقال منها
 (هـ) أو الداودية^(ب) أو كردملان^(د) في الأصل: الامبارية (ك) البائي؟ (ج) في الأصل سيكر

بالكلية مع اهلينا واولادنا ولا نحتسب الذل فاحس من في قلعة
 بالشتر وكان الحاجب ابو منصور بها فاستدعى الريشم فامر الحاجب
 باغلاق باب المدينة وتوارى قحطان والخطيب وبقى الريشم من
 الرؤساء وحده مع غلمانته فاحاط به اصحاب الحاجب للقبض عليه
 فترجل الريشم وغلمانته وشكروا خناجرهم ونادوا يشعار ابن الاسوار
 شاوور بن الفضل وفتحوا باب البلد فظهر قحطان والخطيب وغيرها
 من الرؤساء فولوا على البلاد ابا الاسوار شاوور بن الفضل بن
 محمد بن شداد في سنة ٤٤١ بعد شهرين من ولاية انوشروان
 (ع) فدخل اولاً مدينة شمكور واحكم امرها ثم سار الى جنزة
 ودخلها واحتوى على جميع بلاد آران وقللها وقبض على
 انوشروان وعلى الحاجب ابي منصور واخوته واولادهم وكانوا
 يقال لهم بنو ابي هيثم الكاتب وكانوا اعيان دولة بني شداد فقبض
 ابو الاسوار على جميعهم واحبى اسم الدولة بعد ان كادت تموت وقويت
 وانتظمت احوال الرعية والجند فسار في سنة ٤٤٥ وفتح قلعة بصره من
 الجوزية (٦) عنوة وحققها بالرجال واليرة والسلاح وفيها اخرج ابنه
 ابا نصر اسكندر بن شاوور الى مدينة دجيل وسلم اليه اهلها وفي
 سنة ٤٥٥ جاء اليه جماعة من اعيان تغليس وسألوا منه ان يرسل
 اليهم من يسلمون اليه القلعة لأن صاحبها جمعهم بن على كان
 قد مات وخلف ابنين منصوراً و ابا الريجاء فوقعت البغضاء
 بينهم في ولاية القلعة واخرجها اهلها وعادوا الى ابي الاسوار
 يسألونه ما سبق ذكره وأن يرسل اليهم رجالاً وسلاحاً وميرة
 فأراد ابو الاسوار أن يجيب الى مسئولهم فنهضه وزيره بختيار
 (٥) او نصره؟ (٦) وفي الاصل الخيرية

ابن سلمان وقال له "سيفتح الله لك كورة [5066] تفليس كلها
فيقع تلك القلعة ايضا في يدك عفواً وصفواً" وقال ايضا
"هذا يكون سبباً لتقرت رجالك وضياع ما لك بلا فائدة"
فرجع ابو الاسوار عن الاجابة الى مسئولهم ورد مفتاح القلعة
اليهم فرجعوا وسلموا المفتاح والقلعة الى * اخسركان بن
كاليف (هـ) صاحب شكي فقبلهم واحسن جوائزهم وصرفهم
من عنده ثم باعها * الى (هـ) صاحب الروم باموال جمّة فانفذ ملك
الروم في الوقت اليها حفظة وشكّنها بالرجال والسلاح والميرة
وامر بتوسيع الطريق في الجبل ليسهل للكفرة العبور منها
الى بلاد الاسلام.

(١٥) وفي هذه سنة ٤٥٤ هـ عبر الالانية من باب اللان ودخلوا بلاد
الان وقتلوا منها خلقاً كثيراً وسبوا زيادة على عشرين الف نسمة
ما بين رجل وامرأة وصبى وصبية وفي سنة ٤٥٥ هـ بنى ابو الاسوار
حوالي ربيع جنزة سوراً حصيناً وعلّق عليها ابواباً محكمة وضرب
حواليها خندقاً عميقاً وصارت جنزة اضعاف ما كانت وفيها ايضا
قصد بلاد شروان واخذ قلعة قوياميان من يد صاحبها عنوة
وادخل فيها نائباً ورجالا من قبله ثم سار وحاصر مدينة شروان
فحارب الشراونة فانزموا منه فركب الكتافهم وقتل منهم جماعة
واسر من اعيانهم ما يزيد على خمسين فارساً من صناديد
اللكز وكبار الكواروات (هـ) واحتوى على جميع ما في عسكرهم من
الدواب والاثقال ثم انتقل منها الى باب اليزيدية (هـ) وضرب
خيامه واخذ ابنته حرم سائر صاحب شروان مع جميع ما كان لها
وفي الاصل (هـ) احسريان بن كاليف (هـ) من (هـ) او كواروات (هـ) البريدية

من الخزان والدواب ^{منهم} قهرا فعاد الى آران ثم عاد في رجب من هذه السنة الى بلاد شروان وأحرق الغلات والقرى فعاد وفي ٤٥٤هـ ايضا سار ابو الاسوار الى شروان واستولى على كر وطران واخذ حموارا ^(ا) وانحازت خلل الكراد الى جنبته، وعبروا باهلهم من كر الى نعمته، فعاد منها الى مقرة ثم وقع الصلح بينه وبين صاحب شروان في رجب من هذه السنة ورد اليه قلعة قويايمان بعد ان استوفى منه اربعين الف دينار

(١٩) وفي ٤٥٧هـ غزا السلطان البارسيلان السلجوقي بلاد الارمن والروم وفتح قلعا كثيرة وسلمها الى ابي الاسوار صاحب آران ليضيفها الى مملكته لاتصالها الى بلاده وفي هذه ٤٥٧هـ في رجب منها جمع ابو الاسوار جيشه وسار ودخل بلاد الارمن والروم وقصد تغراني ودخله ورم ما شعث منه واقام عماله فيه وشحنه بالسلاح واليرة والرجال ثم دخل في بلاد الروم واغار عليها وفتح بالقرب من آني قلعة حصينة وادخل حفظته وثقاته فيها ثم انصطف وجلس الى باب قلعه وحين ^(ب) وهي قلعة حصينة منيعة من احسن قلاع الارمن فغضب معسكره حوالها ففتحها عنوة واسكن فيها امناؤه ثم كثر راجعا الى جنزة ولما اقام بها وفرق جيشه الى بلاده خرجت اللد في [٥٥٧هـ] حصينة عظيمة من باب اللان في ذي القعدة وجاوزوا بلاد شكي وخزان (كد) ثم دخلوا مع كفر الشكرية ^(ج) جميعا الى بلاد

(٥) وورد في باب شروان (١٠٥٤هـ) حتى اخذ ابنته حريم سائر المتوفى مع جميع ملها

(٦) (١٠٥٨هـ) ونزل قرية سعدون واحرق الغلات وامر من النيران واستولى على كر وطران واخذ حموان (٥) ولعلها ^(د) بجني (١٦) الكفرة الشكوية من شكي

آران فجاسوا خلالها وشتوا الغارة الشجواء والقتل والنهب في سربها وجبلها من غير مانع لهم وقتلوا على باب ثغر شكور زيادة على مائتي رجل من الغزاة المتطوعة ولفاروا على باب جنزة وقتلوا من وجدوا في قراها وكان أبو الأسوار مع قواده بجنزة وما جسروا للبروز اليهم والقتال معهم ثم سارت الملاحين إلى برجة ونزلوا على بابها ثلاثة أيام ولفاروا على نواحيها وجاوزوها حتى وصلوا إلى خافقين بالقرب من نهر الرنس وأخرجوا من بلاد آران من الإيساري خلقا كثيرا مجاوز الحد والاحصاء من المسلمين والمجاهدين وفي سنة ٤٥٩ هـ في يوم الاربعاء لسبع مئتين من ذى القعدة توفي الأمير المجاهد أبو الأسوار شاور بن الفضل الغازي بمدينة جنزة ودفن في المسجد الجامع وكانت مدة إمارته على آران هييمها وبعض أرمينية سنة وقبلها على بعض البلاد سنة فمئة جميع إمارته سنة ٤٦٧ هـ

(١٧) وترك من البنين خمسة: الفضل واشوط واسكندب ومنوچر والمرتزان وابنة واحدة وجعل في حياته ولاية العهد إلى أكبر أولاده الفضل وأخذ بيعته على أولاده وعلى جميع الشلادية في عشيرته وعلى الجند ورعيته فلما قضى خبئه اجلسوا الأمير (أ) الفضل بن شاور بن الفضل بن محمد بن شلاد في دست الإمارة مكانه وحددوا بيعته ورضي به أخوته وانقاد له عشيرته ودخل في طاعته الجند والرعية وفي هذه السنة في ذى الحجة دخل السلطان البارسليان بالحد آران فاستقبله الفضل بن شاور بالطلعة والعبودية وقدم بين يديه مفااتيخ خرائته وسلم منه جميع ما كان له من الذخائر وكذا ورد حصرتة

(هـ) في الاصل: مسجد (ب) أبو الفضل (ج) ولعلها: إليه

صاحب شروان فريريزين سآدر مع الرهايا والخدمة ودخل السلطان
في السجن من عسنة وغزا بلاد شكى وخران (هـ) ثم بلاد الافخار (و) والنشر
القتل والاسروالزهب وفتح القلاع في بلاد الكفر ثم قبض على منصرف
وابى الريجا صاحب تقليس عند عودته (و) وسلم بغير تقليس الى الفضل
بن شاور وفي رمضان من هذه السنة خرج الفضل الى ثغر تقليس
ومنه غزا بلاد الافخار (و) ولما امتلأت ايدي المسلمين من الغنائم
اخذت الافخازية عليهم المضائق وقاتلوهم فانزهرم السامون فبقى
الفضل صاحب اران في شرذمة قليلة من الشجعان فانزهرم هو ايضا
بعد ان قتل جميع من معه من اصحابه فضل الطريق فوقع الى
قرية * اوانا بن لفرث (هـ) بعض بطارقة شكى وخران (هـ) فنزل (و) عنده
ساعة ثم حمله الى * اخسرتان (هـ) اللعين فلما نزل عنده عذبه وقبض
بالوقت عليه وامسكه عنده اياما ثم سآمه الى صاحب الافخار
(١٨) فلما يئس منه اهل اران اجلسوا بالامارة اخاه اشوط بن
شاور بن الفضل مكانه في سوال من عسنة وفي ذى القعدة منها
دخل ساوتكين (هـ) الخاص امير العراقيين [507هـ] مع الاتراك بلاد
اران ثم سار الى غزو الكفرة وبقى الفضل بن شاور في الاسر
والحبس عند صاحب الافخار (هـ) الى ان خلاصه الله تعالى في جمادى الاخرة
من عسنة فوصل الى ملكه وجلس على سرير امارته بجنزة وكانت
مدة اماره اخيه اشوط نحو ثمانية اشهر وكان صاحب شروان
قد نكث العهد والصلح فتجاوز بلاد اران بالزهب والغارة عند
اسر الفضل فلما عاد الفضل الى امارته جمع اجناده وسار الى بلاد
(هـ) ويحصل انما جوزان (هـ) في الاصل: افخار (هـ) عوده (هـ) وكانا بن كفتر
(هـ) فنزل عنده (هـ) احسريان (هـ) شاه تكين

مشروان ففقدتهم في بلادهم فاستنوا العارات وحرقوا وخرّبوا
 فساد إلى جنّة ٥ في ٦٣٣ سنة خطب للفضل على منابر نجر الباب
 وكان بخطب اصحاب شروان في ٦٣٤ سنة اصطاح الفضل وجماعه
 شروان وسار جميعاً في جيشهما إلى باب قلعة مالوغ (هـ) في شهر
 رمضان واخذوا عنوةً وقتلوا من فيها من اهل الكفر ثم هدموها وغفروا اثرها
 (١٩) وفي ٦٣٤ سنة خرج على الفضل ابنه فضلون بن الفضل بن شاور
 بن الفضل بن محمد بن شداد واخذ الملك من يد ابيه فاطاعه
 الجند والرعية ثم ارضى اياه واقطع له قلعه خارك (هـ) وعملها به ففرغ
 فيها للعبادة وكانت مدة امارته مع مدة نيابة اخيه اشوط عنه
 عشرين اسراً نحو سنة وبقي فضلون في الامارة نحو سنتين الا شهراً
 فاقطع السلطان البارسيلان بلاد باب الابواب واراد لا يمر
 قوادته واخص بامانه ساونيكين (هـ) فسار في جمع (د) من الاثراك
 اليها في ٦٣٨ سنة فامتنع فضلون نسليم البلاد فقصد ساونيكين (هـ) ولما
 علم عجزه عن المقاتلة والملافة سلم دار ملكهم جنّة وغيرها من بلاد
 ران إلى ثواب السلطان فاستقرت الاثراك على بلاد ران سدها
 وجمعها وجميع كورها وقلعها فانقرضت دولة الشدادية عنها ووقع
 في ايدي الاثراك جميع خزائنها وذخائرها وكانت مدة ولايتهم ٢٨ سنة
 اذا اعتبر الابتداء من ظهور محمد بن شداد بن قرطق واستلاند
 على دجيل سنة (ك) ايّاها اذا اعتبر من استيلاء اللشكري على
 جنّة في سنة ٣٩٠ فمدة امارتهم ٧٠ سنة وبقي الفضل بن شاور
 محاصراً في قلعه خارك (هـ) ثم اخذت منه وقبض عليه ايضاً
 فانهطت اخبارهم فسبحان الذين لا ينقطع سلطانه ٥

(ا) في الاصل بالهـ (ب) منه (ك) ساونيكين (د) جميع (هـ) ولعلها خارك

ابن فضلان، أحمد بن العباس بن راشد
٨٢، ٨١، ٢٠
ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد ١٦
أبو الأسوار ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٨،
٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩،
٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦
أبو تو ١٧٠
أبو الفتح، موسى ٢٢٦
أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل ٢١،
٦٧، ١٠٠
أبو منصور، فهدودان بن محمد ٢١٣
أناش، أحمد ٢٢
أنياس (الملك) ١٢٢
أنيلا بن مولدزوك ٩٥
أني السكيثي (الملك) ١٨٧
أحمد بن منبه ٤٦
أحمد، جمال رشيد ٣٠
أرتاسه ري ١٧٠
أرتاشيز ١٤٤
أرداشيس الأول ١٥٦
أرداشير الثاني ٨٧، ٢٢٨، ٢٣١
أرستوفان ١١٨
أرستاكيس ٢٦
أركيشتي بن مينوا ١٧٣
أسبايار ١٤٧
أسباروخ ١٤٧
أسبوراك ١٤٧
اسحاق الثالث ٦٦
إسخيل ١١٨

أرديس ١١١، ١٣٢
أرواني (الآلهة) ١٧٢
أريايثيس ١٨٧
أريانتاس ١٨٧
أريانوس ١٨٠
أريوارزان ١٩٣
أسوليك ٢٢٤، ٢٢٨
أشوت كاج ٢٢٥، ٢٣٢
أشور بانيال ١٨١
أشور ناصر بال ١٦٩، ١٧٧
أنوش ٢٠٤
أبايف ١٠١
ابراهيم بن مرزيان ٦٠، ٢١٣
ابن أبي الأسوار الشدادي، فضل ٥٨
ابن أبي الهيجاء، أبو ناصر حسين بن
محمد الروادي ٢١٣، ٢٢٨
ابن أبي الهيجاء، حملان ٢٢٩
ابن الأثير ١٨، ٥٢، ٦٤، ٨٤، ٢٢٢،
٢٤٧
ابن بلجان ٨٠
ابن حوقل ١٥، ١٨، ٦٤
ابن خرداذبة، أبو القاسم عبد الله ١٦،
٤١، ١٩٨
ابن خلكان ١٨، ٢٠٧
ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر ١٧،
٧٩، ١٠٠، ١٠٤، ٢٠٠
ابن العبري ١٣٩

- أسرحدون ١٧٨، ١٨١
 أسطيفان البيزنطي ٩٣
 الاسكندر المقدوني ٨٧، ١١٨، ١٥٥، ١٨٧
 الاصطخري ١٥، ١٨، ٤٠، ٤١
 ٥١، ٥٧، ٧٦، ٨٣
 الأعور، عبد الله بن عتبة ٦٢
 أفران ١٩٣
 أفريدون، بن شروانشاه ٢٤١
 أفور ١١٨، ١١٩
 أليات (الملك) ١٨١
 أميانوس ١٤، ٢٣٧
 أنطيوخوس الثالث، بن سلوقس الثاني ١٥٥، ١٥٦
 أنو شيروان، كسرى ٦٣، ٧٨، ٧٩
 ١٩٧، ٢٢٨، ٢٣١
 أنو شيروان بن اللشكري ٢٤١
 أوثالكي ١٧٠
 أورارتو ١١١
 أوربيد ١١٨
 أورويس ٤٩
 أوز، تحسين ٢٢
 أوكناما ساديس ١٨٧
 ايدانيثرسوس ١٨٧
 الأيوبي صلاح الدين ٢٠٧، ٢١١
- ب**
- بابك الخرمي ٥٤، ٢٠٢
 باتكانوف، ك. ٢٧
 باخوموف ٦٣
 بارتاوا ١١٣
 بارثولد ٤٥، ٥٣، ٦٤، ٧٤، ٨٣
 ٨٤، ٢٣٨
 باسيل الثاني ٢٣٤
 باكرات ٢٢٨
 البالي، هيثم بن ميمون ٧٥
 الباهلي، سلمان بن ربيعة ٥٢
 البدليسي، شرف خان ١٦٢
 برودهوم ٢٦
- بروكوب القيصري ٩٧
 بروكوليسوس، أريستياس ١١٤
 بطليموس ٤٩، ٥٠، ١٩٦
 بطليموس الرابع ١٥٥
 بقراطوني، بنت آشوت ٢٢٧
 بكرات الثالث ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٩
 بكرات الرابع، بن كيورك ٢٢٤، ٢٤٤
 البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى ١٦، ٤٦، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٤
 ٢٠٩، ٢١٠
 بلوتارخ ١٨١
 بلوتارخوس ١٩٠، ١٩١
 بليساريوس ٩، ٩٤
 بليتيوس ١٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٤
 ٢٣٧
 بوريسفينا، زفس ١١٩
 بورينا ٢٤٤
 البوطي، محمد سعيد رمضان ١٥٨
 بومبي ١٩٠
 بوميوس ٤٩
 ييارة، علاء الدين ٨٥
 بيترس (الأب) ٢٣٦
 بيروز (الملك) ٥١
 البيروني ٩٩، ١٧٧

ت

- تايتي (الآلهة) ١٣١
 تيريزي، أحمد كسروي ٢٧، ٢٨، ٤٨
 ٨٧، ١٥٩، ١٦٠، ٢١٩
 تجلات بلاسر الثالث ١٧٣
 تفليس ٤٣
 تنكري خان ٨٣
 توشي خان، ابن جنكيز خان ١٠٠
 تيكران الكبير ١٩٠، ١٩١، ٢٠٣
 ٢٠٤، ٢٠٥
 تيكرانوهي ٢٠٤

ث

ثوكيديوس ١١٨
ثيودوسيوس بوليس ٢١٦

ج

جافاخيشفيلي، إ. أ. ٩٩
جامجيان، ميخائيل ٢٣٢، ٢٣٤
الجزيري، أحمد ١٥٧
جستيان (الامبراطور) ٩
جعفر بن علي ٢٢٤، ٢٢٧
جلبي، أوليا ٤٧، ٧٣
جنكيزخان ١٠٠
جوانشير ٢٢٣
جوستيان ١٩٤
جوستيانوس (الامبراطور) ٩٤

ح

حسين بن محمد الروادي ٢١٣، ٢٢٨

خ

الخان توشي ١٠٠
خاني، أحمد ١٥٠، ١٥٢، ١٥٨
١٥٩
الخطيب التبريزي ٧٢
الخوري، موسى ١٤، ٢٧، ٢٨، ٥١
٨١، ١٣٩، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٠٤
٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧
الخيدالي، بيروز بن سكبان ٧٤

د

دارا ١٨٦
داريوس، بن هيستاسبس الأخميني
١١٣، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨
داود أنهولين ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٨
٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٣٩

داوست ٢٧

دليبر (الإلهة) ١١٩
دوركويل ٢٤٤
دولاري، جان بول ٢٧
دي ميتلين، شارل ١٥٢
دياكولوف ١١٠، ١٦٨، ١٧٤،
١٨٥

ديان آشور ١٦٩
ديسم بن ابراهيم ٢٠٩
دي كينيا ٩٠
الديلمى، شكري بن ماردي ٢١٥
الديلمى، سالار مرزيان ٢١٣، ٢١٥،
٢١٧
الديلمى، محمد بن مسافر ٢١١
الديلمى، مرزيان بن اسماعيل بن
فهدودان بن محمد بن مسافر ٢١٣
الديلمى، مرزيان بن محمد ٦٠
دييتر ٦٦
الدينوري ٢١٠
ديودورس الصقلي ١١٩
ديون، كاسيوس ١٤، ١٩٤

ر

البركي، وليم ٤٦، ٤٤، ٢٤٨
رسول، عز الدين مصطفى ١٥٠
١٥١، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٨
الروادي، أبو الهيجاء ٢١١
روزياني، جميل بندي ١٦٢
ريج ١٦٣

ز

زاده، مريم اسكندر ٨٨
زاريون (الملك) ١٩٣
زاربادريس ١٥٦، ١٥٧
زازا، نور الدين ١٥٨
زرادشت ١٨٥
زيوس (الملك) ١٣٢
زفس (الإله) ١١٩

زويرون ١٨٧

شماخ بن شجاع ٥٤
شولو سونو ١٧٠

س

ساردور بن أركيشتي ١٧٣
سامي، شمس الدين ٦٩
ستالين، جوزيف ٥٦
سترايو ١٤، ٤٨، ٨٧، ١٠٩، ١١١،
١٨٥، ١٨١، ١١٩
سرجون الثاني ١٦٥
سعد الله، صلاح ١٥٨، ١٥٤
سعود بن نامدار ٥٨
سعيد بن سليم ٥٤
سفروس (الامبراطور) ٩٣
سكيث بن هرقل ١٢١
سكيليتريس ٢٣١، ٢٣٠
السلار شروانشاه ٢٤١
سليمان أفندي ٧٠
سمباد ٢٢١
سنحاريب ٢٢٣
السندي، بدرخان ١٥٨، ١٥٧، ١٥٤
سهاك الثالث ٨٣
سهل بن سباط ٥٤
سوفوكل ١١٨
سيموكاتيس، ثيوفيلكت ١٤، ٧٦

ص

الصقلي، ديودور ١٨٥

ط

طبرسران شاه ٥١
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ٢٠،
٨٤، ١٩٧
طغرل بيك ٢٣٣

ع

عثمان بن عفان ٥٢
العزیز، حسين قاسم ٢٠٢
علييف ١٩٥

غ

غاغيق بقراطوني ٢٢٨، ٢٢٩
غورباتشيف، ميخائيل ٥٦

ف

فاجي (الملك) ٥١
فارتيد، إيشه ٢٥
فاردان ٢٥
الفارقي، ابن الأزرق ٦٦
فاوستوس ١٤، ٦١
فرنادسكي ٩١
فرهاد الثالث الفرثي ١٩٣
فريبرز بن سلار بن يزيدي ٢٤١، ٢٤٣
فريج ١٦٢
فضل بن محمد بن شداد ٢١٥، ٢٢٠
فضلون ٢٢٢، ٢٢٣
فضلون فيليب بن كريكور ٢٢٣، ٢٢٦
فلافوس، يوسيفوس ١٩٤

ش

شاور الثاني ٥٢
شافور بن الفضل الشداد ٢٣١
شانيدي ٥٢
شاهخو سروفان ٢٢٧، ٢٤٢
شداد بن قرطق ٢١١
الشداددي، فضل بن محمد ٨٤
شروانشاه سلار بن يزيدي ٢٤٢
شروانشاه، محمد بن أحمد ٦٢
شكري بن موسى الأول ٢٢٨
شكسبير ١٥٨
شكيولد، ك. ١٠٣
شلمانصر الثالث ١٦٤، ١٦٩

الفلاوي، يوسف ١٤
فلجيفسكي ١٠١، ١٤٣، ١٦٨،
١٨٣، ١٨٤، ٢٤٩
الفهري، حبيب بن مسلمة ٢٠٩
فليب بن كريكور ٢٢١
فليب الثاني ١٢٢، ١٨٧
فليب (الملك) ١١٨

ق

قباذ بن بيروز ٦٤
القزويني، حمد الله ٢٠، ٥٥، ١٦٣،
٢٢٥
قسطنطين ٢٣٠
قسطنطين الآلاني ٢٣٦، ٢٤٦
قسطنطين مونيحاج ٢٤٤
قطران التبريزي ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٣
قوتلمش بن أرسلان بيغو ٢٣٠

ك

كاتال (الملك) ١٢٦
كارنكك، عبد العلي ٧٢
كانكاتفانسي، موسى ٢٧
كاكيك الأول ٢٢٤
كالانكاتفانسي، موسى ٥٥
كالانكاتفانسي، موسى ٨٣
كالانكاتفانسي، موسى ٨٠
كراكوف ١٢٢
كراهام، كيريل ٧٨
كريستسن، آرثر ١٥٣، ١٥٨، ١٩٨
كريشمان ١٧١
كريكور ٢٢٣
كليومينيس الأول ١٨٧
كوبان ١٠٩
كودرز ٢٢٨
كورش الأخميني ٢٠٤، ٢٠٥
كوركين ٢٢٩
كوزولوف ١٣١
كوپريكي الثالث ٢٢٤

كيون، ادوارد ٩٣
كيريل قسطنطين ٨٣، ٨٤
كيكيس ١٨١
كليزان ١٧٠
كيوركوي بن داود ٢٢٢

ل

لو كولوس ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣
ليسكو، روجر ١٢، ١٥٠، ١٥٢،
١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٨
ليفوند ٦٣
ليكدام ١١٣
لينين، فلاديمير أ. ٥٦
ليون تورليكيوس ٢٣٦

م

مانيوس الأورقلي ٢٦، ٢٢٥، ٢٢٩،
٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٦
مار، نيكولا ٩٩، ١٨٤
مارتسيان (الامبراطور) ٦٤
ماكسيم ٩٣
مبارك شاه، فخر الدين ٨٣
محمد بن أحمد ٥٩
محمد بن حسين الروادي ٢١٢، ٢١٣
محمد بن شداد بن قرطق ٢١٣،
٢١٥، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٣
محمد بن فهدودان ٢١٣
مرزبان بن حسين ٢١٣
مركلينوس ١٤، ٦١، ٨٩، ٩٠،
١٩٥، ٢٣٧
مروان بن محمد ٦١
مستسلاف بن فلاديمير ٢٤٠
مسعود بن لامدار ١٩، ٢٣، ٢٤،
٢٤٢
المسعودي ١٧، ٣٩، ٤٥، ٦٢، ٧١،
٧٤، ٨٩، ٩٠، ١٠٣
مسلمة بن عبد الله ٦٣
المقدسي ١٥، ٥٣، ٢٠٩

هـ

هارون الرشيد ٥٤، ٦٦
 هشام بن عبد الملك ٦٦
 هوفهانيس ٢٣٢، ٢٣٤
 هوميروس ١٤، ١٠٨، ١١٧
 هيوكراتيس ١٤، ١١٧، ١١٨، ١٢٤
 هيودوت ١٤، ١٠٨، ١١٠، ١١٣
 ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٩
 ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧
 ١٢٨، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٣، ١٨١
 ١٨٢، ١٨٦، ١٨٧، ٢٠٥
 هيلينا (الملكة) ١٤٩

و

ورتان ٢٢١
 وفيق، أحمد ٧١

ي

ياروسلاف ٢٤٠
 ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد
 الله ١٧، ٥٠، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٢
 ٦٤، ٧٣، ٧٦، ٨١
 يزد كرد الثاني ٦٣
 اليعقوبي، أحمد بن يعقوب ١٩، ٨١،
 ٢٠٩
 يلوتارخوس ١٤، ٨٧
 يورانت الرابع ١٥٦
 يوليوس ٩٣
 يوليوس قيصر ١١٩

مملان بن وهسوزان ١٥٩

منجم باشي، أحمد بن لطف الله ٢٢،
 ٢٣، ١٤٠، ١٤١، ٢١٣، ٢٢٠،
 ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢،
 ٢٤٣، ٢٤٥
 منوهر ٢٤١
 موسى بن الفضل ٢٣٩
 الموكرياني، حسين مزني ١٥٩
 مونوباز (الملك) ١٤٩
 ميشادات السادس ١١٩، ١٢٢
 ١٢٦، ١٨٩، ١٩١، ١٩٣
 ميخائيل أياستيس ٢٣٦
 ميخائيل الرابع ٢٣٤
 ميخائيل السابع ٢٤٤
 ميدياس، ابن بارتاوا ١١٣
 مينالدر ١٤، ٧٦

مينو جهر ٢٢٨

مينورسكي، فلاديمير ٢٢، ٢٣، ٢٤،
 ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٤٥، ٤٧، ٥٠، ٥١
 ٦٣، ٨٤، ١٠٠، ١٥٩، ١٦٦
 ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٢
 ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٣٤، ٢٢٥
 ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٥٠

ن

نابو بولاصر ١٧٤، ١٨٢
 ناميتوك، أ. ١٠٣
 نفيس، جيروك ١٥٤، ١٥٧
 النقشبندي، غالب ١٦٠
 نورتان ١٦٩
 النويري ١٧
 النويري، بدر الدين العيني ١٠٠
 نيقفور (الامبراطور) ٢٣٠

فهرس الأماكن

أرمينيا ١٠، ١١، ١٥، ٢٨، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٠، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ١١٣، ١٢٦، ١٤٤، ١٥٦، ١٨٤، ١٨٩، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٤٦، ٢٥١
 أزدناكان ٢٠٤
 استارا ٨٧
 أفريقيا ٩، ٩٥، ١٣٧
 أفسوس ١٨٧
 ألبى ٩٣
 ألبانيا ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٦، ٦٢، ٦٥، ٨٦
 الأناضول ١١١، ١٦٨
 أورلنس ٩٥
 أوروبا ٩، ١٤، ٣٤، ٧٦، ٨١، ٩١، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٤، ١٠٧، ١٢٥، ١٢٧، ١٣١، ١٣٧، ١٤٢، ١٥٨، ٢٥٢
 أوروبا الوسطى ٧٧، ٩٥
 أوكرانيا ١١، ١٠٨، ١٢٢، ١٢٤، ١٨٣
 أوليا ١١٤، ١٢٢، ١٢٣
 أيبيريا ٣٦، ٥١، ٩٣
 إيران ١٠، ١٣، ١٤، ٣٤، ٦٥، ٦٧، ٧١، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٢، ١٠٤، ١٥٣، ١٥٨، ١٦٦، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٥، ١٨٩، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٣٥

آ

آسيا ٨٩، ٩٣، ٩٥، ١٠٧، ١٢١، ١٢٥، ١٢٧، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٣، ١٨٣، ١٨٦، ١٩٣، ٢٥٢
 آسيا الصغرى ١٠، ١٣، ١٠٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٦٤، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٦، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ٢١٤، ٢٣٤
 آسيا الغربية ٤٧، ٩٦
 آسيا الوسطى ٣١، ٨١، ٩١، ٩٧، ٩٩، ١٠٤، ١٠٥، ١١٤، ٢٥١
 آشور ١٦٥، ١٨٠
 أفير ٨٢
 الاتحاد السوفياتي ١١، ٣٥، ٥٦، ٨٦، ٢٢٥
 أذربيجان ١٠، ١١، ٣٣، ٣٤، ٤٠، ٤٨، ٥٠، ٥٥، ٦٨، ٨٧، ١٠٥، ١٢٦، ١٤٠، ١٤٤، ١٥٢، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٤، ١٨٩، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٢، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١
 أران ١١، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ١١٤، ٢٣٠
 أربوان ١٥٦
 أربيل ١٦٥، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٣
 أرزنجان ١٥٦
 أرضروم ١٥٦

ب

بلاد السكيث ١١٨، ١١٩، ١٣٣،
١٨٨، ١٨٧
بلاد شكي ١١، ٦٢، ٧٣
بلاد الطالش ٨٨
بلاد الغال ٩٣
بلاد القرم ١١٥
بلاد القوقاز ٣٨
بلاد اللان ١٠٤، ١٣٩
بلغاريا ١١٣، ١٢٤، ١٤٥
البلقان ١٢٢، ١٤٥
بودوليا ١١٤
بولتافا ١١٤
بولندا ٧٠، ١٢٦
بولونيا ٩٦، ١٢٦
بيزنطية ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٥
بيكند ٨٢

بابل ١٦٥
باشلي ٧٤
باكور ٥٩، ٦٢، ٢٤١
بالوس مايوتيس ١١٦
بانونيا ٧٨
بتراف ٥٠
بحر آزوف ٩٧، ١٠٩، ١١٨، ١٢٢،
١٢٧، ١٩٩
البحر الأسود ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٨،
٧٧، ٧٨، ٨١، ٩٣، ٩٤، ٩٧، ٩٩،
١٠٨، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١١٨،
١٢١، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٣١،
١٦٧، ١٨٦، ٢٥١
بحر البلطيق ٩٥
بحر الخزر ٦٥

بحر قزوين ١١، ٣١، ٣٣، ٤٩، ٥٣،
٥٧، ٦٠، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٧٠، ٧٧،
٧٥، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٥، ٨٦، ٩٣،
٩٦، ١٢٣، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٤،
١٦٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٥،
١٨٩، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٢، ٢٣٧،
٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٩، ٢٥١
بحيرة أورميا ١٦٦، ١٦٨، ١٧٠،
١٧١، ١٧٦، ١٧٨، ٢٠٨
بحيرة سيفان ١٦٥
بخارا ٨٢
برداج ٤٣
برذعة ٤١، ٤٣، ٥٨، ١٤٠
بروكسل ١٦٦
بريفان ٢١٤
بغداد ٤١، ٢٠٢
بلاد الألطاي ١٣٥
بلاد الباب ٤٧، ٦٠، ٦٢، ٦٥، ٦٧،
٧٣، ٧٤، ٧٥، ٨٠، ٩١، ١٠٤،
١٩٦، ٢٤٣
بلاد ساورومات ١١٨، ١١٩
بلاد السرير ٢٤١، ٢٤٢

ت

تامبوف ١١٤
تراقيا ١٨٧
ترانسلفانيا ١١٤
تركيا ٣٤، ٣٧، ١١٠

ج

جبال آارات ١٦٥، ٢٢٩، ٢٣٨
جبال أراكاتس ٣٥
جبال أراكوني ٣٤
جبال أطلس ٩٣
جبال الأورال ٧٧، ٩١، ٩٦، ١١٧،
١٢٥
جبال بازاديوزي ٣٥
جبال بازوم ٣٤
جبال تاليش ٢٠٨
جبال حميرين ١٨٣
جبال زاكروس ٩، ١٦٤، ١٦٥،
١٧٧، ٢٥١
جبل زانز كوبر ٣٤
جبال سومخيت ٣٤

س	جبال سیغان ٣٤ جبال فاردانیس ٣٤ جبال کرکان ٨٧ جبال کیکام ٣٥ جزیره البلقان ٧٨، ١٠٩ جزیره القرم ١١، ٧٠، ١٠٨، ١١١، ١٢٢، ١٣٥ جورجیا ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٩٧، ١٠١، ١٢٤، ١٨٤، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٤٦، ٢١١
ش	خ
شروان ٥٩ شروان ٤٣، ٥٠، ٥٢، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٧ الشماعیه ٤٣، ٥٧ شمال آفریقا ٩٣، ٩٤، ١٢٧	خراسان ٨٧، ٢١١ خویوشکیا ١٦٩ خوی ٢٢٨
ص	د
صحراء لوط ١٧٧ الصین ٨٩، ٩٠، ١٠٤، ١٠٧، ١١٤، ١١٧، ١٣١، ١٥٣	داغستان ٣٥، ٣٧، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٦٢، ٧٥، ٧٨، ٨١، ٩٧، ١٠٠، ١٩٩، ٢٣٨، ٢٤٨ الدربند ٥٥، ٦٤، ٦٦، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٩١، ١٠٤ الدردیل ١٨١ دوین ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٦ دیاربکر ١٩١، ٢٠٢، ٢٢٨
ط	ر
طبرستان ٨٧ طبرسران ٤٤، ٥١، ٧٢ طبرسران السفلی ٧٢ طبرسران العلیا ٧٢	الران ٤٠ روسيا ١٢٧، ١٣١، ١٩٩ روما ١٥٦ ریازان ١١٤
ع	ز
العراق ٥٤	زنجان ٧١ زیویه ١٧٥
ف	
فاسیس ١٨٧ فلسطین ١٨١	

ق

القسطنطينية ٧٨، ١٩٧، ٢٣١،
٢٣٥، ٢٤١
القفقاس ٢٤٤
قفقاسيا ١٤، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٤٠،
٤٤، ٥٧، ٦٢، ٧٧، ٨٩، ٩٠، ٩١،
٩٢، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٣،
١٠٥، ١٠٩، ١١١، ١٢١، ١٢٤،
١٢٥، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٧، ١٥٨،
١٦١، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٧، ١٧٨،
١٨٣، ١٨٩، ١٩١، ١٩٣، ١٩٦،
١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢١١،
٢١٤، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٤٠، ٢٤٣،
٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١
القوقاز ٧١، ١١٨

ك

كازخستان ١٢٥
كامبيسي ١٠٥
کردستان ١٠، ١٣، ٦٨، ١٠٤،
١٠٩، ١١٣، ١٢٦، ١٢٨، ١٤٨،
١٥٨، ١٦١، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦،
١٧٠، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٦،
١٨٩، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١
کردستان/إيران ١٠٥، ١٣٠، ١٤٣،
١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٥
کردستان/تركيا ٨٧
کردستان/العراق ٨٥
کردستان الوسطى ١٧٦
كر كوك ١٧٩، ١٨٣
كنجة ٢١٤، ٢٤١
كوبانيا ١٦٧، ١٩٩، ٢٣٨
كيلونوس ١١٤
كييف ١١٤، ١٨٣

ل

ليزان ٥٢

م

مانيوتيس ١٣٥، ١٣٧
المالنا ١٧٤، ١٧٦، ١٨١
مسقط ٥٩، ٦٠، ١٧٩، ٢٤٨
مصر ٢٠٢
ملاز كرد ٢٢٩
ملاطية ١٥٦
منغوليا ٨١، ١١٧، ١٣١
موش ١٥٦
موقان ٧٣، ٨٥
ميفارقين ٦٦، ٢٠٢، ٢٣٠

ن

النرويج ١٣١
النمسا ٧٠
نهر آخ - صو ٥٧
نهر آراس ٢١٥
نهر آراكس ٣١، ٣٥، ٥٨، ٨٦،
١٢٣، ١٢٣، ١٦٥، ١٧٠، ١٧٩،
٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٤،
٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٤٠،
٢٤٤
نهر آرات ٢٠٧
نهر ألزن ٤٤، ٥٧
نهر إيل ١٤٥
نهر أينكول ١١٤
نهر بوريشتي ١١٤
نهر بيرسكت ٥٧، ٥٨
نهر تارتار ٥٠
نهر تانيس ٩٨، ١١٦، ١١٨، ١٥٢
نهر توربان ٥٧
نهر تيراس ١١٤، ١٢٣، ١٨٧
نهر جيحون ٨٢
نهر الدانوب ٣١، ٧٨، ٩٦، ١٠٧،
١١٧، ١٢٤، ١٢٥، ١٤٦، ١٨٦،
١٨٧
نهر الدنيبر ٩٦، ١١٤، ١١٩، ١٣٣،

194, 130

نهر الديمتر ٣٩

_____ _____

187 188

نهر الذاب الصغير ١٦٩

نهر الذاب الكبير ١٦٩، ١٧٠

نهر الروس ٥٠

نہر روپاس ۶۱، ۶۳

نهر زنكة ۲۰۷

نهر سامور ۶۰، ۸۱، ۶۳، ۱۷۹،

227

نهر الفرات ١٥٦، ١٨٢

نهر الفولغا ٨٢، ٩٦، ٩٩٤، ٩٩٩، ١٠٢١،

197, 187

نہر قابیم - کنڈہ ۶۳، ۱۷۹

نهر الكر ٣١، ٣٥، ٥٠، ٥٢، ٥٣،

٢٢١ ٢٢٤ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩

Y2, Y2A, Y2Y

نهر کوبانی ۹۷، ۱۳۵، ۱۳۷

نهر کولی - صو ۶۳، ۷۵، ۷۶

همدان ۷۱

العدد ١٨٢

منڀاري ۱۰۹

,

وادي الرافدين ٩، ١٠، ١٧٦، ١٧٧،

201, 202, 203

وان ۱۵۶

ي

الزبدية ٥٨

يوغوسلافيا ۱۱۳

اليونان ٣٥، ٥٤، ٧٠، ١٣٢

لقاء السلف

دراسة موسعة جغرافية وتاريخية لمنطقة آسيا الوسطى كما جاءت في كتب الرحالة العرب. أمثال البلاذري وابن خردادبة والمسعودي وياقوت الحموي والطبري والقزويني والاصطخري وابن الأثير وكثيرين غيرهم، كما انه يلقي أضواء جديدة على التاريخ المنسي لهذه المنطقة الأكثر سخونة في هذه المرحلة التي تلت انهيار الجمهوريات السوفياتية. ويركز هذا الكتاب بشكل خاص على دور شعوب هذه المنطقة والذين عرفوا بشعوب اللان واسلافهم من السكيث والكميرين والسرمت والذين اشتهروا قديماً في الشرق تحت اسم ياجوج ومأجوج ثم اصبحت أحفادهم يعرفون عند العرب مع مطلع العصر الاسلامي بشعوب «اللان».



1855132923